مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (٢) العدد(٧)- سبتمبر ٢٠٢٣م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: x ١٤٥-٢٨١٢ الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: ٢٨١٢- ٥٤٢٨
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eng

الإبداعُ الدِّلالِىُّ لِلْجُمْلَةِ الْإِنْشَائِيَّةِ الطَّلَبِيَّةِ فِى اللُّغَةِ الشَّاعِرَةِ

نماذج مختارة من جملتى الاستفهام والأمر فى شعر ظافر الحداد السكندرى (ت٥٢٩هـ)

د. حمدي على بدوي أحمد
مدرس علم اللغة بقسم اللغة العربية
كلية الألسن- جامعة الأقصر

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (2) Issue (٧)- Sept2023
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

الإبداع الدلالى للجملة الإنشائية الطلبية فى اللغة الشاعرة
نماذج مختارة من جملتىْ الاستفهام والأمر فى شعر ظافر الحداد السكندرى (ت٥٢٩هـ)

د. حمدي على بدوي أحمد

مدرس علم اللغة بقسم اللغة العربية

كلية الألسن- جامعة الأقصر

profdrhamdyrash@gmail.com

- **ملخص البحث باللغة العربية**

يُسلط هذا البحث الضوء على نمطىْ الاستفهام والأمر ؛ بوصفهما من صور خطاب الإنشاء الطلبى ذى الأبعاد الانفعالية الذاتية، ويسعى لقراءة القوالب اللغوية الشكلية ، فى المنجز الشعرى عند أحد أبرز شعراء مصر الفاطمية ؛ وهو الشاعر ظافر، المتوفى سنة (٥٢٩هـ) بهدف استكناه التجليات الدلالية لخطابىْ الاستفهام و الأمر عنده، ومن ثمَّ تحليل شخصيته ، وما انطوت عليه تراكيب الاستفهام والأمر من ابداعات دلالية وجمالية ، أسهمت فى الكشف عن باطنه.

وتنطلق فكرة البحث المركزية من إيمان الباحث بأن القوالب اللغوية – التى يتلفظ بها مؤلف الكلام – تحمل –فى الغالب– مضامين دلالية، أو بواعث انفعالية ودلالات تركيبية ، وتجليَّات جمالية ؛ قد ضمَّنها مؤلف الكلام فعل القول المنجز ، الذى خرج على هيئة فعل التلفظ، حيث إن القول بعشوائية فعل التلفظ بالقوالب اللغوية أو استثمار دلالة العناصر الإشارية أو السياقية هو ضرب من الادِّعاء ، من دون بينة ؛ إذ إن الكلام اللفظى إن هو إلَّا صوت النفس، التى نتكلم وتنجز ، لا بالعقل المجرد، أو اللغة المعدول بها عن صوت النفس.

حيث إن القوالب اللغوية التى نتلفظ بها، هى دوال على ما يمور فى الأنفس من الخلجات والدواخل ، وأصناف الشعور ، لذا تتباين صور الكلام النفسى، ما بين قوالب لفظية ، أو رمز وإشارة ، أوحركة جسدية من أمارات التعبير الوظيفى لأعضاء الجسم ، أو كلام الغمغمة الذى لا يخضع لضوابط النظام الصوتى أو الصرفى أو النحوى فى لغتنا العربية ، ممَّا يسمى : حديث النجوى .

كشف البحث – بمنهج وصفى تحليلى ، بالتداخل – بحذر– مع أبعاد المنهج النفسى– عن أن اللغة الانفعالية لظافر – فى منجزه الشعرى – قد اتسمت بشمولية الرصد، ودقة الوصف لجزئيات المعنى، تملؤها الحركة والحيوية .

وجعلته يخلع علي الأشياء ما يشاء من صفات ، ليستدعي بها ذكرياته ؛ وليعرض بها انفعال نفسه ، وقلقه ، وهمومه ، فى قوالب شكلية اتسمت بالغموض الفنى ،مما جعل لها إبداعًا دلاليًّا نوعيًّا ، كان سببًا فى عدول خطاب الطلب بالاستفهام أو بالأمر عن الدلالات المألوفة له .

حيث جعل من خطاب الطلب بالاستفهام أو الأمر لوحة تدبُّ فيها الحياة والحركة ، والحيوية ؛ مستثمرًا الطاقة الدلالية والتجليات الانفعالية لخطاب الطلب – نمط الاستفهام الأمر بصورة خاصة– الذى يُجاوز الدلالات الأصلية له ، من مثل دلالته على النصح والاستحسان أوالتهديد ، أوالتعجيز، مجاوزًا ذلك إلى دلالات عامضة مراوغة ، رافدها الأنا الشاعرة ، الراغبة فى التعبير عن انفعال ما ، والطامحة إلى استمالة المتلقى بأن يقدِّم له أمرًا محببًّا إليه، ويرغب فى أن ينعم به، أو يدعوه أن يُمارس فعل المشاركة والتوحُّد مع انفعاله ، كأنه يُرسل برسالة مؤداها : إن الحياة لا تصفو لأصحاب العقول النيرة ، والنفوس النقيَّة.

- **الكلمات الافتتاحية :**

الجملة الطلبية – جملة الأمر – جملة الاستفهام – الكلام النفسى – تركيب الانفعال – الإبداع الدلالى.

- **المصطلحات الأدبية :**

الرمزية – اللغة النفسية – التخييل – تجليات القوالب اللفظية ، الجمال .

Abstract:

Semantic creativity of the request sentence in the poetic language Selected examples of imperative and interrogative sentences in the poetry of Dhafer Al-Haddad (d. 529 AH)

Prepared by Dr.: Hamdy Ali Badawi Ahmed, linguistics teacher in the Arabic Language Department, Faculty of Al-Alsun, Luxor University

. Email: profdrhamdyrash@gmail.com

• Opening words: The imperative sentence - the imperative sentence - the interrogative sentence - psychological speech - emotion structure - semantic

creativity. • Literary terms: Symbolism - psychological language - imagination - manifestations of verbal templates, beauty.
This research sheds light on the two types of imperative and interrogative. As a form of the discourse of requesting composition with subjective emotional dimensions, with the aim of capturing the semantic manifestations of the discourse of composition in the poetry of one of the most prominent poets of the Fatimid era in Egypt; He is the poet Dhafer Al-Haddad, who died in 529 AH.

The central idea of the research stems from the researcher's belief that the linguistic templates - which are uttered by the author of speech - often carry semantic contents, or emotional motives, structural connotations, and aesthetic manifestations. The author of the speech included it in the completed act of saying, which came out in the form of the act of enunciation, since saying that the act of enunciation is random using linguistic templates or exploiting the significance of indicative or contextual elements is a kind of claim, without evidence. Because verbal speech is nothing but the voice of the soul, which we speak and perform, not by the abstract mind, or language that is transformed from the voice of the soul
.
Since the linguistic templates that we pronounce are indications of what is going on in our souls, from emotions and feelings, and types of feelings, therefore, the forms of psychological speech vary, between verbal templates, or a symbol and a sign, or a physical movement that is a sign of the functional expression of the body's organs, or speech. Mumbling that is not subject to the controls of the phonetic, morphological, or grammatical system in our Arabic language, which is called: Hadith Al-Najwi
.
The research revealed - with a descriptive and analytical approach, and sometimes with incomplete extrapolation - that Dhafer's emotional language was characterized by comprehensive observation and precise description of the details of meaning, filled with movement and vitality, which made him attribute to things whatever characteristics he wanted, to recall his memories with them. To display his own emotions, he made it a painting full of life and movement. Investing in the semantic and emotional energy of doing the command, it indicates advice and approval, and persuades the recipient that the author is offering him something that he likes and that he wants to enjoy.

الحمد لله ما وسعتنا طاقةٌ إلى حمده ، والشكر له – سبحانه و تعالى– منتهى علمه ، والصلاة والسلام الكاملين الأتمين على أكرم رسله، وأشرف خلقه. وبعْدُ ....

- **موضوع هذا البحث :**

يدرس هذا البحث نمطًا خاصًّا من التراكيب اللغوية – وهو تركيب الجملة الإنشائية الطلبية فى اللغة الشاعرة أو الشاعرية – بهدف الكشف عمَّا تحمله من دلالات انفعالية مضمَّنة ، تبرز تجلياتها فى غموضها و مراوغتها لذهنية القارىء السطحى ، فى منجز شعرى لأحد أهم شعراء مصر فى عصرها الفاطمى ،وهو الشاعر ظافر السكندرى(ت ٥٢٩هـ).

- **فرضية البحث :** ينطلق هذا البحث من فرضيات عديدة ، منها :

- الادِّعاء بتفرُّد أبنية الجملة الإنشائية فى اللغة الشاعرة الشعرية فى مصر الفاطمية ، وأنها كانت جملة ذات صياغة طَبَعية ذات أثر نفسى ، وقد اتخذت من الانتخاب ، والصياغة ، والهيئة التركيبية للقوالب اللغوية أدوات للتعبير عن انفعالات أصحابها.
- ويؤمن الباحث بأن القيمة الدلالية لخطاب الإنشاء الطلبى ، تتصل بأبعاد النفس بصورة مباشرة ، التى يُحاول ظافر مواراتها قدر الإمكان ، لافتًا إلى أن السياقات المتعددة المحيطة بجملة الإنشاء الطلبى تؤدى دورًا حاسمًا فى توجيه المعنى ، و تفسير القوالب اللغوية حسب فئتها و رتبتها ، و موقعها الوجودى.
- إن البيئة المصرية فى عصرها الفاطمى قد امتازت بالتنوع والاستقرار ، وأنها امتلكت مقومات الجمال الباعث لانفعال المبدعين من الأدباء و الشعراء.
- إن للمنجز الشعرى لظافر خصائص وميزات(موائز) معجمية ، وصياغية ، وتركيبية ، وأسلوبية خاصة ، جعلت منه نموذجًا متفرِّدًا بين بنى جلدته من شعراء العصر الفاطمى، فى معالجة السياقات الحياتية.
- إن ضاغط النفسى و انفعالها له الدور الحاسم فى عمليات الانتخاب والعدول بين القوالب اللغوية .
- إن جملتى الاستفهام و الأمر تحملان – عند ظافر – أبعادًا نفسية قبل أن تكون قوالب لغوية ، يؤيد هذا بعدها عن الخبر ، وإن أقل ما يُقال : إنها قوالب دالة على الشك والتردد ، فى أول أمرها.

- يفترض الباحث أن نمطى الاستفهام و الأمر من خطابا الطلب ، التى وظفها ظافر ، للتعبير عن حالته النفسية ، فكشفت لنا إبداعات دلالية ، توارت وراء القوالب اللغوية ، وميَّزته عن غيره من شعراء مصر الفاطمية.

- **<u>منهج البحث و حدوده و مادته :</u>**

اعتمد الباحث – فى هذا البحث– على أبعاد المنهج الوصفى التحليلى، الذى يُعنى برصد الظواهر وتسجيل أبعادها ، محاولًا رصد التحليلات والتفسيرات الدلالية والانفعالية التى تنتجها القوالب اللغوية ، بالانتقال من دلالات البنية السطحية إلى الدلالات المضمونية التى تكشف عنها تفسيرات البنية العميقة ، وتمحور موضوعه حول درس الإبداع الدلالى فى الجملة الإنشائية الطلبية ، فى نماذج من جملتى الاستفهام والأمر ، مستمدًّا شواهده من القوالب والتراكيب اللغوية الإنشائية الواردة فى ديوان ظافر السكندرى ، تحقيق ، د: حسين نصار ، ط١ ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ٢٠١٢م ، واقتصرت حدود البحث التاريخية على القرن السادس الهجرى فى مصر الفاطمية ، وتمركزت الحدود البشرية حول الشاعر ظافر(ابن الإسكندرية).

- **<u>أسباب اختيار الموضوع: من بين أسباب اختيار هذا الموضوع للبحث ما يلى:</u>**

- تركيز الدراسات والأبحاث حول ظافر على الأنماط الجُمَليَّة فى شعره.
- عدم إفراد – قدر استقصاء الباحث – دراسة مستقلة لبحث أثر الانفعال فى الصياغة والتوجيه الدلالى للقوالب الشعرية فى لغة ظافر على وجه الخصوص.
- اتِّصاف الجملة الطلبية بالتنوع الدلالى فى الاستعمال اللغوى ، وفى عملية التواصل.
- تكثيف ظافر للجملة الطلبية فى منجزه الشعرى، حتى صارت ظاهرة انفعالية ، تلفت نظر الباحثين ، وتستدعى الدراسة.
- افتراض أن الجملة الطلبية جملة غامضة ، مراوغة الدلالة ، وبها غموض فنى ، وثراء لغوى بين الأصل الموضوعة له والمعانى اللغوية و النكات البلاغية التى تخرج إليه خطابات الطلب اللغوى وفق سياقات الاستعمال.
- الادِّعاء بأن خطاب الطلب، الاستفهامى والأمرى فى شعر ظافر يجمع بين الضوابط المعيارية فى الأصول اللغوية ، والسمو اللغوى ، والجودة البلاغية.

- يُرجح – حسب وجهة نظر الباحث– تميُّز خطاب الطلب فى شعر ظافر عن غيره من شعراء مصر الفاطمية.

- **صعوبات البحث الحالى :**

- يدرس هذا البحث موضوعًا على قدر كبير من الخطورة، إذ إنه يتعرض للحياة النفسية شاعر من الشعراء ، وليس لدينا محصيلة كافية حول شخصيته و طبيعته النفسية.
- التداخل الدقيق بين الأساليب الإنشائية و الخبرية ، ولاسيما أنه قد يُحمل كلٌّ منها على الآخر.
- اختلاف التأويل بين المتعرضين للأسلوبين.
- سياقية اللغة الشاعرة ، إذ إن الأقيس أن تُستنطق النصوص و القوالب الشعرية فى سياقاتها المختلفة ، حيث إن اللغة الشاعرة لغة انفعالية .
- احتمالية ارتباط تأويل الأساليب الإنشائية باختلاف فى الأحكام الفقهية ، مما قد لا تؤمن عواقبه.
- **احتمال تعددية القراءة للأساليب الإنشائية ، من حيث الصياغة اللفظية ، فى العلاقة بين الشكل و المضمون.**

- **أهداف البحث الحالى:** يهدف هذا البحث إلى ما يلى :

- دراسة الوظيفة التعبيرية وبيان جماليات التكثيف الدلالى ، التى تؤديه القوالب اللغوية من جنس الجملة الإنشائية الطبية ، وما ترمز إليه من دلالات تقف خلف القوالب اللفظية أو الصور والتراكيب الكلامية فى لغة ظافر.
- إبراز العلاقة التداخلية الوثيقة بين الانفعال ، والصياغة ، والهيئة التركيبية للقوالب الكلامية.
- التركيز على مميزات المنجز الشعرى عند ظافر عن غيره من شعراء مصر الفاطمية.
- الكشف عن التجليات الانفعالية و الدلالية لجملتى الاستفهام والأمر من خطاب الطلب فى شعر ظافر ، بوصفه نموذجًا معبرًا – بمنجزه الشعرى– عن صوت نفسه.

- **أهمية البحث الحالى :**

- يُحاول البحث الحالى تقديم بعض دلائل تميز الشاعر ظافر عن غيره من شعراء مصر الفاطمية.
- يقدم البحث الحالى إجابة عن تساؤل افتراضى حول الادعاء بأن جملة الاستفهام و الأمر جملة انفعالية.
- يبرز هذا البحث جمالية التراكيب الانفعالية و قوة دلالتها فى خطاب الإنشاء الطلبى ، فى أحد شعراء مصر الفاطمية.
- يسلط هذا البحث الضوء على الكلمات الكاشفة فى التراكيب الإنشائية، التى يوظفها المؤلف فى الإضاءة عن مقصده ، من خلال أدائها لوظيفة تعبيرية مقصودة.
- يكشف هذا البحث عن دور السياقات المختلفة فى توجيه الدلالة فى جملتىْ الاستفهام و الأمر ، و بيان الفوارق الدلالية بينها ، وبين الدلالة الأصلية المعدول عنها.
- ينبِّه البحث الحالى إلى ما يُمكن تسميته : الاستفهام الضمنى ، أو الاستفهام المقدَّر (الافتراضى).

- **تساؤلات البحث : يحاول هذا البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية :**

- **السؤال الرئيس :** هل قدَّم ظافر – فى منجزه الشعرى – نموذجًا مختلفًا عن غيره من شعراء مصر الفاطمية ، فيما يخصُّ الجملة الإنشائية الطلبية؟.
- **الأسئلة الفرعية : يرتبط بالسؤال الرئيس عدد من الأسئلة الفرعية ، منها ما يلى:**
- هل تكشف جملتا الاستفهام و الأمر فى شعر ظافر عن دلائل تميُّزه؟.
- ما محل الإبداع الدلالى النوعى و التجليات الدلالية ، و مواطن الجمال فى الجملة الشعرية الإنشائية الطلبية عند ظافر؟.
- هل جاءت الجملة الإنشائية الطلبية ردة لصوت النفس وتحقق فيها إبداع دلالى فى شعر ظافر؟.
- هل نجح ظافر فى توظيف جملته الإنشائية الطلبية للتعبير عن انفعالاته المختلفة؟. وهل كانت موصوفة بالقوة أو الضعف؟.

- لماذا لم يُفرد الباحث درس كل نمط من خطابئ الطلب بالاستفهام أو الأمر ببحث مستقل ؛ حيث إن المزج بينهما فى بحث واحد كان سببًا فى زيادة عدد صفحاته؟.

- **<u>الدراسات السابقة :</u>** قد تُعد كثرة الدراسات والبحوث حول خطاب الإنشاء عامة ، والطلب منه بصورة خاصة ، من الصعوبات التى واجهت الباحث ، إذ يروم تجنب التكرير ، و التشابه ، والحشو ، ويجب الإقرار أنها قد تطرقت إلى بعض جوانب الموضوع ، بيد أن الباحث أفاد منها فى وضع بعض مفردات بحثه ، فقد رصد الباحث بعض الدراسات التى تناولت الشاعر، وأخرى قد تناولت الإنشاء و جملته ، يُمكن عرض بعضها كما يلى :

- **<u>أولًا : الدراسات المتصلة بالشاعر ظافر :</u>**

- ظافر ، حياته و شعره ، ماجدولين محمد أحمد عبد الله ، السودان ، جامعة أم درمان ، كلية اللغة العربية ، ١٩٩٦م ، نسخة pdf
- فن التكرار فى شعر ظافر السكندرى ، دراسة جمالية تحليلية ، د : أحمد على محمد عبد العاطى ، المدينة المنورة ، نسخة pdf
- شعر ظافر ، دراسة أسلوبية ، عصام عبد العزيز عبد العال مرزوق ، رسالة ماجستير ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، نسخة pdf.
- جماليات المكان فى شعر ظافر ، د : نجوى معتصم أحمد ، مجلة الدراسات العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، نسخة pdf .

- **<u>ثانيًا : الدراسات و البحوث المتصلة بالإنشاء و جملته:</u>**

- الإنشاء و مواقعه فى شعر هذيل ، سعيد بن طيب بن سحيم المطرفى ، رسالة دكتوراه ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية و آدابها ، العام :١٤٢٤هـ/١٤٢٥هـ ، نسخة pdf
- الأساليب الإنشائية فى شعر لبيد بن ربيعة ، مواقعها و دلالاتها ، بدرية منور العتيبى ، رسالة ماجستير ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية و آدابها ، العام : ١٤٢٩هـ/١٤٣٠هـ ، نسخة pdf

- أساليب الطلب عند النحويين و البلاغيين ، د : قيس إسماعيل الأوسى ، العراق ، جامعة بغداد ، ١٩٨٨م ، رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية ببغداد :٥٤ ، نسخة pdf
- أساليب الاستفهام فى البحث البلاغى و أسرارها فى القرآن الكريم ، محمد إبراهيم محمد شريف(البلخى) رسالة دكتوراه ، الجامعة الإسلامية العالمية ، باكستان ، كلية اللغة العربية ، العام:٢٠٠٦/٢٠٠٧م ، نسخة pdf
- الجملة الطلبية فى سورة يوسف–عليه السلام– دراسة تركيبية دلالية ، علاء الدين الغرايبة ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، المجلد ٤١ ، العدد:١ ، ٢٠١٤م ، نسخة pdf
- الجملة الطلبية فى ديوان العباس بن الأحنف ،(١٠٣–١٨٨هـ) ، (دراسة نحوية دلالية) ، عبد الله بن عيد الجهنى ، رسالة ماجستير ، المملكة العربية السعودية ، جامعة طيبة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العام ١٤٣٤هـ/١٤٣٥هـ ، نسخة pdf
- أسلوب الطلب فى القرآن الكريم (دراسة نحوية دلالية)، عبد الرحمن مضوى عبد الرحيم الهادى ، جامعة القرآن الكريم ، و العلوم الإسلامية ، كلية الدراسات العليا، كلية اللغة العربية ، العام :١٤٣٤ هـ /٢٠١٣م ، نسخة pdf
- فى شعر الشافعى الجملة الطلبية ، دراسة تركيبية دلالية ، إعداد : فهد حسن هجرس بن غيام ، رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الأوسط ، كلية الآداب و العلوم ، ٢٠١٣م/٢٠١٤ ، نسخة pdf
- الأساليب الإنشائية فى النحو العربى ، عبد السلام محمد هارون– رحمه الله– مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م ، نسخة pdf

بيد أنه لا توجد – قدر علم الباحث- دراسة مستقلة ، تناولت الإبداع الدلالى للجملة لإنشائية الطلبية ا فى شعر ظافر ، وإن وُجد ما يتصل موضوعه بدراسة الإنشاء ، أو بالجملة الطلبية ، فقد جاء عامًّا ، لا يمس الأبعاد العميقة لجملة الإنشاء أو الطلب فى شعر ظافر ، فقد ركز فى مفرداته على الإنشاء عامة ، أو على دراسة الأسلوب و خصائصه فى شعر ظافر ، أو كانت منهجية التناول تشمل أبواب الجملة الطلبية ، من دون تخصيص ، أو تسليط الضوء على التجليات الدلالية و التركيبية لنمطى الاستفهام والأمر عند ظافر ، أو التعرض لذلك بمزيد من التفصيل و التركيز ، و لعل هذا ممَّا دفع إلى هذا البحث.

محتوى البحث :

جاء بناء هذا البحث فى مقدمة ، وتمهيد ، ومحورين ، وخاتمة ، وثبت المصادر والمراجع.

- المقدمـة :

وفيها حديثٌ موجز عن موضوع البحث ، و دوافع اختياره ، و أهدافه ، و أهميته النظرية و التطبيقية ، و حدوده و مادته ، و المنهج المتبع ، والدراسات السابقة ، و افتراضات البحث و صعوباته ، وتساؤلاته.

- التهميد ، و يأتى فى ثلاثة مباحث ، هى :
- المبحث الأول : حول مصطلحات البحث ، وفيه يتناول الباحث مصطلحات الإبداع والدلالة ، والجملة ، والإنشاء ، والطلب ، واللغة الشاعرة وتركيب الانفعال بشىء من التوضيح.
- المبحث الثانى : ظافر: (حياته و أشعاره).
- المبحث الثالث: حول الكلام النفسى و الكلام اللفظى ، ويشمل النقاط التالية:
  - مفهوم الكلام النفسى .
  - العلاقة بين الكلامين النفسى و اللفظى.
  - عبد القاهر الجرجانى(ت٤٧١هـ).
  - الإمام الآلوسى (ت١٢٧٠هـ).

المحور الأول : الإبداع الدلالى فى نماذج تطبيقية لجملة الاستفهام فى شعر ظافر ، ويشمل النقاط التالية :

- حول الاستفهام و جملته :
- المبحث الأول : الإبداع الدلالى فى نماذج تطبيقية لجملة الاستفهام الحرفى:
  - المطلب الأول : المصدرة بـ(الهمزة).
  - المطلب الثانى : المصدرة بـ(هل).
- المبحث الثانى: الإبداع الدلالى فى نماذج تطبيقية لجملة الاستفهام الاسمى :
  - المطلب الأول : المصدرة بـ(كم).
  - المطلب الثانى : المصدرة بـ(ما).
  - المطلب الثالث : المصدرة بـ(من).
  - المطلب الرابع : المصدرة بـ(أين).
  - المطلب الخامس: المصدرة بـ(كيف).
  - المطلب السادس: المصدرة بـ(ماذا).
  - مواضع من النماذج التطبيقية فى خطاب الطلب بالاستفهام فى شعر ظافر.
- المحور الثانى : الإبداع الدلالى فى نماذج تطبيقية لجملة الأمر فى شعر ظافر، ويشمل النقاط التالية:
  - حول الأمر و جملته .
  - المبحث الأول : الطلب بفعل الأمر الصريح .

- المبحث الثانى : الطلب بالفعل المضارع المسبوق باللام الدالة على الأمر.
- المبحث الثالث: الطلب باسم فعل الأمر.
- المبحث الرابع : الطلب بالمصدر الصريح النائب عن فعله.
- مواضع من النماذج التطبيقية لجملة الأمر فى شعر ظافر.

• الخاتمة ، و فيها :

- أهم النتائج التى توصل إليها البحث .
- أهم ما يوصى به الباحث ، من توصيات و مقترحات.
- ثبت المصادر والمراجع.

والله – تعالى- من وراء القصد ، وهو – سبحانه - الهادى إلى سواء السبيل.

الباحث

التهمـيد : ويأتى فى ثلاثة مباحث ، هى:

- المبحث الأول : حول مصطلحات البحث ،
- المبحث الثانى : ظافر (حياته و شعره).
- المبحث الثالث : حول الكلام النفسى و الكلام اللفظى. يُمكن التعرض لها على النحو الآتى:

المبحث الأول : حول مصطلحات البحث : قبل الشروع فى درس محددات هذا البحث فإنه من الجيد الإشارة إلى أن هناك عددًا من المصطلحات ، ينبغى التعرض لهما بشىء من التوضيح ، على النحو الآتى :

- **أولًا : مصطلح الإبداع فى اللغة و الاصطلاح :**

تدور مادة الإبداع حول الإنشاء ، والابتداء ، والاستنباط ، والإحداث ؛ والحدث فى الدين ، والشىء المحدَث العجيب ، فهى من : بدع الشىء يبدعه بدعًا و ابتدعه : أنشأه و ابتدأه ، وبدع الرَّكِيَّة : استنبطها وأحدثها ، وركىٌّ بديع : حديثة الحفر ، والبديع والبِدْعُ: الشىء الذى يكون أولًا ، والمبتدع : الذى يأتى أمرًا على شبه ؛ لم يكن ابتدأه إيَّاه ، وفُلانٌ بِدْعٌ فى هذا الأمر : أى : أول ، لم يسبقه أحد، وأبدع ، وابتدع ، و تبدَّع : أنى ببدعة ، و أبدعتُ الشىء : اخترعته، لا على مثال ، والبديع من بدع لا من أبدع ، وأبدع أكثر فى الكلام من بدع .([1])

أما مصطلح الإبداع فيبحث فيما وراء القوالب اللفظية من معانٍ نوعية ، فى مجاوزة لدلالات الظاهر ، أو ما تعبر عنها البنية السطحية ، ليدلف إلى الدلالات المتضمنة ، أو ما يُسمى البنية العميقة ، بأن يستثمر المؤلف قدرة القوالب اللغوية فى توليد معانى نوعية جديدة ، بين المتوقع و اللامتوقع، بصورة مختصرة استنطاق القوالب اللغوية للكشف عن الدلالات الغامضة ، و التجليات الجمالية وراءها.

- **ثانيًا : مصطلح الدلالة فى اللغة و الاصطلاح:**

الأصل ف أنها مأخوذة من : " دلَّه على الشىء دَلًّا ، و دَلالةً ، فاندل ، سدده إليه ، و دَلَلْتُه، فاندل ، و الدليل : ما يُستدل به ، و الدليل : الدال ، و قد دلَّه على الطريق ، يدُلُّه دَلالةً ،

[1] لسان العرب ، ، لابن منظور ، تحقيق : عبد الله على الكبير و آخرين ، ط دار المعارف ، (د .ت) ، القاهرة ، ج ١ : ٢٣٠ – ٢٣١ ، مادة (بدع) .

ودِلالةً ، و الفتح أعلى ، و الدليل : الذى يدلك ، والاسم: الدَّلالة ، والدِّلالة ، والدِّلالة : ما جعلته للدليل، أو الدَّلَّال ، دليل بين الدلالة".([٢])

من الجيد التنبيه إلى أنه : " لا تكون رغبة المبدع فى الابتعاد عن المألوف و المادى لمجرد أنه يُريد أن يكون مختلفًا ، فالمبدع لا يكدح أو يُكافح من أجل هجْر الموضوعات ، بل من أجل النفاذ إليها أو اختراقها ؛ وفقًا لمحك الصدق الذى يضعه فى اعتباره ، و غيرُ مسار هذا الاختراق يهجر الفنان – غالبًا – بشكل غير متعمد أو مقصود – تلك الرؤية المألوفة او العادية".([٣])

لذا يتمحور مصطلح الدلالة حول ما تُوحيه الكلمة فى تضامها مع غيرها من القوالب اللغوية أو التركيبية – أو غير ذلك من الأنساق الكلامية– من دلالات محتملة نتجت عن تجمع المعانى الجزئية ، بين ثنائية المقبول و المردود ([٤]) لذا فمفهوم الدلالة نسبى التلقى ، بين الانكماش والتمدد ، أوالضيق و الاتساع .([٥])

- **<u>ثالثًا : حول مصطلح الجملة فى اللغة و الاصطلاح:</u>**

تدور مادة(ج، م ، ل) حول: الحبل الغليظ ، وهو الكثير القوى، والجماعة من الناس، والشىء المجمل ، أو حبال السفن ، يُجمع بعضها إلى بعض ؛ حتى تكون كأوساط الرجال ، ولعل الجملة اشتقت من جملة الحبل.([٦])

وقد اصطلح اللغويون على أن فكرة الجملة تقوم – فى جوهرها– على الارتباط بين عنصرين بعلاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه ، ويكتمل المعنى بعلاقة التضام والتكامل بين القوالب اللغوية من جنس المتعلقات المتممة للمعنى ([٧]) وقد عدَّ القدماء عامل الإسناد([٨]) والإفادة ([٩])

---

[٢] لسان العرب ، ج٢ : ١٤١٣ ، مادة (دلل).

[٣] انظر : الأسس النفسية للإبداع الأدبى : ١١٧

[٤] انظر : علم الدلالة العربى (النظرية و التطبيق) ، فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سوريا ، ١٩٩٦م :٢٣ و ما بعدها.

[٥] انظر : الدلالة اللغوية ، عمر شاع الدين ، مجلة الدراسات اللغوية ، مج٢، ع٣ ، (رجب ٠ رمضان١٤٣١هـ/أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٠م : ١٠٥ ـ ١٠٧

[٦] انظر : لسان العرب ، مادة (جمل) ، م١ : ٦٨٢ – ٦٨٤

[٧] الجملة العربية ، مكوناتها – أنواعها – تحليلها ، محمد إبراهيم عبادة ، ط٢ ، مكتبة الآداب، القاهرة ، ٢٠٠١م .: ١٣

[٨] ذكر الدكتور عبد الرحمن أيوب أن في العربية جملًا غير إسنادية . انظر : دراسات نقدية في النحو العربي ، د : عبد الرحمن أيوب ، (د. ط) ، (د . ت) ، مؤسسة الصبَّاح ، الكويت : ١٢٩

[٩] حين تمسكوا بأن الجملة هى : ما يحسن السكوت عليه من القول المفيد التام .

([١٠]) والكفاءة ([١١]) والقصدية ([١٢]) وتوفُّر البعد التداولى([١٣]) ، والإشارى ، والسياقى السبب فى نشأة الكلام وتحقيق عملية الإفهام والتواصل وإنجاحها([١٤]) وقد وُجد هذا الرأى عند الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) ([١٥]) ، وهذا الأمر تابعه ابن السرَّاج (ت ٣١٦ هـ) ([١٦]) ، إذ لا يُمكن التعبير عن المقاصد بالقالب اللغوى المفرد أو بالعبارة ، أو بالتراكيب الهامشية ، وفى ذلك يقول الجرجانى(ت٤٧١هـ) : " الألفاظ المفردة هى أوضاع اللغة ؛ لم توضع لتعرف معانيها فى أنفسها ؛ ولكن لأن ينضم بعضها إلى بعض ، فيعرف ما بينها من فوائد ".([١٧]) ينبغى الإشارة إلى أنه قد ورد مصطلح الجملة ([١٨]) عند المبرد (ت٢٨٩هـ) ، حيث يقول : " أما الكلام فهو كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ، وهو الذى يسميه النحويون الجمل ".([١٩]) واستقر المصطلح – فى الغالب– عند الزمخشري (ت ٣٥٨هـ).([٢٠])

وقد أدرك ابن جنى(ت٣٩٢هـ) هذا الأمر ، حين أقام الجملة على عوامل الإفادة ، والاستقلال (الاستغناء) ، والتمام ، ويقول : " إن الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها المستغنية عن غيرها ".([٢١]) نحو : زيد أخوك ، وقام بكر".([٢٢]) وقد اختار الاستراباذى هذا الرأى. ([٢٣])

---

[١٠] حيث يخرج من الكلام ما لم يُفد ، شرح التسهيل ، لابن مالك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، و طارق فتحي السيد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ١ : ١٣ – ١٥

([١١]) التراث اللغوى العربى ، يوهاس ، جيوم ، كولوجى ، ترجمة : محمد حسن عبد العزيز، وكمال شاهين . دار السلام ، مصر، ٢٠٠٨م : ٥٧

[١٢] انظر : ارتشاف الضرب من كلام العرب ، لأبى حيَّان الأندلسى ، تحقيق و شرح د : رجب عثمان محمد ، ط١ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م،ج٢ : ٨٣٢

[١٣] انظر: دلالة تركيب الجمل عند الأصوليين ، د: موسى بن مصطفى العبيدان، (د .ط) مكتبة الأوائل ، دمشق، ٢٠٠٢م:٤٤

[١٤] انظر : الجملة العربية ، د : محمد إبراهيم عبادة : ٢٩

[١٥] الجمل في النحو ، : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٤٠هـ) ، تحقيق : علي توفيق الحمد ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤م : ٣٣٩

[١٦] الأصول فى النحو: ١: ٧٠

([١٧]) دلائل الإعجاز: ٤١٥

[١٨] انظر : المقتضب ، للمبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، ط٢ ، دار الكتاب المصري اللبنانى ، القاهرة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، م١ : ١٢٦ ، ١ ١٩٠ ، ٤ : ٧٨

([١٩]) انظر : المقتضب ١: ٨ (بتصرف) .

[٢٠] انظر : شرح المفصل ، لابن يعيش موفق الدين ابن يعيش ، (د . ط) المكتبة المنيرية ، القاهرة ، (د . ت): ١ : ٢١

([٢١]) انظر : الخصائص : إمام العربية ، أبو الفتح عثمان بن جنى ، المتوفى سنة ٣٩٢هـ ، تحقيق : عبد الحكيم بن محمد ، (د . ط) ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د . ت) ، ج١: ١– ٢٠

([٢٢]) شرح المفصل : م١: ٢١

أشار الزمخشرى (ت٥٣٨هـ) إلى أن أقل ما يشكِّل الجملة هو كلمتان ، ترابطتا فيما بينهما ، فى إشارة منه إلى نمطىْ الجملة الاسمية و الفعلية ، يقول : " الكلام هو : المركب من كلمتين ؛ أُسندت إحداهما إلى الأخرى ، و ذلك لا يتأتى إلَّا فى اسمين ، كقولك : زيدٌ أخوك . و بشرٌ صاحبُك . أو فى فعل و اسم ، نحو قولك : ضُرب زيدٌ . و انطلق بكرٌ ، و تُسمى : الجملة ".([٢٤]) وقد تبعه ابن يعيش(٦٤٣هـ).([٢٥]) وقد ساوى السيوطى(ت٩١١هـ) بين الحقيقة و المجاز فى هذا الأمر. ([٢٦])

<u>ويذهب الأستاذ عباس حسن</u> إلى أن شروط الجملة هى : التمام والإفادة ، وعدم الإهمال ، فيجعل الكلام أو الجملة هو : ما تركَّب من كلمتين أو أكثر ، وله معنى مفيدٌ مستقل ، مثل : أقبل الضيف ، فاز طالبٌ نبيهٌ . لن يُهمل عاقلٌ واجبًا ، فلابد فى الكلام من أمرين معًا ، هما : التركيب والإفادة المستقلة ، فلو قلنا : أقبل فقط ، أو فاز فقط . لم يكن هذا كلامًا ؛ لأنه غير مركب ، وغير مفيد فائدة يكتفى بها المتكلم أو السامع ، وليس من اللازم أن تكون الكلمتان ظاهرتين فى النطق ، بل يكفى أن تكون إحداهما ، والأخرى مستترة . ([٢٧])

وعنده ، أنه إذا وقعت الجملة الخبرية صلة ، أو نعتًا ، أو حالًا ، أو تابعة لشىءٍ آخر ؛ كجملة الشرط – لا جوابه – فإنها تسمى : جملة خبرية . لأنها تسمى خبرية بحسب أصلها الأول ، الذى كانت مستعملة فيه . فإذا صارت صلة أو تابعة لغيرها لم يصح تسميتها خبرية ؛ إذ لا يكون فيها حكم مستقل بالسلب أو الإيجاب تنفرد به ، ويقتصر عليها وحدها ([٢٨]) بل هى لذلك لا تسمى : جملة ؛ فعدم تسميتها جملة خبرية من باب أولى ، ومثلها : الجملة الواقعة خبرًا ، فلا تسمى واحدة من كل ما سبق كلامًا و لا جملة ، إذ ليس لها كيان معنوي مستقل .([٢٩])

([٢٣]) انظر : التراث اللغوى العربى: ٦٤

[٢٤] انظر : المفصل فى علم العربية ، للزمخشري ، تحقيق : على بو ملجم ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) : ٦ ، ط١ ، دار الهلال ، ٢٠٠٣م : ٢٣

[٢٥] انظر : شرح المفصل : م١ : ١٨

[٢٦] انظر : همع الهوامع بشرح جمع الجوامع ، للسيوطي ، تحقيق ، د : أحمد شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م : م١ : ٤٩ – ٥٠

[٢٧] النحو الوافي ، عباس حسن ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩١م ، م١ :١٥– ١٦

[٢٨] راجع نحو هذا الأمر فى : نظام الجملة الاسمية فى شعر عبد الله البردوني (دراسة نحوية دلالية) ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة منتوري ، رسالة دكتوراه نسخة PDF ، السنة الجامعية ، ٢٠٠٨م / ٢٠٠٩م : ١٤

[٢٩] انظر : النحو الوافي م١ : ١٥

وينبغى الإشارة إلى أن علماء اللغة المحدثين ينظرون إلى الجملة بوصفها الوحدة الصغرى للكلام ، وهذا ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف – رحمه الله – حينما أشار إلى قول سيمون بونز بأن الجملة هى : الوحدة الأساسية للكلام ، وقد تُعرف بأنها : الحد الأدني من اللفظ المفيد ؛ كما أن الكلمة تُعرف بأنها الحد الأدني من الصيغة الحرة . ([٣٠]) وبعيدًا عن اختلافات التناول لدي العلماء ، قد يكون الإسناد مختصًا بالجملة ، و تكون الإفادة مختصَّةٌ بالكلام ، لذا فالجملة فيها عموم ، وفى الكلام خصوص، فإن كل جملة كلامًا، ليس كل كلامٍ جملة.

ويجعل الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس شرط الإفادة فارقًا بين الكلام و الجملة ، ولم يُحدد هيئة كلامية خاصة ، بل جعل للمتلقى القدر الأكبر فى إدراك تلك الإفادة ، وفى الحكم على المخرجات اللغوية بالاستقلال من عدمه ، فقد عرَّف الجملة بأنها : " أقل قدر من الكلام ، يُفيد السامع معنًى مستقلًّا بنفسه ، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر ". ([٣١])

وقد ميَّز الدكتور مهدى المخزومي بين المصطلحين (الكلام و الجملة) ، وجعل الجملة كيانًا من الأنساق اللغوية ، التى تعبر عمَّا يثور في النفس ، واشترط – لذلك– شرطي الإسناد و الإفادة ، ورأي أن الكلام أعم من الجملة في تركبه ودلالته ، فعرَّف الجملة بأنها : الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد ، فى أية لغة من لغات العالم ، و هى المركب الذى بيَّن به المتكلم أىَّ صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها فى ذهنه ، ثم هى الوسيلة التى تنقل ما جال فى ذهن المتكلم إلى ذهن السامع".([٣٢]) وهى – عنده – تتألف من ثلاثة عناصر رئيسة، هى:

١– المسند إليه ، أو المتحدث عنه ، أو المبنى عليه .

٢– المسند الذى يُبنى على المسند إليه ، و يُتحدث به عنه .

٣– الإسناد ، أو ارتباط المسند بالمسند إليه . ([٣٣])

---

[٣٠] انظر : بناء الجملة العربية: ٣٠

[٣١] انظر : من أسرار العربية ، د : إبراهيم أنيس ، ط٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦م : ٢٧٤

[٣٢] فى النحو العربي (نقد و توجيه) د : مهدى المخزومي ، ط٣ ، دار الرائد ، بيروت ، ١٩٨٦م : ٣١

[٣٣] فى النحو العربي (نقد و توجيه) ، د : مهدي المخزومي ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٤م : ٣١

أما عن الجملة فى ثقافة اللغويين الغربيين ، فيمكن الحديث عنها على النحو الآتى :

لم يقدِّم **دي سوسير** تعريفًا محدَّدًا للجملة ، حيث يرى أن الجملة نظامٌ من الرموز ، وإنما أشار إلي أن الجملة هي النمط الرئيس من أنماط التضام ، وهو تضامٌ يتألَّف من وحدتين أو أكثر من الوحدات اللغوية ، التى يتلو بعضها بعضًا ، وهو لا يتحقق في الكلمات فحسب ؛ بل في مجموعة الكلمات ، وهو ما يكون وحدة النظام اللغوي ، و تُكوِّنُه أنظمة داخلية متشابكة متعددة ، يجمعها نظام كلى ، يتسم بالتماسك والمنطقية .([٣٤])

ويُعِد **دى سوسير** الجملة جزءًا من الكلام ، فيرى أنها نموذج التركيب الأمثل ، ولكنها تنتمى إلى الكلام ، وليس إلى اللغة ؛ فهى – أى الجملة – تعبر عن القوانين و القواعد المفترضة فى اللغة ، أما الكلام فهو فعل فردى عقلى مقصود .([٣٥])

اعتقد البنيويون – وعلى رأسهم **بلومفيلد** : (مؤسس المدرسة البنيوية) -أن كل ما خرج عن بنية الألفاظ المفردة و نظامها هو راجعٌ إلى الفرد(المؤلف أو الذات الفاعلة)، فالجملة – مثلًا – بما أنها تركيب لوحدات اللغة يقوم به الفرد – ليست عندهم لسانية ، أى : وصفية ؛ بل كلامية ، أى : من جنس الأفعال الفردية ، لا من جنس القدرات اللغوية " . ([٣٦])

وقد ميَّز **بلومفيلد** بين الكلام و الجملة ؛ انطلاقًا من الاستعمال اللغوي لكليهما ، وتمسَّك بفكرة الاستقلال ، في تعريف الجملة ، وأسقط فكرة التمام؛ لاتصالها بالمعني، فعرَّف الجملة بأنها : شكل لغوى مستقل، لا يدخل عن طريق أى تركيب نحوى فى شكل لغوى أكبر منه، لكنه – وإن نفى وجود مركب أكبر من الجملة – يُصرِّح بإمكانية تكوُّن الكلام من جمل ، وأن كل كلام يُحلل إلى عدد من الجمل. ([٣٧])

يشترط **تشومسكى** السلامة النحوية و سلامة البنية التركيبية لتكون الجملة ، و قد أكدأن تكون الجملة سليمة من الناحية التركيبية . ([٣٨]) وللعله يُشير =–بذلك– إلي ترابط عناصر التراكيب

---

[٣٤] انظر : علم اللغة العام ، : دى سوسير ، ترجمة ، د : يونيل يوسف عزيز ، مراجعة ، د : مالك المطلبي ، (د . ط) مكتبة آفاق عربية ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٥م : ٢٦– ٢٧

[٣٥] انظر : علم اللغة العام : ٣٢

[٣٦] انظر : من لسانيات الجملة إلى علم النص ، د : بشير إبرير ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، ع ١–٤ ، السنة الرابعة ، رجب ١٤٢٥هـ ، أيلول ٢٠٠٤م ، دمشق : ٢٢

[٣٧] انظر : أصول تحليل الخطاب فى النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص) د : محمد الشاوش ، ط١ ، جامعة منوبة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، تونس ، م١: ٢٧

[٣٨] انظر : مبادئ اللسانيات ، د : خولة طالب الإبراهيمي ، ط٢ ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، ٢٠٠٦م: ١٥٨

والجمل بروابط ، من أهمها رابط علاقة الإسناد ، والذي يُحقق قوة تضافرية للقوالب ، ينتج عنه معني مفيدٌ في كثير من الأحيان.

وقد عرَّف **يسبرسن** الجملة – علي ضوء مفهومهما الدلالي – بأنها:" قول بشري تام ومستقل ، والمراد بالتام والاستقلال –عنده – أن تقوم الجملة برأسها ، أو تكون قادرة علي ذلك.([٣٩]) وهذا الكلام – علي إطلاقه – فيه تحفُّظ؛ إذ إن الجملة ليست قولًا بشريًّا محضًا ، فإن لغير الإنسان أحاديث ، انظر إلي جملة الاعتبار أو حديثه ، أو دلالة السكون عند الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، وابن مسرة ، فترى كل حديث جوابًا خبرًا أو استخبارًا ، وكأن لغة الاعتبار تحولت – في ذهنية المتلقي أو قلبه – إلي قوالب لفظية ، حملت معنًي ما، وصار لها تجليات جمالية ةدلالات تركيبية ، سطحية وغامضة.

- **مصطلح الجملة رؤية الباحث :**

يبدو أن الجملة البسيطة : هى القالب اللفظى للكلام النفسى ، الذى تتوافر له عناصر التمام والاستقلال والإفادة ، والترابط من خلال علاقة الإسناد ، وتتم من خلالها عمليات تداول المعانى بين مؤلف ومتلقٍّ ، وتشمل تلك العمليات التداولية عناصر الخبر والإنشاء على حدٍّ سواء.

- **رابعًا : مصطلح الخبر والإنشاء فى اللغة و الاصطلاح .**

ذكر ابن منظور أن الخبر من " خبُرتُ بالأمر، أى: علمته ، وخبرتُ الأمر أخبره ؛ إذا عرفته على حقيقته . والخبر: ما أتاك من نبإ عمَّن تستخبر، وابن سيده ، الخبر: النبأ، والجمع أخبار ، وخبَّره بكذا : أنبأه ، واستخبره : سأله عن الخبر، وطلب أن يُخبره ، والمُخبر : الذى أخبرنى ذلك الخبر".([٤٠])

ويحسُن الإشارة إلى أن عامل الابتداء– بوصفه عاملًا معنيًّا– يفتح احتمالات دلالية لا نهائية ، مما يجعل ذهنية المتلقى لا تجد نهاية مغلقة فى اصطياد معنى كليٍّ محدد ، يصلح لأن يكون سبيلًا للتوصل للمعنى الدلالى المرسل والمقصود بين المؤلف والمتلقى ، ويظلَّ الذهن فى حيرته ، منفتحًا على التوارد الدلالى ، حتى يصل إلى القوالب اللغوية التى تُوقف سيل

[٣٩] انظر : مدخل إلي دراسة الجملة العربية ، د : محمود نحلة ، ط١ ، دار النهضة العربية للطبع و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م : ١١

[٤٠] لسان العرب ، ج ٢ : ١٠٩٠ ، مادة (خبر) .

الاحتمالات المتواترة ، فتتحقق الفائدة بتلك القوالب، تلك القوالب المفيدة يحسن السكوت عليها ، وهى ما يُسمى الخبر، الذى يجعل المؤلف يُحسن السكوت عنده ، فيتم معنى الكلام من المبتدأ و الخبر، وهذا ما أشار إليه الأستاذ عبد السلام هارون .([٤١])

والخبر – فى اصطلاح النحاة– هو: الاسم المرفوع المسند إلى المبتدأ ، ليُتم فائدته ، وهو وصف للمبتدأ فى المعنى ؛ ويستحق التأخير ، والأصل فيه التنكير ؛ وقد يأتى معرفة .([٤٢]) ويُفهم من كلام الملك المؤيَّد أن الخبر، لابد أن يحتمل الصدق أو الكذب ، مثبتًا كان أم منفيًّا ، كقولنا : زيدٌ كاتبٌ ، وزيدٌ ليس كاتبًا.([٤٣])

<u>والجملة الخبرية</u> : يحسن أن يُقال : إنها " الجملة التى تكون خبرًا فى المعنى، من دون تأويل ، وتقع خبرًا متأخِّرًا ؛ باعتبار موقعية القوالب اللغوية ، وهى التى تقدِّم فائدة للمتلقى، يحسن السكوت عليها من جانب المؤلف ، وتكون اسمية ، نحو : زيدٌ أبوه قائمٌ . وفعلية نحو : زيدٌ قام . ونحو : زيدٌ عندك .([٤٤]) وينتهى – من خلال مجموع عناصرها– كدُّ الذهن نحو فيوض الاحتمالات الدلالية من جانب المتلقى ؛ وهى: التى تتركب من فعل وفاعل ، أو من ابتداء و خبر . أو أن تكون شرطًا و جزاءً، أن تكون ظرفًا ، فيجد الذهن حيرة و تردُّدًا. ([٤٥])

---

[٤١] انظر: الأساليب الإنشائية فى النحو العربى، عبد السلام محمد هارون ، ط٥ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م:٣٥

[٤٢] استخدام النحاة للفظ الاسم المفرد من باب الأكثرية والاستعمال ، إذ إن هناك أنماطًا أخرى للخبر غير الاسم المفرد ، ويقصد بذلك : الخبر الجملة والخبر شبة الجملة ، والمصدر المؤول ، أو المصدر الصريح . انظر : الدراسة النحوية و الدلالية فى سورة مريم (المبتدأ و الخبر أنموذجًا) ، د : عثمان مصطفى الجبر ، حولية كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات ، بالإسكندرية ، المجلد الثانى ، من العدد الخامس و الثلاثين :١١٣٧

[٤٣] انظر : الكُنَّاش فى النحو والصرف ، أبو الفداء ، الملك المؤيَّد ، عماد الدين إسماعيل بن على (ت٧٣٢هـ) تحقيق : د/ على الكبيسى وآخرين ، (د . ط) ، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.: ٣١

[٤٤] انظر : الكنَّاش فى النحو والصرف :٣١ - ٣٢

[٤٥] انظر ، تقسيم الزمخشرى للجملة إلى أربعة أنواع ، هى : الاسمية ، والفعلية ، والظرفية ، والإنشائية ، على خلاف بين اللغوين فيما يخص الجملة الإنشائية . انظر : المفصل ، للزمخشري :٢٤ ، انظر : المقتصد فى شرح الإيضاح ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : كاظم بحر المرجان ، ط١ ، دار الرشيد ، من منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، ١٩٧٢م ، م١ : ٢٧٣

- **مفهوم الإنشاء فى اللغة و الاصطلاح:**

أشار ابن منظور إلى الإنشاء : من نشأ ينشأ نشئًا ، ونشوءًا ونشاءً ؛ وشبَّ ، وأنشأ السحاب يُمطر : بدأ ، وأنشأ دارًا : بدأ بناءها ، وقد أُستعمل الإنشاء – فى الكلام – ليعبِّر عن الصورة التى وُضع عليها الأمر فى مبدئه .([٤٦]) وأورد قول الأزهرى : " والمستنشئة ، من مولدات قريش ، وهى اسم تلك الكاهنة ، وقال غيره : المستنشئة : الكاهنة ، سُمِّيت بذلك ؛ لأنها كانت تستنشئُ الأخبار، أى : تبحث عنها ، وتطلبها ، من قولك : رجلٌ نشيان للخبر، ومستنشئة ، يُهمز ولا يُهمز ، والكاهنة : تستحدث الأمور ، وتجدِّد الأخبار ، ويُقال : من أين نشِيت هذا الخبر ؟ ؛ بالكسر من غير همز ؛ أى : من أين علمته ؟ ".([٤٧])

من المفيد الإشارة إلى أن مصطلح الإنشاء لم يرد فى عبارات المتقدمين ، بوصفه مصطلحًا دالًّا على تلك الأساليب التى تُقابل الإخبار ، لكنه تردد بما يُشير إلى معنى الاستخبار، ويبدو أنه أعم من الخبر؛ إذ إن الإنسان – في غالب أمر– متفكرٌ متأملٌ ، باحثٌ عن إجابات مقنعة لكل ما يثور في عقله وخلجات نفسه ، لأنه مدفوع بغريزته نحو الاستطلاع والتفكر ، وإن عجز عقله عن الإدراك ثارت ثائرته ، فهرع إلي أرباب الفكر ، مستفهمًا ، متسائلًا .

وقد حدَّد سيبويه الفارق الجوهري بين الخبر و الإنشاء ، حين يتعلَّق الأمر بتحقيق الفائدة من الكلام أو فيه ، فقد قال : فى باب ما يُختار فيه النصب : " وإنما فعلوا ذلك بالاستفهام ؛ لأنه كالأمر فى أنه غير واجب ، أنه يُريد به المخاطب أمرًا لم يستقر عند السائل " . ([٤٨])

معنى هذا أن الإنشاء – بأنماطه المتعددة – الاستفهام ، والأمر، والنهى ، وغيرها أساليب غير واجبة ، أى : أنها : يجوز أن تقع أولا تقع ، ومن ثمَّ اختار البلاغيون مصطلح الإنشاء عَلمًا عليها ؛ لأنها – فى أغلب أحوالها – معانٍ ينشئها المتكلم من ذاته المنفعلة ، ليعبِّر بها عن غرضه ؛ ولا يشترط أن يكون لها فى خارج الكلام نسبة تصدقها أولا تصدقها .([٤٩])

ويعرَّف الأسلوب الإنشائي بأنه : هو الكلام الذى يتوقَّف معناه على صياغته اللفظية ، وترتيبه بموقعية مخصوصة ، وهيئته من حيث الفئةُ و التفسيرُ، الذى لا يحتمل الصدق أو

---

[٤٦] انظر : لسان العرب ، مادة (نشأ) ، م ٦ : ٤٤١٩

[٤٧] انظر : لسان العرب ، لابن منظور : ، مادة : (نشأ) ، م٦ : ٤٤١٨

[٤٨] الكتاب : ، لسيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨م .ج١ : ٩٩

[٤٩] انظر : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، د : أحمد سعد محمد ، ط٤ ، مكتبة الآداب ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، القاهرة : ٢٢٠

الكذب ؛ ولا يتطلبهما ؛ لعدم تحقق مدلوله فى الخارج ، وتوقفه على النطق به .([٥٠]) لأن معنى الصدق مطابقة الكلام للخارج ، و الكذب عدم مطابقته له ، فإذا لم يكن هناك خارج ، فكيف تكون المطابقة و عدمها.([٥١])

وكأن خطاب الإنشاء تعبير ذاتى ، يُنتجه المؤلف – ليس المتلقى أو يستشعره المؤلف من باب خطاب الاستفهام المقدر ، على نحو صنيع الزمخشرى فى الإجابات على ما أسماه : الأسئلة المقدرة أو المضمنة – لذا لا يستطيع الأخير إدراك معناه ، ولا توقعه قبل إنشائه من قبل المؤلف ، فيرتبط إدراك معناه بلفظه ؛ فإذا ما قلنا : تعلَّم العلم النافع ، فإن هذه الجملة تعبر عن أمر ، لا يستطيع المتلقى(الطالب) فهم المراد إلاَّ بعد التلفُّظ به ، وقد أنشأ المؤلف هذه الجملة ليطلب من المتلقى أمرًا ما ، أو ليبلغه حالة ما ، وهى – فى هذا المثال– طلب أمرى محض.

وهو– **<u>أى الإنشاء</u>** : ما لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا ؛ كالأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء وغيرها، نحو : اغفر و ارحم . فإنك إذا قلت : اللّهم وفِّقنى لما فيه رضاك. فإنه لا يصح أن القول: بأنك صادق أو كاذب ، على الرُّغم من أنك صادق فى طلب المغفرة . وهو: " ما لا يحصل مضمونه ، ولا يتحقق ؛ إلا إذا تلفظت به ، فطلب الفعل ، وطلب الكف ، وطلب المحبوب فى التمنى ، وطلب الفهم فى الاستفهام ، وطلب الإقبال فى النداء ؛ كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها".([٥٢])

- **<u>بين الأسلوبين (الخبرى والإنشائى) :</u>**

يكون المعول – في الحكم بخبرية التركيب أو إنشائيته – على ردِّه إلي المؤلف ذاته ، أو إلي قدرة طاقة التلقي علي اصطياد القصد ، ولعل هذا ما تتحدث عنه النظرية التداولية الحديثة ضرورة العناية بدور البعد النفسي في الكشف عن القصدية المركزية لمؤلف النص ، وقد أرجع السكاكي الأمر إلي أنه طلب أو حديث يُوجد في النفس عن علم ، يقول مبينًا ذلك : " واعلم

[٥٠] دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد فى القرآن الكريم ، د : السعيد الهادف ، رسالة دكتوراه ، الجزائر ، ٢٠٠٨م/٢٠٠٩م ، نسخة pdf : ٤٥

[٥١] انظر : شرح الكافية للرضى ، (د . ط) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ج٢ : ٢٢٥

[٥٢] جواهر البلاغة فى المعانى و البيان و البديع ، السيد أحمد الهاشمى ، ضبط و تدقيق و توثيق د: يوسف الصميلى ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيوت ، (د.ت) : ٦٩

أن المعتنين بشأنهما فرقتان ؛ فرقة تحوجهما إلي التعريف ، وفرقة تغنيهما عن ذلك ؛ واختيارنا قول هؤلاء.([٥٣])

يفرِّق السكاكي(ت٦٢٦هـ) بين القسمين بأن العقلاء والمميزين يستطيعون إدراك التراكيب الصادقة من الكتابة ، وكذلك التراكيب الكاذبة ، وفي هذا إشارة إلي البعد النفسي للقوالب اللفظية ، يقول : " أما الخبر فلأن كل واحد من العقلاء – ممن لم يُمارس الحدود و الرسوم ، بل الصغار الذين لهم أدني تمييز – يعرفون الصادق و الكاذب ؛ بدليل أنهم أبدًا ، في مقام التصديق ، و يكذبون من مقام التكذيب ، فلولا أنهم عارفون للصادق والكاذب؛ لما تأتَّي منهم ذلك ، ولكن العلم بالصادق والكاذب – كما يشهد عقلك– موقوف علي العلم بالخبر الصدق ، والخبر الكذب ".([٥٤])

- **<u>تعريف الجمـــلة الإنشائيـــة :</u>**

وهي : جملة لا تحتمل الصدق أو الكذب ، إنما تقوم على الطلب ، و تعلُّق المضمون عن التحقق الواقعى ، ، لذا يُنظر إليها ؛ بوصفها جملة تستغني عن مطابقة الواقع ، تطابقه ، أو لا تطابقه ، وهي جملة تخلو من تداخل الواقع ، و تنقسم – باعتبار مضمونها – إلي قسمين ، جملة إنشائية طلبية ، و جملة إنشائية غير طلبية .([٥٥])

وينظر إليها بوصفها جملةً تستغني عن مطابقة الواقع ، سواء تطابقه ، أو لا تطابقه ، وهي جملة تخلو من تداخل الواقع ، و تنقسم – باعتبار مضمونها – إلي قسمين ، جملة إنشائية طلبية ، و جملة إنشائية غير طلبية .([٥٦]) وقد قسَّم اللغويون والنحاة والبلاغيون الإنشاء إلى قسمين ، بحسب تحقق مطلوبه فى الواقع إلى قسمين ، هما :

<u>القسم الأول : و هو الإنشاء الطلبى :</u> ويكون الطلب فيه لأمر غير حاصل حتى وقت التكلم ، أو وقت طلبه ؛ فالواقع لا يؤيد حصول هذا القسم وقت الطلب ، إنما هو طلب صدر من ذات ، لتستدعيه فى واقعه ، أو لتستكشف حدوثه ، ويكون الطلب فيه صريحًا ، وأحيانًا يكون

---

[٥٣] مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ضبطه و شرحه الأستاذ : نعيم زرزور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م : ١٦٤

[٥٤] انظر : مفتاح العلوم : ١٦٤

[٥٥] في البلاغة العربية ، علم المعاني ، د : محمود أحمد نحلة ، (د. ط) ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٢م : ٨١

[٥٦] في البلاغة العربية : ٨١

بالتضمين أو بالتلويح ، وينقسم إلى خمسة أقسام ، هى : الأمر ، والنهى ، والاستفهام ، والتمنى ، والنداء.

القسم الثانى: وهو الإنشاء غير الطلبى: حين نتأمل هذا النمط اللغوى نجده يُشكِّل ما يسمى: الفراغ النسبى فى الدلالة ، حيث نجد قارئًا ما ، لا يدرك مواطن دلالته ، فى حين نرى الآخر قد اقتنص قيمته الدلالية تمامًا ؛ لذا يعبَّر عنه بأنه : لا يستلزم مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب .([٥٧]) وهو أنماط عديدة ، فقد تنسحب دلالته على معظم الأساليب اللغوية ، لولا ضوابط الاستلزام الحوارى بين المؤلف والمتلقى، ومن أساليبه: جملة القسم، بصنفيها المعيارى والاستعمالى، والتعجب بنمطيه القياسى والسماعى، وصيغ المدح أو الذم، وجمل الإفصاح التعبيرية ، وجملة الالتزام ، وصيغ العقود ، وغير ذلك من الأنماط ذوات الدلالات المفتوحة.

- **الجملة الإنشائية ذات الدلالات الانفعالية (النفسية) :**

قد يصحُّ للمؤلف أن يضع تعريفًا لتلك الجملة بأنها : تلك الجملة الموضوعة على ضوء قانون الرتبة المحفوظة وغير المحفوظة ، والدالة على التردد ، والحيرة ، والشعور بالتهميش ، وانعدام الدافعية ، وتكون فى مضمونها داعية إلى الاحتواء ، والرغبة فى الدفء ، يعيش بها مؤلفها مشاعر الطلب والخوف وأحيانًا الاندفاع ، وأحيانًا ثانية :يتعايش بتراكيب العنف([٥٨]).

وينبغى الإشارة إلى أنه قد يلجأ المؤلف لخطاب الإنشاء من أجل الاحتياط لمعناه الذى يُريده : يقول ابن جنى : " باب فى الاحتياط ، اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى ؛ مكنته واحتاطت له ، وجعلت من ذلك التوكيد بضربيه ، الأول : اللفظى ، الذى يكون بتكرير اللفظ ، وهو نحو قولك : قام زيد ، قام زيد ، والثانى منهما ، الذى يكون بتكرير المعنى ، وهو على ضربين ؛ أحدهما : للإحاطة والعموم ، والآخر: للتثبُّت والتمكين، الأول كقولنا: قام القوم كلهم، ورأيتهم أجمعين؛ ويتبع ذلك: من أكتع، وأبضع، وأبتع ، وأكتعين، وأبضعين، وأبتعين؛ ما هو معروف، ومررت بهما كليهما، والثانى: نحو قولك: زيد قام نفسه ، و رأيته نفسه".([٥٩])

---

[٥٧] انظر : الجملة الطلبية فى سورة يوسف ، دراسة تركيبية دلالية ، علاء الدين الغرايبة ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، م٤١ ، ع :١ ، ٢٠١٤م ، جامعة الزيتونة ، كلية الآداب ، تونس :٣٩٥

[٥٨] يُقصد بذلك : التراكيب اللغوية التى تحمل دلالات على العنف النفسى ، وتكون دلائل تحذرية للمتلقى ، حاضرًا كان ، أو كان متلقيًّا افتراضيًّا .

[٥٩] الخصائص : ج ٣ : ٧١ – ٧٩

وجعل منه خطاب الطلب بالأمر ، فى نحو : لتفعلنَّ ، فهو دليل على قوة عناية المؤلف بما يُريد ؛ لذا جعلوا ميعث القوة فى التصاق اللام بالفعل ، مما يدلُّ على قوة العناية به ؛ و العزم عليه، و توكيده ، وذكر أن أدوات الاستفهام إنما تأتى لتوكيد معنى الاستفهام.([٦٠])

- **خامسًا : مفهوم الطلب فى اللغة و الاصطلاح:**

والطلب فى اللغة : هو محاولة وجدان الشىء ، والطُّلبة : ما كان لك عند آخر من حقٍّ ؛ فتطالبه به ، و المطالبة : أن تطالب إنسانًا بحق لك عنده ، و الطلب : الحاجة ، وتدور معانى الطلب على التكلُّف فى الشىء ، و البعد فيه ، و التباعد ، و الإعانة على الطلب ، و الطلب على مهلة .([٦١])

وقد نظر السكاكى(ت٦٢٦هـ) إلى مفهوم الطلب بوصفه ردة للعوامل النفسية والانفعالات المزاجية للمؤلف ، وكأن هذه الانفعالات جاءت سابقة لإنشاء المعانى ؛ وهو ما عليه مدار البحث الحالى من الافتراض بأن الصياغة اللفظية تأتى عقب الصياغة النفسية لمحددات المعانى. وقرر أنه لا يوجد طلب ، من دون تصور ، وأنه يستدعى مطلوبًا ، لا يكون حاصلًا وقت الطلب ؛ ثم يأمر ، وينهى ، ويستفهم ، وينادى ، مما يتشكل فى خواطرك و انفعالاتك النفسية ، قبل أن تجعله صياغة و كلامًا.([٦٢])

- **سادسًا : مفهوم اللغة الشاعرة :**

الشعر: هى الكلام الموزون المقفى ، وله معنى و قصد ، وقد اشترط اللغوية أن تتوافر له عوامل الأدبية والجودة ؛ والجمال والموسيقى الظاهرة والخفية ، ومفهوم اللغة الشاعرة هو مصطلح يدل على قوة النسق الكلامى ، على مستوى الدال والمدلول.([٦٣]) واللغة الشاعرة – فى أصل صياغتها – لغة انفعالية ، تقتفى قوالبها اللغوية آثار معانيها ، و تُرتِّبها حسب ترتبها فى النفس ، ويتحقق عامل الربط فيها من خلال الوزن و القافية ([٦٤]) ويرتبط باللغة

---

[٦٠] الخصائص : ج ٣ : ٧٨ – ٧٩

[٦١] لسان العرب ، ج ٣ : ٢٦٨٤ ، مادة (طلب).

[٦٢] انظر : مفتاح العلوم : ٣٠٢ – ٣٠٦

[٦٣] انظر : التركيب النحوى للفعل فى معلقة امرئ القيس ، إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم ، رسالة ماجستير ، جامعة أبى بكر ، كلية الآداب و اللغات ، تلمسان ، الجزائر ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، نسخة pdf :١١

[٦٤] انظر : التراكيب المتوازية فى ديوان ابن سناء الملك ، د : فتوح أحمد خليل ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الحادى والثلاثون ، ٢٠١٠م: ١٠

الشاعرة ما يُمكن تسميته : تركيب الانفعال. ويقوم تركيب الانفعال على القيمة الدلالية للفعل (انفعل) ، ويُقصد به : ذلك الكيان اللغوى أو الإشارى أو السياقى الذى حمل – أو عبَّر عن – شحنة نفسية أو انفعال ما ، وهو رد فعل النفس تجاه موقف ما، لفعل منجز ما، عبرت عنه النفس فى بنية شكلية ذات دلالات لغوية.

ويقصد به : التراكيب والجمل ، والعناصر الإشارية ، والسياقات المحيطة ،الأبعاد الرموزية و طاقة المجاز ، التى يُخرجها مؤلف الكلام فى هيئة لفظة ، أو حركية ، أو دلالة السكون ، أو حديث السياق الاعتبارى ، بوصف ذلك ردة فعل نفسية من جانب المؤلف ، تعرض لأمر ما متوقع أو كان من باب المفاجأة ؛ مقصودًا أم كان من دون قصد.

المبحث الثانى : حول ظافر (حياته و أشعاره):

يُعد ظافر(ت٥٢٩هـ) نموذجًا للشاعر الذى أخضع مفردات منجزه الشعرى لصوت نفسه و انفعالانها ، فكان لذلك الأثر الحاسم في تشكيل أنماطه اللغوية وأسلوبه ، بل نره هذا الأمر طاغيًا فى مجريات حياته وعمليته الشعرية ، فقد جسَّد – بشعره – حالة الاغتراب ، والعزلة ، والتهميش ، والطرد النفسي، والإبعاد المكانى عن وطنه ، كذلك يوصف هذا الشاعر بأنه محب للجمال ، وبصدق العاطفة ، فقد جاءت لغته – في كثير من الأحيان– لغة نفسية ، تكلَّم بها ، فى تداخلية تداولية بين اللغة ، والفكر، والعقل ، والنفس ، فى قوالب لغوية ، وتراكيب دلالية ، تعكس تعذيبه ، وبكاءه ، وتجسِّد ألمه ، وتصف انفعالاته النفسية التى يعايشها الشاعر ، بيت حالتىْ الحزن والسعادة. ([٦٥])

لقد عاش ظافر فى كنف بيئة ترعى المبدعين، وتأثر ببيئة داعمة ، من الخلفاء والأمراء الفاطميين ، وتحتفى بالثقافة واللغة ومهاراتها، وأساليبها وتراكيبها ، بيد أنه قد كانت هناك منغصات لذاتية ظافر ، من الفقر والتهميش ، وفقد العين ، و القلق و الهموم ؛ مما كان له الأثر الحاسم فى تشكل الأنا الذاتية الشاعرة لديه([٦٦]) وفى تنوُّع المنجزات الكلامية وثرائها ، إضافة إلى مقومات البيئة الطبيعية ، من الأصوات العذبة والمناظر الطبيعية الخلابة ،

[٦٥] انظر : جماليات المكان فى شعر ظافر ، د : نجوى معتصم أحمد ، مجلة الدراسات العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، نسخة pdf: ٣٣

[٦٦] انظر : توهج الأنا وانكسارها فى شعر المتنبى ، د : رمضان أحمد عبد النبى عامر ، نسخة pdf : ٣

ووجود نهر النيل ، والاستقرار الاجتماعى، وتوفر مقومات الجمال، و رعاية المبدعين([٦٧]) من الأدباء و الشعراء ، واحترام ثقافتهم النوعية([٦٨]) ، وإنشاء الدواوين ، وتنظيم مجالس الأدب ، والسخاء([٦٩]) فى العطاء و التقدير ، فأسهم ذلك تغذية روح ظافر بالهدوء والتحفيز.

ذكر الدكتور حسين نصار - محقق ديوان ظافر : أن ظافر قد وُلد في أواخر النصف الأول من القرن السادس الهجري(ت٥٢٩هـ/١١٣٤م) لأسرة عربية يمنية كادحة ، إذ كان أبوه **هو : القاسم بن منصور بن عبد الله ينتمي إلي جري من بني جذام** ، و كانت أمه تنتمي إلي فهم من بني لخم ، وامتهن أبوه الحداد ، التى علَّمها ابنه أبا منصور ظافرَ .([٧٠]) وقد سُمِّى بالحداد ، نسبة إلى مهنته ، فقد كانت تستهويه أدوات صناعته".([٧١])

وقد تأثر ظافر بالطبيعة المصرية ، وما فيها من تنوع و جمال ، واتصل ظافر بأدباء بلدته الإسكندرية ، وطالع كتبهم ، وتردد علي مجالسهم ، وشدا بشيءٍ من أدبهم.([٧٢]) وحين نستفتح العالم النفسي لشاعرنا نجده قد عاش يعاني آلامًا نفسية.([٧٣]) كما عايش المشاعر الكريهة بالغربة والحنين إلي الإسكندرية.([٧٤])

لذا نراه – كثيرًا – ما يرسُم الشاعر صورًا غريبة ([٧٥]) يعبِّر فيها عن قلقه وحيرته ، ووحدته ، وتمرد نفسه عمَّا تعايشه ؛ ويرجع ذلك إلي البيئة التى عاش فيها ظافر ، تلك البيئة التى عاني فيها الفقر ، والتهميش ، والغربة ، والانعزال ؛ فكان دائم الشكوي كثير التألم ، يقول – في الزهد والتعبير عن الوحدة – من بحر السريع :

أَوصِيكَ بِالْبُعْدِ عَنِ النَّاسِ	فَالْعِزُّ فِي الْوِحْدَةِ وَ الْيَاسِ

---

[٦٧] انظر : الاتجاه الجمالي في الشعر الفاطمي في مصر ، إعداد : أحمد علي محمد عبد العاطي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الزقازيق (فرع بنها) كلية الآداب ، ١٤٢٥هـ//٢٠٠٥م ، نسخة : pdf : ١٧ – ١٨

[٦٨] الإنتاج الأدبي في مدينة الإسكندرية في العصر الفاطمي و الأيوبي ، د : أحمد النجار ، المجلس الأعلي لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٦٤م : ٧٣

[٦٩] انظر : ظافر حياته و شعره ، ماجدولين عبد الله محمد أحمد ، رسالة ماجستير ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، رقم :٦٦٢٧٧٩، نسخة pdf ، علي موقع دار المنظومة : ٥ – ٣٩ (بتصرف) .

[٧٠] انظر : ديوان ظافر (ابن الإسكندرية) ، تحقيق ، د : حسين نصار ، ط١ ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ٢٠١٢م : ٦

[٧١] مع الشعراء أصحاب الحرف ، د : عبد العليم القباني ، (د، ط) ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م : ١٧

[٧٢] انظر : الديوان : ٦

[٧٣] انظر : الديوان : ٧

[٧٤] انظر : ظافر ، دراسة أسلوبية ، عصام عبد العزيز عبد العال ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مكتبة الرسائل ، رقم 811008. GN;674 : ١٠

[٧٥] انظر : الديوان : ٦–٧

وَوِحْدَةُ الصِّمْصَامِ فِي غِمْدِهِ	خَصَّتْهُ بِالْعِزِّةِ فِي النَّاسِ .([٧٦])

فقد جاء شعر ظافر قويًّا مراعيًا للذوق والجمال ، متناسبًا مع رؤيته الخاصة و أحاسيسه الخفية ؛ واصفًا لتجربته الحياتية ، راصدًا تفاصيلها النفسية ؛ مستثمرًا الموازنة بين الدلالات اللغوية للقوالب ، وقوتها الإيقاعية والتصويرية ؛ غير مُقصٍ لإحدى هذه الروافد الثلاثة ، والتى يعني غياب أحدها فقدانًا للحالة الشعورية لمؤلف النص في جملتها . ([٧٧])

وتميَّز أسلوبه بالجمع بين الصحة المعيارية والجمال من ناحية ، وبالدقة التعبيرية ، من ناحية أخري ، كما امتاز بوضوح الفكرة ، وتحديدها ، واختيار الكلمات المعينة غير المبتذلة ولا المشتركة ، وأسلوبه يدل علي الفكرة التامــة والمتكاملة والعميقة المتداخلة ، حتى بدا متمكنًا من أدواته اللغوية ، وحُسن توظيفها .([٧٨])

وفـاة ظافر : يذكر ابن خلكان أن وفاة ظافر كانت بمصر ، في محرم سنة تسع و عشرين و خمسمئة.([٧٩])

- **المبحث الثالث : حول الكلام النفسى و الكلام اللفظى: ويشمل النقاط التالية:**

- مفهوم الكلام النفسى .
- العلاقة بين الكلامين النفسى و اللفظى.
- استدعاء التراث فيما يخص محددات علم اللغة النفسى:
- عبد القاهر الجرجانى(ت٤٧١هـ).
- الإمام الآلوسى (ت١٢٧٠هـ).

يجب القول – قبل الشروع فى درس مفردات هذا البحث : إن البحث الحالى ذو صلة وثيقة بمحددات علم النفس اللغوى – والإبداع الدلالى للتراكيب اللغوية المعبِّرة عن انفعالات النفس تجاه موقف ما – بوصفه علمًا يمزج بين المعايير اللغوية ، وآليات التحليل النفسى للمخرجات الكلامية ، أوالإشارية ، أوالسياقية ، وهو : " فرعٌ من فروع علم اللغة التى تدرس العلاقة بين السلوك اللغوى و العمليات النفسية ، التى يُعتقد أنها تفسِّر ذلك السلوك".([٨٠])" وكأنه العلم

---

[٧٦] الديوان : ١٣٣/ ١٥٦

[٧٧] انظر : الإنتاج الأدبي في مدينة الإسكندرية في العصرين الفاطمي و الأيوبي : ٢٠٣ ، وانظر : شعراء الإسكندرية في العصور الإسلامية ، د : عبد العليم القباني ، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة ، (د. ت) : ٩٠

[٧٨] انظر : جدلية الإفراد والتركيب ، د : محمد عبد المطلب ، ط١ ، مكتبة لونجمان، القاهرة ، ١٩٩٥م : ٢٦٢ بتصرف

[٧٩] انظر : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى ، ط وزارة الثقافة المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج ٥(تتمة ٤٢٧-٥٦٦هـ) : ٣٧٦

[٨٠] انظر : النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية ، د: عبد العزيز بن إبراهيم العصيلى ، مطابع التقنية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٠هـ : ٤٢

الذى يُعنى بدراسة السلوك اللغوى للإنسان فى انفعالاته النفسية المتعددة ، و التعرض للعمليات النفسية العقلية المعرفية ، التى تحدث أثناء اللغة و استعمالها ، التى يكتسب الإنسان بها اللغة ".([٨١])

وهذا معناه أن القوالب اللغوية لا تلقى غُفلًا من سبب ، بل يتحقق الأمر فى تداخل و تناغم بين الفكر و العقل و النفس ، وتعد اللغة – فى صورتها العامة ، وعلى ضوء من الأصوات ، والرسم ، و الإشارة – الكيان الناجز فى عملية التواصل بين مستخدميها ، حيث يعبرون بها عن أفكارهم ، ويحققون بها مقاصدهم وأغراضهم ، وهى إطار تداولى مجتمعى بين مستخدمى مفرداتها وفقًا لنظامها العام، الذى تضبطه محددات الاستلزام الحوارى، التى تتشكل من مؤلف ، وقصد ، وسياق ، ومتلق ، وثقافة سائدة على سبيل المواضعة و الاستعمال، والتأويل العرفى ، يعمد المؤلف – فى هذه العملية – إلى إبلاغ متلقيه حالة ما ، أوالتعبير عن حالة فكرية ، أو وصف انفعال شعورى ، يروم التعبير عنه ، أو إيصاله إلى ذات حاضرة أو افتراضية ، بغية التأثير الفكرى أو الوجدانى فيها. ويسمح هذا النظام العام – لمستخدمي اللغة – أن ينتخبوا من القوالب ، والأساليب ، والعناصر الإشارية ما يصلح للتعبير عن المعانى، وأن يوفِّروا للمتلقى البيئة السياقية الملائمة التى تُعينه على إدراك هذه المقاصد والأغراض ، وليس من شك فى أن اللغة تعدُّ مادة الأدب ، ووسيلته فى التعبير عن الأفكار والانفعالات والمقاصد ؛ " وقد أثبت الدرس النقدى الحديث أن النص الأدبى ليس رسالة فقط ، ولكنه فنٌّ ؛ أى : نسق من المواد التعبيرية و الجمالية ، التى تساهم فى توصيل الرسالة".([٨٢])

وقد اطمأنَّ علماء النفس إلى أن الأنا/الذات الشاعرة هى الملهم لكل فعل كلامى أو إشارى.([٨٣]) لذا جعلوا " لعلم اللغة النفسي اختصاصات عديدة ، منها : تكوين الفكر ودراسته ، وتوقيف اللغة واصطلاحها ، واكتساب اللغة و نظرياتها والبنية العميقة والسطحية ، ولغة

---

[٨١] انظر : علم اللغة النفسى ، د : عبد العزيز بن إبراهيم العصيلى ، ط١ ، عمادة البحث العلمى ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٧هـ : ٢٧

[٨٢] انظر : من مظاهر الإبداع اللغوى عند علماء العربية القدامى ، د : صالح على محمد النهاوى ، كتاب المؤتمر الدولى الثانى لكلية الآداب ، جامعة أسيوط (حرية الفكر و الإبداع ، الأصول و الضوابط) ، فى الفترة ١٦ – ١٨ مارس ، ٢٠١٤م : ٤٢٨

[٨٣] انظر : علم اللغة النفسى بين الأدبيات اللسانية و الدراسات اللسانية ، الأستاذ : عزيز كعواش ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، جوان ، ٢٠١٠م ، ص : ٣ ، نسخة : pdf

الحيوانات ، ولغة الإشارة ، وأمراض الكلام ، وغير ذلك من الموضوعات".([٨٤])

- **مفهوم الكلام النفسى فى فكر أسلافنا :**

والكلام النفسى ، هو : فعل قلب الإنسان و نفسه ، الذى لم يبرز إلى الجوارح ، وكلام النفس ، إذ لا صوت محسوسًا ، وإنما هو صوت معنوى مخيَّل ، أما الكلام النفسى فمعناه الأول : تكلم الإنسان بكلمات ذهنية ، وألفاظ مُخيَّلة ؛ يرتبها فى الذهن على وجه ؛ إذا تلفظ بها بصوت محسوس كانت عين كلماته اللفظية ؛ ومعناه الثانى : هو هذه الكلمات الذهنية و الألفاظ المخيلة ، المرتبة ترتيبًا ذهنيًّا ، منطبقًا عليه الترتيب الخارجى ، والدليل على أن للنفس كلامًا ما ورد فى الكتاب والسنة من شواهد على ذلك".([٨٥])

ذلك لأن كل قالب لغوى يُشكل جزءًا من أجزاء التعبير عن القصد النفسى ؛ الذى يُريد المؤلف إيصاله إلى المتلقى ، فيقوم المؤلف بعمليات الانتخاب والعدول والتعويض ، التى تضمن الإحاطة بمُراده من إنشاء فعل التلفظ ، مرتكزًا على دلالة الترتيب الوجودى(الموقع) لكل قالب لغوى ، حيث إن كل موقع نحوى بفئته الصرفية وهيئته ، هو ردة لموقع هذا القالب من نفس المؤلف ، مستثمرًا خاصية التباديل([٨٦]) والانتخاب.

وهنا يقع عبء إدراك القصد النفسى على المتلقى ، حين يفهم علية الترتيب التى جاءت عليه التراكيب و القوالب اللغوية ، وهنا يفهم العلاقة بين الموقع و معناه فى نفس المؤلف ؛ من خلال قرائن الرتبة ، والهيئة ، والموقع ، والفئة ، والسياق ، والإشارة .

مهما يكن من أمر فإنه قد بدت مظاهر عناية أسلافنا بهذا الأمر فى حديثهم عن عيوب الكلام وغرابته، أو مطابقته للمعيارية اللغوية وسلامته، وأن المرء مخبوء تحت لسانه ، وكأن الكلام دليل النفس و شفرتها . حيث إن الإنسان رهين انفعالاته ، إذ هى الضابط لانتخابه الصيغ والتراكيب والأنماط والسياقات ، بالموازنة بين خيارات متعددة ، فينتخب من بينها أطرًا ، تعكس ما تمور به نفسه ،" فيبدو الانفعال فى الشعور بالغضب ، أو بالخوف ، أو بالغيرة ،

---

[٨٤] انظر : علم اللغة النفسى: ٢٤

[٨٥] انظر : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم و السبع المثانى ، للعلامة الآلوسى البغدادى ، (د . ط) ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، (د . ت) ، جزء ١ ، ص : ١٠

[٨٦] حيث تقدم اللغة للمؤلف عددًا غير منتهٍ من البدائل اللغوية المعبرة عن معنى واحد ، أوعلى الأقل تشترك فى التعبير عنه ؛ بيد أنه ينتخب – بقصد– أقدر القوالب فى التعبير عن المعنى ، بصورة أتم ، ومعبرة عن مقصد دلالى ، يُريد إبلاغه إلى المتلقى.

أو بأية خبرة نفسية أو وجدانية ، ويُثيره إدراك الأشياء المادية المحيطة به ، أو علاقته المباشرة الواقعية ، حتى تصبح رمزية معنوية ، و تتحول إلى حكمة مكتوبة ، أو ذكرى بعيدة ، فالإنسان قد يغضب عندما يرى عدوه ، أو عندما يقرأ خطابًا ما ، أو عندما تمر بخاطره فكرة عابرة ، و يستجيب الفرد لهذه المثيرات المختلفة ، فيثور فى أعماق نفسه ، و تبدو معالم هذه الثورة النفسية على وجهه ، و فى سلوكه و نشاطه".([٨٧])

وقد أسس العرب والمسلمون القدامى مدرسة نفسية سابقة ، تقوم مرجعيتها على القوالب اللغوية ، والإشارية ، والسياقية ، والأنساق التركيبية الخاصة ؛ بيد أنها لم تكن مشروحة أو مدونة فى مصنف واحد ، استقل بالحديث عنها ، بل نُثرت فى ثنايا تعرضهم للمواد اللغوية المطروحة على اختلاف أنماطها ، وخاصة عند تعرضهم لتفسير آيات الكتاب الكريم ،أو عند تمييزهم بين الجيد و الردىء من الأقوال الشعرية.

وكان من مظاهر إدراك الأسلاف لهذه الضفيرة الكلامية أنهم استحسنوا التطابق بين الكلامين النفسى واللفظى ، وجعلوه معونة سياقية ، تسهم بدور نسبى فى إنفاذ عملية التواصل وإنجاحها ، وتُعد أسلوبًا رفيعًا من أساليب الإفهام والإقناع، ومن ثمَّ الاقتناع ، فيعمد المتلقى إلى اقتناص الفرص اللغوية أو الإشارية ؛ ليصل إلى قصدية مرسل الخطاب اللغوى ، على مستوى البنية السطحية أو البنية العميقة.

وتراثُ أسلافنا المجيدُ له السبق فى إدراك العلاقة الوثيقة بين البعد النفسى والقوالب اللغوية والإشارية والسياقية ، التى ساقها المؤلف ، بوصفها ردةً تعبيرية لذلك الضاغط النفسى ، الذى دفع مؤلف الكلام إلى أن ينتخب – من بين القوالب اللغوية المتعددة – قالبًا ، يعبر عن زفرة نفسية خاصة ، من مرسلٍ إلى متلقٍّ ، ويسوق الباحث نموذجين من علماء العربية ، الذين سبقوا إلى هذا الشأن :

- **<u>عبد القاهر الجرجانى(ت ٤٧١هـ):</u>**

انطلاقًا من هذا الأصل وجدنا **<u>عبد القاهر الجرجانى(٤٧١هـ)</u>** مُشيرًا إلى أن المتكلم – حين يروم التعبير عن أمر ما بصياغة وهيئة معينة – يعمد إلى ترتيبها وفق ترتبها فى نفسه ،

[٨٧] الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة ، د : فؤاد البهى السيد ، ط٤ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٥م : ١٩٥

وتوارد معانيها فى عقله ، بوصف العقل واللغة تابعين للنفس ، إذ إن الأقيس أن يُقال : إن ترتُّب المبانى وفق هيئة مخصوصة هو ناتج عن ترتب المعانى فى النفس وفق ضاغط خاص. وهذا الأمر ليس منسحبًا على الأبعاد الدلالية للحروف ، حيث لا قيمة لها ، بمعزل عن أخواتها من جنس الأسماء أو الأفعال ، أو المصادر، أو الخوالف ؛ إذ إن الحروف لا تصلح – وحدها – أن تؤدى معانى النفس إلَّا فى سياق تركيب ، أو جملة ، أو فقرة ، أو نص ، أو إشارة تعبيرية ، لها وظيفة دلالية خاصة ، أو ظواهر صرفية يقوم بها المتكلم ؛ ليضغط على الحرف ليُظهر معناه الجزئى إلى سطح الدلالة . وحين يعمد الشاعر إلى ترتيب قوالبه اللغوية ؛ فإنه لا يضم الشىء إلى الشىء كيفما جاء واتفق ، بل إنه يُفتش فى نفسه ، ليصور ما بها أحسن تصوير ؛ مستعينًا على ذلك بالعقل و الفكرة.([88])

- **الإمام الآلوسى (ت١٢٧٠هـ):**

كما وجدنا **الإمام الألوسى(ت ١٢٧٠هـ)** مُصرِّحًا بأن للنفس لغتها الخاصة ، التى تحكمها نمطية المرسل والمتلقى ، وأسس المواضعة اللغوية ، التى أكدت على أن لكل قالب لفظى دلالة اجتماعية ، تستعمل فى الحياة اللغوية لجماعة لغوية . يقول فى تفسير قوله – تعالى : **"قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ".([89])**

وقد أشار الألوسى إلى أن الضمير لما يُفهم من الكلام و المقام ، أى : أضمر الحزازة التى حصلت له – عليه السلام– ممَّا قالوا ؛ و قيل : أضمر مقالتهم ، أو نسبة السرقة إليه ، فلم يُجبهم عنها ، (فى نفسه) لا أنه أسرها لبعض أصحابه ، كما فى قوله – تعالى : "ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا".([90]) ... و(قال) : أى : فى نفسه ، و هو استئناف مبنى على سؤال نشأ من الإخبار بالأسرار المذكورة ... كأنه قيل : فماذا قال فى نفسه فى تضاعيف ذلك ؟. فقيل : قال : (أنتم شرٌّ مكانًا). أى : منزلة فى السرق ، وحاصله أنكم أثبت

[88] انظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجانى ، قرأه و علَّق عليه : محمود محمد شاكر ، (د. ط) ، مكتبة الخانجى ، و مطبعة المدنى ، القاهرة ، ١٩٨٤م:٥٠ – ٥٢

[89] سورة يوسف ، الآية رقم : ٧٧

[90] سورة نوح ، الآية رقم : ٩

فى الاتصاف بهذا الوصف ... واستدل بعضهم بالآية على إثبات الكلام النفسى ؛ بجعل (قال) إلخ بدلًا من أسرَّ".([٩١])

وكأن فى الآية دلالة على أن للنفس كلامًا بالمعنى المصدرى ، وقولًا بالمعنى الحاصل بالمصدر، و تعبيرًا عن المقاصد و الأغراض ، قد يستخدمه المؤلف فى عملية التواصل و الإفهام ، ويُشير إلى أن للإنسان كلامًا نفسيًّا و آخر لفظيًّا ، وأن الكلام النفسى سابق للكلام اللفظى ، و اللفظى ، هو : فعل الإنسان باللسان ، وما يُساعده من المخارج .

وتبدو اللغة النفسية هى الآلة الحاسمة للمنجز الأدبى ، انطلاقًا من أن الأديب أو الشاعر، يقتنص كل منهما الأساليب و التراكيب ، بل يزج ببعض الكلمات ، التى تعبر عن انفعاله و قصده تجاه أمر ما ، ومن بين هذا الأساليب النمط الإنشائى ، الذى أحسن الشاعر الفاطمى ظافر توظيفه فى التعبير عن انفعالاته.

وما يزال أرباب الأدب من الأدباء و الشعراء يُلحِّون على أن يضمِّنوا القوالب اللغوية دلالاتهم الخاصة ، وانفعالاتهم إزاء المواقف و المؤثرات، فمنهم ما يسلم بأن القالب الأدبى يقع بين مصطلحات ثلاثة ، هى: الطبع و الصنعة و التصنع أو التصنيع ، ومنهم من يجعله خاضعًا للتحولات و الابتداع ، و منهم من يراه ساذجًا كاذبًا ، ومنهم من ينظر إليه بوصفه سبيلًا للغموض و المراوغات الدلالية. لذا انتخب كل فريق نمطًا شكليًّا من القوالب اللغوية ، يستثمره فى التعبير عن انفعالاته ، و يضمنه دلالات ، أقل ما توصف به ، أنها تعبِّر عن خصوصية بين المؤلف و المتلقى.

وجاء انتخابهم لهذه القوالب اللغوية الشكلية أكثر خصوصية ، فقد يروم بعضهم تحميل القالب المفرد دلالاتهم النوعية وانفعالاتهم ، اعتمادًا على خلفية العلاقة بين المؤلف و المتلقى ، فى حين كان جلُّهم مصرًّا على أن التراكيب – مما يفوق الكلمة المفردة – لها الدور الحاسم فى التعبير عن الذات ، و عن المواقف ، و الموجودات ، فلجئوا إلى الأساليب النوعية فى التعبير عن دلالة ما ، و كثَّفوا من قوالبها لتؤكِّد مقصدهم .

وقد ترتَّب على آلية الخصوصية والانتخاب أن شكلت الجملة الإنشائية الطلبية – ذات الدلالات الانفعالية – فى شعر ظافر ظاهرة انفعالية ، " وهذه الظاهرة تكشف لنا أنه من

[٩١] روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: ج ١٣ : ٣٣

الطبعى بالنسبة للإنسان أن يعتمد على خصائص مشتركة بين حواس مختلفة ، فنحو هذه الأمور هى الأسس الجوهرية للكلام المجازى فى الشعر".([٩٢]) أو السبب الرئيسى لتحقق جماليات الألقاء و التقبل.

فيبدو أن جملة ظافر الإنشائية قد جاءت ذات علاقة مباشرة بنفسه ، و مشاعره ، التى فرضتها مواقف ما ، بين الرغبة والرهبة ، بين اليأس والشوق ؛ بين التهكم و الاغتراب ، ولاسيما في تحريك قوالب جملة الإنشاء بالتقديم أو بالحذف ، أو بالتداخل ، أو بالامتداد ؛ فجاء نمط الإنشاء مفيدًا للكثير من المعاني المتداخلة ، التى تُثير في النفس المتلقية معاني شعورية و نفسية . وحمل نمط الإنشاء عند ظافر معاني أخري تُفهم من السياق ، وقرائن الأحوال.

فقد عبَّرت لديه عمَّا يعانيه من معايشة الأشرار من الناس ، الذين امتلأت بهم الدنيا ، وأن أنفع الناس – في هذه الحياة المتقلبة – هو المكتفي بالذم ، ويُشير إلي أن الخير قليل جدًّا ، لذا نراه يعظ المرء بألَّا يغتر بأحد ، لأن أسفل الرماد يجثم تحته أشد اللهب ، يقول – يحذر من صحبة أهل الشر ، ومن غوائل الدنيا :

أَرَي الشَّرَّ طَبْعَ نُفُوسِ الْأَنَامِ	يُصَرِّفُهَا بَيْنَ عَابٍ وَ ذَامْ .
وَلَكِنَّهَا زُجِرَتْ بِالْعُقُولِ	كَزَجْرِ الْجَمُوحِ بِجَذْبِ اللِّجَامْ .
وَقَدْ يَبْدُرُ الْخَيْرَ مِنْ فِعْلَهَا	كَمَا عَرَضَتْ تِبْرَةٌ لِلْحِسَامْ .
فَلَا يَغْرُرَنَّكَ مَا قَدْ أَظْهَرَتْهُ	فَتَحْتَ الرَّمَادِ أَحَرُّ الضِّرَامْ .([٩٣])

وقد امتازت الجملة الإنشائية الطلبية – عند ظافر– بأنها ذات بنية انفعالية عميقة ، يُمكن إدراجها تحت ما يُمكن أن يُسمى : علم النفس العميق Depth Paychology ، أو علم نفس الأعماق . وجاءت تحمل معانى نفسية كبيرة ، مفعمة بالمعانى العاطفية والانفعالية ، تميل إلى التخييل والتصوير أكثر من اعتمادها على المعانى العقلية ، وهذا يُشير إلى بعض خصائص الفراسة لإدراكه الواقع ، وخضوع قوالبه اللغوية إلى تصوراته النفسية وانفعالاته.

فلا نكاد نُطالع قصيدة لظافر إلَّا وقد جسَّد حالته النفسية ، وذكر نفسه وآلامها ومعاناتها ، بالتصريح تارة ، وبالتضمن أخرى ، وبالتلويح تارة ثالثة ؛ وكذلك يضمنها اعتداده بنقسه ،

[٩٢] انظر : الأسس النفسية للإبداع الأدبى : ١٠٥ (بتصرف).

[٩٣] والبيت من بحر المتقارب ، وفى قافية الميم المكسورة ، والضرام : جمر النيران ، انظر: ديوان ظافر السكندرى ، تحقيق ، د : حسين نصار ، ط١ ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ٢٠١٢م ، : ٢٤٠ / ٢٥٦ – ٢٥٧

وامتلاكها لمقومات القوة والأمل ، من الهمة الوثابة الصادقة ، والسعى الدءوب ؛ فنراه يمج الكسل ، ويحتقر الظلم والتهميش ؛ بيد أنه يخلط بين الألم و الأمل ، بصورة يغدو من العسير الفصل بينهما.

وقد كثَّف منها فى منجزه الشعرى؛ لما لها من قدرة علي إيقاظ الذهن ، وتنبيهه ، وإثارته ؛ حيث إن جميع أنماطها تلفت الانتباه ، و تدفع النفس إلي التوحد ، والتفاعل ، والمتابعة ؛ لما فيها من طلب علي اختلاف مشاربه بين الأمر والإلزام ، وطلب الكف ، والإقبال ، وطلب الحصول ، وتمني الزوال ، والحثِّ ، وغير ذلك من ضروب أنماطها ، لذا فإن إكثار ظافر من أبنية الجمل الإنشاء – والطلبية منها بصورة خاصة– في سياقات متباينة له أبعاد دلالية .

والعجيب أنك تجد ظافرَ قد أورد فى شعره من أنماط الاستفهام التضمينى ، حين يضمن القوالب اللغة معنى الاستفسار، وهي تحمل خبرًا مثبتًا أو منفيًّا ، ويعد هذا النمط من الأساليب اللغوية الرفيعة ، التى تدل على امتلاط المؤلف لأسس الاستلزام الحوارى ، وكذلك قوة العلاقة بين طرفيه المؤلف و المتلقى ، أو تحمل إصرارًا من المؤلف ليسوق قصدًا ما إلى متلقيه.

وقد أجاد ظافر – في جمله الإنشائية الطلبية– في عرض صورة نفسية لما تعايشه نفسه ، فتارة ينتزع المعني من المتلقي انتزاعًا ، أو يفرضه عليه فرضًا ، وأخري يُلح في إشراك المتلقي معه فيما يختلج في ذهنه ونفسه ، من أفكار و مشاعر؛ وإذا كان نمطا جملتى الاستفهام و الأمر يقومان علي الطلب أو التطالب ، فإن ذلك يدلَّ علي احتوائه للمنازعة بين طرفي عملية التخاطب ، مما يوفر صدمة للذهنية أوالوجدان ، صدمة قائمة علي المجاذبة و المشاركة ، والتحاور ، وقد أحسن ظافر استثمار تلكم الخصيصة حينما جالَد نفسه ، بتخيُّله رفيقًا أو رفقاء يحاورهم ، و يجالدونه .

وشيءٌ آخر نجده في شعر ظافر ، وهو أنه قد عمد إلى التقليل من أبنية جملة الإنشاء غير الطلبي ، في حين أنه قد كثَّف من جملة الإفصاح ، وأتي بها علي شكل صور متعددة و متباينة و متداخلة ؛ وقد تتابعت هذه الجملة في شعره ، لما لها من قدرة علي تجسيد حالة اللوعة و الاغتراب والتحسر والتشوق والبكاء ، واستحضار الذكريات ، و امتداد المشاهد ؛ ليدفع المتلقى إلي مشاركته الحالة النفسية التى يعيشها ، ولما لها من قدرة علي التأثير في نفس المتلقي . وإذا أردنا التدليل علي ما سبق ، دُفعنا إلي نفس ظافر دفعًا نستفتحها ، و

نستنطقها ؛ ووجدنا عجبًا ، وهو أن قصائد الذات والاعتداد بالنفس تتزاحم فيها جمل الإنشاء الطلبى ، لأن ظافر يعلم كنه نفسه .

فجاء منجزه مستثمرًا طاقات الجملة الإنشائية الطلبية ؛ ليعبر عن نفسه المترددة ، وصراخه الدائم ، وتعلقه بوطنه ، وحنينه إلي الإسكندرية ، والتعبير عن عذابات نفسه. وقد عكست جملته الطلبية شيئًا يتعلَّق بعقله أو قلبه ، أو بنفسه ، وكأنه يوارى نفسه بين صنوف الكلام النفسى ؛ وإذا لحظه المتلقي في مطلع القصيدة ، توقع تتابعه و لزومه في غالب أبياتها ؛ وكأن ظافرَ يُريد بتكثيف جملة الإنشاء أن يستحضر أمرًا غائبًا عنه ، أو أن يستجدي قامة عزَّ الاقتراب منها ، أو يرجو حصول شيءٍ صعب الحصول عليه، فاستحسن إيراد أنماط الإنشاء ، تألفها أذن المتلقي، وتستعذبها ، فيشاركان في ما يرومه ظافر.

يجدر بالباحث أن يقرَّ باطمئنانه أن ظافرَ الحداد قد حمَّل جملة الإنشـاء الطلبي معاني نفسية وانفعالاتٍ ذاتية أرشد إلي إدراكها بقوالب لغوية مجاورة لها ، أو متباعدة عنها ؛ و اعتمد علي قرينة علم المخاطب ، أو ترك أمرها إلي السياق المحيط لقصده ، أو عوَّل الأمر فيها علي قوةٍ إدراكية للمتلقي ، من خلال تكامل القرائن المصاحبة ، فتارةً يُشير إلي التشويق ، وأخري يقصد التهكم ، وثالثة يكشف عن ندمه و تحسره ، مما جعل نمطه المقصود فى خطاب الإنشاء نموذجًا للإبداع الدلالى فى القوالب و التراكيب اللغوية ؛ **مما كان سببًا مباشرًا لإنجاز هذا البحث بغية الكشف عن التجليات العميقة والدلالات التركيبية لقوالب تركيب جملة الإنشاء الطلبية فى شعر ظافر .**

من المفيد الإشارة– أوَّلًا– إلى أنه بعد التعريف بالسياقات الحياتية و القرائن المصاحبة المشكلة لشخصية ظافر ، ولمنجزه الشعرى ، انتخابًا ، وصياغًا ، وترتيبًا ، وتوظيفًا ، وبعد التعريف بصاحب هذا المنجز الشعرى المتفرد ، حرى بالباحث أن يدلف للتعرُّض لتحليل بعض شواهد هذا المنجز الشعرى من النماذج التطبيقية ([٩٤])؛ بغية تفسيرها ،واستنطاقها .

وحتى يُجيب البحث عن التساؤلات المطروحة ، والتى تستفسر عن عِلِّيَّةِ اختيار الباحث لنمطى الاستفهام و الأمر من بين خطابات الطلب عند ظافر؟. وما الذى انفرد به أسلوب

[٩٤] أقام الباحث هذين المحورين الخاصين بجملتى الاستفهام و الأمر من خطاب الطلب ؛ ليسوق – من خلال تحليلها واستنطاقها– أدلة تطبيقية على تميز المنجز الشعرى عند ظافر عن غيره من شعراء مصر الفاطمية،

ظافر ، فكان سببًا فى تميُّزه عن غيره من شعراء مصر الفاطمية؟. وكذلك لماذا لم يُفصل بين نمطى خطاب الطلب (الاستفهام والأمر) بأن يُدرس كل نمط فى بحث مستقل؟.([٩٥])

سيتوقف الباحث مع بعض التماذج التطبيقية – بالمناقشة و التحليل– التى يُترجح أن تكشف عن إبداع دلالى من خلال أبعاد التحليل النفسى ، وسيعقد الباحث هذين المحورين ، اللذين يختصان ببحث الإبداع الدلالى للجملة الإنشائية الطلبية فى شعر ظافر ، فى نمطىْ الاستفهام و الأمر من خطابات الإنشاء الطلبى، عند ظافر على النحو الآتى:

المحور الأول([٩٦]): الإبداع الدلالى فى نماذج تطبيقية لجملة([٩٧]) الاستفهام فى شعر ظافر:

يحسن بنا أن نقول : يعد الاستفهام أكثر خطابات الإنشاء الطلبى أهمية ، إذ عليه مدار إشباع غريزة الإنسان فى الاستفسار والتواصل ، وفى التعبير عن انفعلاته ، لذا شاعت جملة الاستفهام – فى شعر ظافر– حتى إننا نستطيع وصفها بالظاهرة الكلامية أو التركيبية ، التى تغلب على قوالب ظافر اللغوية فى لغته الشاعرة بعامة ، مما يدفع إلى الظن بأن شاعرنا كان يعانى حيرةً و ترددًا ، فهو دائم الاستفهام ، وقد استثمرها ظافر فى التعبير عن انفعالاته ،

[٩٥] يرجع هذا الأمر إلى تبنى الباحث فكرة كلية ، وهى التداخل الانفعالى بين دلالة النمطين ، والمقصود – هنا- أن النمطين يشكلان فكرة نفسية ، حيث إن خطاب الطلب بالأمر يتبع مباشرة خطاب الطلب بالاستفهام الإنسان ، و تحصيله لما لم يكن حاصلًا.

[٩٦] ينبغى الإشارة إلى أن ترتيب محوريْ هذا البحث جاء منطلقًا من افتراض أن الإنسان يبدو – فى أول أمره – مستفهمًا ، طالبًا للمعرفة ، راغبًا فى طلب ما لم يكن حاصلًا ؛ حتى فى تأمله ، وتفكره ، فذلك نمط من أنماط الاستفهام ، حتى إن لغة جسدته تبدو مزودة ببواعث الاستفسار والطلب ، ثم بعد أن يُجاب إلى استفساراته ، يشرع فى عرض انفعالاته الطلبية ، من الأمر ، والنهى ، وغير ذلك من آليات التواصل بين أطراف الاستلزام الحوارى من المؤلف والمتلقى والسياقات والقرائن المحيطة .

[٩٧] يؤمن الباحث بأنه – أثناء تعرضه للتراكيب الانفعالية فى جملتى الاستفهام و الأمر – لا يصح له – بحال– أن يقوم – من باب التحيُّز للفكرة ، أو الاختيار المعتمد لنمط من الأقوال الشعرية– بِلَيِّ قوالبه ليطوع دلالته ، يستدل بها على فكرة نوعية ، بأن يقدم ، أو يؤخر ، أو يحذف أو يزيد ، أو يعدل فى صيغه و عناصره ، أو يقوم بعمليات استبدال لفظية توافقية أو تعويضية . إذ إن تراكيب الانفعال – فى اللغة الشاعرة– ترتبط بحالة وجدانية ، يتأثر وجدانُ الإنسان بها أو فكرُه ، أو كلاهما ، فتلحقه تغيرات انفعالية على وجه الخصوص ، جراء استجابته لبواعث الانفعال ، لذا لم ينتخب الباحث شواهده من باب الذاتية أو التطويع لفكرة نفسية أو نوعية ؛ بل مدار الأمر على أن ظافرَ قد ملّا الدنيا – متمثلًا فى منجزه الشعرى– صراخًا ، وتعبيرًا عن معاناته ، حتى إننا لنجد منجزه الشعرى **لا يغدو أن يكون استفهامًا و أمرًا** ، فبدا مستفسرًا عن أسباب معاناته ، طالبًا – بصورة تقترب من الأمر– مخاطبه بأن يكف عن كل ذلك ، أو مستميلًا لمتلقٍّ ، يرجوه أن يُشاركه انفعاله.

وفى عقد صلة وثيقة بينه و بين متلقيه ، ليشاركه انفعالًا ما ، مؤكدًا على أن نمط الاستفهام مما يُسهم فى تحقيق دينامية الاتصال والتواصل ، إذ يقوم على استفسار ، و تقديم جواب ، فالطرفان مجبران على التشارك فى عملية الاستلزام الحوارى .

تجدر الإشارة إلي أن لكل أداة من أدوات الاستفهام – حرفًا كانت أم اسمًا – خصائص أسلوبية ، استعمالية و دلالية ، تختص بها من دون أخواتها ، بيد أننا نحاول – في هذا الجزء – عرض القواسم المشتركة بين أدوات الاستفهام ، علي الغالب فيها ، وقد شملت جملة ظافر الشعرية جميعها ، وذلك كما يلي :

إن لها الصدارة ، و يُستخبر بها عن أمر غاب عن ذهنية المؤلف لسياق الاستفهام.

بعض قوالب الاستفهام ليس له حيز فيما يخص الموقعية الإعرابية. والآخر يتنقل بين المواقع الإعرابية المختلفة .

تختص الهمزة وهل بالدخول علي بعض أنواع الجمل ، ولا تقوي لأن تباشر البعض الآخر.

تُشير أحرف الاستفهام وأسماؤه إلي معانٍ ،وإيحاءات بلاغية خاصة ، يفرضها السياق، ويفسرها المتلقي.

من اللافت للنظر أن ظافرَ الحداد كثيرًا ما كان يبدأ قصائده بالاستفهام ، وحيث إن مطلع القصيدة هو عنوانها ، وهو الممهد الدلالي لما يقصده الشاعر ، لذا كان مثار عناية ظافر واهتمامه ، وقد صدَّر ظافر أبياته ، بل قصائده بالاستفهام ؛ حتي يستميل المتلقي ، ليلتفت إلي القصد من أول الكلام ، وفي هذا مراعاة لضوابط الاستلزام الحواري ، حيث يوفر المؤلف لمتلقيه المعينات اللفظية والإشارية ، الكاشفة لقصده.

لقد نجح ظافر فى استخدام جملة الاستفهام فى التعبير عن حالته النفسية و الوجدانية ، إذ تقوم قوالب الاستفهام على استنفار أكبر قدر من حواس المتلقى ، والتأثير فيه ، واستدعاء المخزونات المعرفية و الوجدانية لديه ، ودفعه إلى إدراك مضامين جملة الاستفهام ، ويظل متيقظًا ، وباحثًا عن جواب لما أُستفْسر عنه .

إن المتأمل للقوالب اللغوية الاستفهامية فى شعر ظافر يُدرك أن الرجل قد مارس فعل الإدهاش لمتلقيه ، بوصفه حالة تواصلية ؛ وكذلك فعل المفاجأة لذهنه ووجدانه التى " بددت خموله ، وانتهكت جمود التوقع لديه ؛ وأنشأت جدلية حركية حيوية بين المبدع والمتلقى عبر

تركيب السؤال، ذلك الذى يجعل المتلقى فاعلًا أصيلًا فى التجربة الإبداعية، بما تتضمنه من تنازع، وتجاذب، وانتقال من رتابة إلى دينامية فيما يخص إنفاذ التواصل وإنجاحه".([٩٨])

ونلحظ – حين نطالع أنماط الأساليب الإنشائية فى شعر ظافر– أنه قد أجاد فى توظيف خطاب الاستفهام فى الكشف عن حالاته النفسية المتعددة ؛ فخلع عن الأساليب الإنشائية معناها التى وُضعت له ، وألبسها ثوبًا جديدًا ، أظهر به حيرته ، واضطراب نفسه ، و رصد بها حالة الطرد التى يتجرع مرارتها ، وما يتعلق به من الألم و الأمل ، واقتضى الأمر أن نتعرض لخطاب الاستفهام و جملته ، قبل الشروع فى إبراز التجليات الدلالية ، و الإبداع التركيبى عند الرجل ، من خلال تحليل بعض النماذج من خطاب الاستفهام. ويكون ذلك على النحو الآتى:

- **<u>حول الاستفهام و جملته فى شعر ظافر:</u>**
- **<u>مفهوم الاستفهام فى اللغة و الاصطلاح :</u>**
- **<u>مفهوم الاستفهام فى اللغة:</u>**

يُشتق الاستفهام من الفهم ، وطلبه ، ومادة الأصلية ، وجذوره المتأصلة هى: (الفاء ، والهاء ، والميم) ، بعد حذف أحرف الزيادة الثلاثة ، وهى: المورفيمات Consonants السوابق الدالة علي الطلب ، حين تسبق الفعل باختلاف أنماطه ، وهى : (ألف الوصل ، والسين ، والتاء) ، و معني المصدر(الفهْم) هو : المعرفة ، وطلب العلم ، والمعرفة بالقلب، يُقال : فهمت – بكسر العين – علي الأصل من الفعل الماضي (فهمت) الشيء أفهَمه – بفتح العين ، من العين المضارع : فهمًا ، بفتح الفاء ، و فِهمًا بكسرها ، و فهامة بإلحاق المصدر مورفيم لاحقة تاء التأنيث الدالة علي المبالغة في الوصف بالشيء ، والفهم : " معرفتك الشيء بالقلب ؛ فهمه فهْمًا ، وفَهَمًا ، وفَهامةً ؛ علمه ، و فهمتُ الشيء : عقلته ، وعرفته ، واستفهمه : سأله أن يُفهِمَه ، وقد استفهمنى الشيء ، فأفهمته ، و فهمته ، تفهيمًا ".([٩٩])

ويُقال : " أفهمت فلانًا الكلام ، و فهمته إياه : جعلته يفهمه ، و تفهمت الكلام : فهمته شيئًا بعد شيءٍ ، ويُقال لسريع الفهم : فَهِمٌ ، وفهْمٌ ، فهَمٌ ، بكسر الهاء وفتحها وسكونها ؛ فإذا ما

[٩٨] الجملة الطلبية فى سورة يوسف ، دراسة تركيبية دلالية : ٣٩٦

[٩٩] لسان العرب ، ج ٥ ، ٣٤٨١ ، مادة : (فهم).

أُضيفت مورفيمات الطلب **(است)** ، تغيَّر المعني ، فيقال : استفهمت فلانًا الكلام : طلبت منه أن يُفهمني إيَّاه ، فأفهمني ، و فهَّمني إياه ، وكأن الاستفعال – هنا – مقصود به الطلب ، ونظيره : الاستخبار ، وهو : طلب خبر ما ليس عند المستخبِر ، فهو مثل الاستفهام لفظًا ومعني ، وقد فرَّق البعض بين المصطلحين ؛ بأنْ جعل في الاستخبار عمومًا وفي الاستفهام خصوصًا ؛ حين جعل المستخبر يُجاب بشيءٍ قد يفهمه وقد لا يفهمه ، فإذا سأل ثانية ، فهو مستفهِمٌ ، يقول : أفهمني ما قلت لي ".([100])

- **مفهوم الاستفهام في اصطلاح اللغويين :**

اصطلح اللغويون على أن أسلوب الاستفهام نمط من أنماط الإنشاء الطلبى([101]) ، ومن المعلوم أن الاستفهام – تدور مادته اللغوية – حول طلب الفهم ، فيما يكون المستَفْهم عنه مجهولًا لدى المتكلم ، وهو : طلب المعرفة حول شىء معين ، أو هو : طلب حصول صورة الشىء – الذى لم يكن معلومًا من قبل – فى الذهن بأدوات مخصوصة ؛ فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين شيئين أو لا وقوعها ؛ فحصولها هو التصديق ، وإلا فهو التصور. ([102]) وله دور كبير فى رفع الكفاءة الإعلامية للخبر ، أو القصد ؛ نظرًا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع ، فى عملية الاستدلال ؛ بحيث إنه يشركه ، بحكم قوة الاستفهام و خصائصه ، فهو أسلوب إنشائى ، يخدم مقاصد الخطاب ، ويؤدى دورًا حاسمًا فى الإقناع بالحجة .([103])

ويذكر ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ) أن الاستفهام يقتضى الفعل و يطلبه ، لأن الاستفهام – فى الحقيقة – إنما هو عن الفعل ، لأنك إنما تستفهم عمَّا تشك فيه ، و تجهل علمه ، و الشك إنما وقع فى الفعل ، و أما الاسم فمعلوم عندك . ([104]) وهو – بذلك – يشير إلى الاكتمال الدلالي للجملة أو الجمل ، فيقرر أن حرف الاستفهام ؛ إذا كان ، إنما دخل للفعل لا الاسم ؛ كان الاختيار أن يليه الفعل الذى دخل من أجله ، و إذا وقع الاسم بعد حرف الاستفهام ، و كان بعده فعل ؛ فالاختيار

---

[100] أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشري ، (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، (د . ط) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م : ٣٤٩

[101] انظر: الجملة الاستفهامية فى الأعمال الشعرية ، لعبد العليم أبو النجا عيسى ، منال محمود فكرى محمود ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد ٤٢ ، ديسمبر : ٢٠١٧م : ٥٨

[102] التعريفات ، للجرجانى ، تحقيق : إبراهيم الإبيارى ، ط١ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٩٢م : ١٧ – ١٨ .

[103] انظر : البنية الحجاجية فى القرآن الكريم (سورة النمل أنموذجًا) ، د : الحواس مسعودى ، مجلة اللغة و الأدب ، معهد اللغة العربية وآدابها ، العدد : ١٢ ، ديسمبر ١٩٩٧ م : ٣٤١– ٣٤٢

[104] شرح المفصل ١ : ٨١

أن يكون مرتفعًا بفعل مضمر ، دلَّ عليه الظاهر ؛ لأنه إذا اجتمع الاسم و الفعل ؛ كان حمله على الأصل أولى ، و ذلك نحو قولك : أزيدٌ قام ؟ و رفعه بالابتداء جيدٌ حسنٌ ، لا قبحَ فيه ؛ لأن الاستفهام يدخل على المبتدأ و الخبر .([١٠٥])

ومن المعلوم أن الاستفهام هو طلب الفهم والمعرفة ، حول أمر لم يكن موجودًا فى ذهنية المؤلف ، ولا فى وجدانه ، وهو قسر الفكر الجمعى لدى المتلقي ؛ ليدلى بمخزونه حول ما طلب المؤلف التثبت المطلوب ؛ وليس من شك فى أن الاستفهام يمثل عامل ضغط على ذهنه ؛ فيدفعه إلى الغوص فى كل ما حوى عقله ووجدانه؛ من خبرات، ومعارف ،وتجارب، مما يترك أثرًا بالغًا فى نفسه، ومن ثم تكون التجربة أشد لصوقًا بقلبه.

وقد عبَّر الرازي(ت ٦٠٦هـ) عن جمالية الاستفهام ، فى تعليقه على قوله – تعالى : "قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ".([١٠٦]) و يحلِّل الرازي جمال التعبير بالاستفهام ، قائلًا : " إن معني الكلام : إذا كان ظاهرًا جليًّا ، حتى كان حقيقة ، لا جدل حولها ؛ ثم ذكر على سبيل الاستفهام ؛ كان ذلك أبلغ ، وأوقع فى القلوب ؛ لاسيما أن فرض الجواب على السائل ، على سبيل الإقرار ؛ على الرغم من الاحتجاج، يحصل لو اعترف الخصم به، لأن فى ذلك تنبيهًا على أن هذا الكلام بلغ من الوضوح إلى حيث لا حاجة فيه إلى إقرار الخصم ، وأنه سواء أقر أم أنكر ، فالأمر متقرر ظاهر".([١٠٧])

عرَّف سعد الدين **التفتازاني**(ت ٧٩٢ هـ) الاستفهام ، بقوله : " هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة ، أو بعبارة أدق : الأدوات الموضوعة له".([١٠٨]) ويكون بإحدى القوالب الاستفهامية المعروفة ، من أحرف الاستفهام أو أدواته المتعددة ، أوقد يُستفهم بتحويل معنى خبرى إلى صيغة استفسارية ، من باب تضمين الكلام الخبرى معنى الإنشاء ، كما هى الحال فى الأسئلة المقدرة ، أوالإجابة عن السؤال بسؤال ، أو بتحويل بعض قوالب الأسلوب الخبرى إلى وسيلة استفهامية من خلال الظواهر اللغوية ، من مثل : التنغيم ، أو الإطالة ، أو

---

[١٠٥] شرح المفصل ١ : ٨١

[١٠٦] سورة يونس ، الآية : ٣٤

[١٠٧] انظر : نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ، لفخر الدين الرازى ، تحقيق ودراسة : بكرى شيخ أمين ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥م : ١٣٩ – ١٤٥

[١٠٨] انظر : مختصر المعانى ، سعد الدين مسعود بن عمر ، ضمن شروح التلخيص من كتاب المطول شرح تخليص مفتاح العلوم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوى ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، وط /إيران ، ١٩٦٨م ، نسخة pdf، ٢ : ٢٤٦

التقسيم المقطعى ، أو الضغط على مقطع معين من مقاطع القالب اللغوى([١٠٩]) ، أو استخدام الإشارة أو التعبيرات الجسدية فى الاستفهام ، اعتمادًا على معونة السياقات المحيطة ؛ لذلك يميل السيوطي (ت ٩١١هـ) إلي القول بأن " الاستفهام هو: طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلًا عنده ، مما سأله عنه ".([١١٠])

بعبارة أخرى ؛ فإن الاستفهام غرضه طلب المعرفة ، فلا يصح لتعبير الاستفهام إثبات أمر هو يطلبه ، حيث لا خبر فيه ، إنما هو طلب للخبر ، إذ هو استعلام ما فى ضمير المخاطب ، وقيل هو طلب حصول صور الشيء فى الذهن ؛ فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها ؛ فحصولها هو التصديق ، و إلا فهو التصور والالتحام فى الذهن والقلب.([١١١]) فيكون الاستفهام طلبًا للبيان عما طرحه من مضمون، ويقوم المؤلف بالتضييق على المتلقى ، و حصره حتى يستبين خبره .و كأنه أداة لتنبيه السامع .

وأما عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) فقد جاوز هذا التصور من قبل؛ حين عدَّ الاستفهام مذهبًا بلاغيًّا، يعتمد على أبعاد المعيار والذوق والحس والقبول الاجتماعي؛ ويعبر عن ذلك بصورة مختصرة، قائلًا:" إنك إذا كان موضع الكلام على دخول الاستفهام على الفعل؛ كان الشك والسؤال أن تعلم وجوده ، أما إذا بدأت بالاسم كان الشك فى الفاعل، من هو ؟ و كان التردد فيه ".([١١٢])

تلك صورة أشار إليها عبد القاهر ، فى حديثه عن الاستفهام و مواضعه ؛ فقد جعل الاستفهام وسيلة من وسائل الشك الدلالى ، و التردد فى إثبات مضمونه ، من قبل أطراف الخطاب اللغوى ، و حدد أدوات معروفة للاستفهام ، فى حياة الناس اللغوية ؛ كما أنه أوجب له صياغة خاصة ، و جعله مفيدًا للشك ؛ إذا ما كان بالهمزة ، نحو : أأنت فعلت كذا .([١١٣]) والمفهوم من كلام عبد

---

[١٠٩] انظر : البيان و التبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : ناصر مهدى محمد جاد ، ط١ ، مكتبة القدس ، القاهرة ، ٢٠١٣م : ٧٥

[١١٠] الأشباه و النظائر في النحو، الإمام السيوطي ، تحقيق ، د : عبد العال سالم مكرم ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، م٢ : ٤٣

[١١١] التعريفات : ٣١

[١١٢] دلائل الإعجاز : ١١١

[١١٣] انظر : دلائل الإعجاز : ١١١– ١٢٨

القاهر الجرجانى أن الاستفهام يربك المتلقى([١١٤]) ، و يثير لديه نوعا من الدهشة ؛ لأنه طلب ما ليس عند المؤلف ؛ فالمتلقى يحاول تقديم تفسير مقنع لما طلبه المؤلف .([١١٥])

وبذلك استطاع عبد القاهر أن يستخرج معاني الهمزة فى استعمالات كثيرة و مختلفة ، و أن يفرق بين إفادتها بطريقة الاستفهام ؛ فإن كان الاستفهام الإنكاري يؤدي معني أنه لا يكون أو أنه ينبغى ألا يكون ؛ فإن لطريقة الاستفهام فضلًا على هذه الطريقة المعهودة .([١١٦])

ويُحمد لعبد القاهر احتفاؤه بالمتلقى ، حيث يجتهد – عبد القاهر – فى توضيح المعني و تقريبه إلى ذهن القارئ ؛ بأن يُكثر من ذكر الأمثلة التطبيقية ، و يستشهد لذلك ، و كأنه ينبه القارئ ، ويحثه على تتبع المعني ، والإلحاح فى طلبه ، يقول : " و اعلم أنا ، و إن كنا نفسِّر الاستفهام بالإنكار ؛ فإن الذى هو محض المعني ؛ أنه لِيتنبه السامع ، حتى يرجع إلى نفسه ، فيخجل ويرتدع ، و يعيى الجواب ".([١١٧])

ولم يقتنع الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ) بأن الاستفهام مفيد للنفى حال دخوله على النفى، إنما هو مفيد لمعنى التأكيد والتقرير ، ولكن على سبيل التهكم ، من قلة حيلة المخاطبين ، واستحقاقهم لما تضمنه أسلوب النفى ؛ يقول ، معلقًا على قوله – تعالى : " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ".([١١٨]) ويقف كثيرًا عند المعانى الإضافية للاستفهام ، و لعل مما أضافه أن الاستفهام إذا دخل على النفى ؛ أفاد تحقيقًا ، كقوله – تعالى : " أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ".([١١٩]) فقد روى أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – كان إذا قرأها ، قال : سبحانك ! بلى ".([١٢٠])

فلو تتبعنا النص وفقًا لظاهره ، ساقنا ذلك إلى القول : إن الله – تعالى– يطرح تساؤلا على عقول الناس ، مطالبًا إياهم بالجواب على ذلك ، أنه ليس فى جهنم موضع يستوعب الكافرين ، تعالت

---

[١١٤] انظر : دلائل الإعجاز : ١١٧

[١١٥] الإيضاح فى علوم البلاغة ، جلال الدين القزوينى ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٩٨م : ١٤٢

[١١٦] البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري وأثرها فى الدراسات البلاغية ، د : محمد حسنين أبو موسى ، (د. ط) ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، (د.ت) : ١٠٥

[١١٧] دلائل الإعجاز : ١١٩

[١١٨] سورة العنكبوت ، الآية رقم : ٦٨

[١١٩] سورة القيامة ، الآية رقم : ٤٠

[١٢٠] الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، للزمخشرى ، شرح و ضبط و مراجعة : يوسف الحمادى ، ط١ ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، ٤ : ٥٦٧

قدرة الله عن ذلك علوًّا كبيرًا . هذا ظاهر النص ، أما الزمخشرى فقد حمل التركيب على التقرير ، أو الإخبار بأن جهنم مثواهم ، مهما كانت أعدادهم ، طالما أنهم مشمولون بعقيدة الكفر . و فى هذا السياق يقول : " (أليس) تقرير لثوائهم فى جهنم ، كقوله : ألستم خير من ركب المطايا ؟ على سبيل التقرير ، لا الاستفهام . قال بعضهم : و لو كان استفهامًا ؛ ما أعطاه الخليفة مائة من الإبل ، و حقيقته أن الهمزة همزة الإنكار ، دخلت على النفى ، فرجع إلى معنى التقرير .([١٢١])

وتجدر الإشارة إلى أن الاستفهام سلوك لغوى فكري موجَّه من مؤلف إلى متلقٍ ، يروم المؤلف استدعاء ما يطلبه ، من خلال الصدمة لأفق التلقي لدى متلقيه ، فيعمد المتلقي إلى استدعاء ما يجيب به عن هذا الاستفهام ، من مخزونه الفكري أو النفسي أو السياقى ، و يتلاقى الطرفان – المؤلف و المتلقي – فى أسلوب الاستفهام تلاقيًا نفسيًّا قبل كل شىء ؛ بل إن المؤلف ليتوجه بالاستفهام إلى متلق ما ليسرى عنه ، مراعيًا حالته النفسية ، و مستندًا على قرينة علم المخاطب ؛ وأحيانًا لا يكون الاستفهام طلبًا للفهم ، فقد يسأله مؤانسة ، أو تنبيهًا و إيقاظًا لنفسه، و هنا يبادل المتلقي المؤلف الموقف ذاته ؛ فيلجأ إلى الإطناب أنسًا .

وعلى ذلك لم يرتضِ الزمخشري أن يُحمل الإطناب ، فى قوله – تعالي – على لسان سيدنا موسي – عليه السلام : "قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ".([١٢٢]) على أنه لمجرد التلذُّذِ بالخطاب ، إنما عبَّر عن فهمه للآية الكريمة وفق سياقاتها المحيطة ، وقرائن تحليلها المصاحبة . يقول : " وهو تملُّك الخوف من سيدنا موسي – عليه السلام – وهذا الخوف لا يعيب الأنبياء ؛ فالإله يناديه ويسأله ، وليس الغرض من الاستفهام طلب الفهم ؛ وإنما المؤانسة ، والتقرير ، والتنبيه ، والإيقاظ ؛ ودليل ذلك أن حال المتكلم والمخاطب معًا له الأثر الرئيس فى هيئة الكلام ، وفى كلام الزمخشري مراعاة للعقل البشرى وولوج قلبه ، إذ قالوا : إنما سأله ليبسُط منه ، ويقلل هيبته ".([١٢٣])

كما يقرِّر السكاكى(ت ٦٢٦هـ) أن هناك عددًا من الكلمات الموضوعة والمستعملة فى الاستفهام وقد شمل حديثه حرفى الاستفهام : الهمزة، وهل ، مؤكدًا أنهما حرفان يتفاوتان فى الدخول على

[١٢١] الكشاف : ٣ : ٤١٢
[١٢٢] سورة طه ، الآية رقم : ١٨
[١٢٣] انظر : الكشاف ٣ : ٥٣

الجملة الفعلية والجملة الاسمية، بيد أنه قد يغلب دخول أحرف الاستفهام على الفعل، إلا أنهم قد توسَّعوا فيها، فابتدأوا بعدها الأسماء.([١٢٤])

وقد ورد في كلام العرب ما يُشير إلي جواز حذف القالب اللغوي ، الذي دخلت عليه حرفا الاستفهام ، الهمزة ، أو هل ، لوجود القرينة الدالة علي ذلك ، سواءً كانت قرينة لغوية أو سياقية ، كما في قولهم : أقعودًا وقد سار الناس ؟ . أى : أتقعد قعودًا وقد سار الناس .([١٢٥]) ولا تشغل أحرف الاستفهام– علي الأصح – موقعًا إعرابيًا؛ فإن أحرف الاستفهام لا محل لها من الإعراب.

ولعل السبب – في تصدُّر قوالب الاستفهام ، الجمل و قوالب التراكيب اللغوية والعبارات ، هو ما قرَّره سيبويه من أنهم يُقدِّمون ما هو عندهم بيانُه أهمُ ، يقول – في تعليقه علي جواز تقديم المفعول علي الفاعل :" وهو عربي جيد كثير ، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعني ، وإن كانا = جميعًا – يهمانهم و يعنيانهم".([١٢٦])

وللاستفهام نوعان أحدهما ، حقيقي ، وهو: طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة عملية مجهولة لدى المستفهم ، بكسر الهاء. والآخر، مجازي : وهو : ما كان المستفهم (اسم فاعل) عالمًا بما استفهم عنه ، فيقصد منه – حينئذٍ معانى بلاغية لغرض يقصده المستفهِم ، يكون ذلك بإحدى القوالب اللغوية الموضوعة للاستفهام ، والمستعملة له ، أو ما يُمكن تسميته : الاستفهام الافتراضى أو المضمَّن .

وتشغل أسماء الاستفهام موقعًا إعرابيًا ، حسب فتئتها و نوعها ، وموقعها فى التركيب النحوى ، وحسب ورودها في الكلام ، وبحسب مقتضيات السياق. فقد تشغل موقع المرفوع ، نحو: ما عندك ؟ أو ما في الدار ؟. وأيُّ معلم يشرح بطريقة سهلة ؟. فقد شغلت – هنا – موقع المبتدأ .

وقد تشغل موقع الخبر المقدم ، نحو : كيف يومُك ؟. وقد تشعل لا تأتي أسماء الاستفهام مع جملة الأحرف الناسخة ، لفساد الدلالة ، حيث لا يجتمع أسلوبا الإنشاء و الخبر في سياق واحد ، وقد تشغل موقع المنصوب بأن تشغل دور المتمم أو المكمل ؛ مع احتفاظها بالصدارة ، فتأتي أسماء الاستفهام في موقع الخبر المقدم للناسخ الفعلي الناقص ، نحو : كيف كان يومك ؟. أو

[١٢٤] انظر : مفتاح العلوم : ٣٠٨

[١٢٥] انظر : المقتضب ، للمبرد ، تحقيق : حسن حمد ، مراجعة ، د : إميل يعقوب ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ج ٢ : ١٨٨

[١٢٦] الكتاب: ج١: ٣٤

تشغل موقع المفعول به ، نحو : متي تتخرج في الجامعة؟ . أو حالًا ، نحو : كيف تفوك صديقك ؟. أو تشغل موقع المفعول المطلق ، نحو : قوله – تعالي : " إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ".([١٢٧])

وقد تشغل موقع المجرور ، بأن يسبقها مورفيم سابقة حرف الجر ، نحو : بمن اتصلت ؟. و علي من تفوقت ؟. و بكم درهم اشتريت ؟. و قد يكون الجار اسمًا مضافًا ، نحو : كتاب من قرأت ؟. فقد شغل اسم الاستفهام (من) موقع المضاف إليه المجرور ، لكن غابت علامة الإعراب الظاهرة أو التقديرية ، و صار مرد الأمر إلي المحل ، فصارت : اسم استفهام بمعنى الاسم الموصول (الذي) مبني علي السكون في محل جر مضافًا إليه .

من المعلوم أنه إذا كان الخبر اسم استفهام مجرورًا بحرف الجر، والمبتدأ معرفة ، فللخبر – في هذا الموضع– صدر الكلام؛ لأن حروف الجر لا تغير من استحقاق أسماء الاستفهام لصدرية الجملة ، لذا قال سيبويه : " فحروف الجر لم تغيرها، عن حال الجزاء، كما لم تغيرها عن حال الاستفهام".([١٢٨]) وذكر عبد القاهر في كتابه (المقتصد) أن " الشيء إذا لم يكن داخلًا في حيز الاستفهام ، جاز تقديمه علي كلمته ، تقول: بمن مررتَ ؟ ، وفي أي مكان أنت ؟. فتقدم الباء، وفي علي (من) و(أي) ؛ مع تضمنهما معني الاستفهام، لأن الحرف لا يدخل فيه معني الاستفهام".([١٢٩])

والمعانى التى يحملها الاستفهام – وقد يخرج بها عن أصل دلالته– كثيرة ، لكونها رهينة القرائن المحيطة والسياقات المصاحبة والأحوال الشاهدة ، فقد يبزر – من تلك المعانى– قسمان ، أحدهما : هو استفهام التقرير(الإثبات) ، والآخر: استفهام الإنكار(النفي).([١٣٠]) وقد يرد الاستفهام بمعانى غير حقيقية ، فيُراد به معانٍ أخري ، مثل التعجب ، والتنبيه ، والوعيد ، والتقرير ، والإنكار، والتوبيخ ، وتتكون جملة الاستفهام من عناصر أربعة ، هى:

- المستفهِم وهو : المتكلم .

---

[١٢٧] سورة الشعراء ، الآية رقم : ٢٢٧

[١٢٨] انظر : الكتاب : ٣ : ٧٩

[١٢٩] انظر : كتاب المقتصد فى شرح الإيضاح ، : عبد القاهر الجرجانى ، المتوفى سنة ٤٧١هـ ، تحقيق الدكتور : كاظم بحر المرجان ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة و الإعلام ، (د . ط) ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢م ، م١: ٦٧و م١ : ٢٢٥

[١٣٠] الجملة الاستفهامية فى الأعمال الشعرية لعبد الحليم أبو النجا عيسي ، دراسة و تحليل و إحصاء : منال محمود فكري محمود ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد ٤٢ ، يناير ، ٢٠١٧م : ٥٨ و ما بعدها

- المستفهَم منه ،هو : المخاطب .
- المستفهَم عنه ، و هو مدخول أداة الاستفهام .
- أداة الاستفهام ، وهو القرينة اللفظية لجملة الاستفهام .([١٣١])

وبعد أن عقد الباحث حديثًا مختصرًا حول الاستفهام وبعض ما يتعلق به ، وبجملته ، حرى به أن يدلف إلى تحليل بعض تلك النماذج التطبيقية ؛ بهدف استنطاقها ، وتحليل قوالبها ، واستكناه دلالتها التركيبية ، بغية إبراز ما فيها من إبداع دلالى ، بيد أنه ينبغى التنبيه إلى أننا لو نظرنا إلي صيغ الاستفهام الواردة في ديوان ظافر لوجدنا أن لها العديد من الخصائص الأسلوبية ، والإيحاءات النفسية ، التى ميَّزت استفهام ظافر ؛ إذ لم يقصرها ظافر – في الاستعمال– علي مباشرة المفرد ، بل صدَّر بها الجملة بأنواعها ، كما أنه لم يقصرها علي الاستخبار، بل جاوز بها الأمر إلي إثبات الشك في مضمون الجملة ، والتردد في الغرض . كما أنه استفهم بها عن المسند و المسند إليه ، و النسبة القائمة بينهما، علي مستوي الجملتين ؛ الاسمية و الفعلية ، وعن الإبعاد الزمانية و المكانية لمضمون استفهامه.

جعل ظافرمن جملة الاستفهام – بروافدها الصريح والمُضَمَّن، أو ما يسمى : استفهام الاعتبار أو السياق([١٣٢])– وسيلة للوصول إلي متلقيه، حين جعل منه قالبًا يحمل مقاصده الكلامية ، وانفعالاته النفسية ، معتمدًا على قدرة الاستفسار فى التأثير فى المتلقى ، بأنماط عدة ، منها : الصدمة ، والإدهاش ، والجلد ، والعصف ، وعقد به حوارًا حيويًّا بينه وبين متلقيه ، اعتمد تارة على الصياغة الشكلية لجملة الاستفهام ، وأخرى على ما تحمله جملة الاستفهام من إيحاء.

ويتضمن هذا المحور مبحثين ، هما:

المبحث الأول: الإبداع الدلالى فى نماذج تطبيقية لجملة الاستفهام المصدرة بسابقة مورفيم الاستفهام الحرفى:

يقتضى الأمر التعريف بجملة الاستفهام الحرفى ، **بأنها** : تلك الجملة المصدرة بأحد حرفى الاستفهام ، **(الهمزة) أو(هل)** ، ضُمِّن قالبها الشكلى و الترتيبى أمرًا ، أراد المؤلف الاستفهام أو الاستخبار عنه. **ويتضمن هذا المبحث مطلبين ، هما :**

[١٣١] الجملة الإنشائية فى شعر مفدى زكريا ، جدة فتوح ، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٥م/٢٠١٦م:٨٣

[١٣٢] انظر : الجملة الطلبية فى سورة يوسف ، دلالة تركيبية دلالية : ٣٩٦

المطلب الأول : الإبداع الدلالى فى نماذج تطبيقية لجملة الاستفهام المصدرة بسابقة مورفيم الاستفهام الحرفى (الهمزة):

ينبغى الإشارة إلى أنه حين يكون الاستفهام بالهمزة ، يكون غرض المؤلف جعلَ متلقيه بين أمرين ، كلاهما يُسهم فى إدراك المعنى و تحقيق جماليته ؛ أحدهما : أن يتصور بنية المعنى وهيئته ، لاسيما حين تباشره الهمزة ، فمن المعلوم أنها تباشر الأهم ، فإن باشرت الفعل ، كان هو الأهم ، و إن باشرت الاسم كان هو الأهم ، والآخر: أن يتردد بين التصديق والتكذيب ، وكأن ظافرَ فى وقع فى صدام مع الآخر– الأنا (ذاته) ، أو غيره من الشعراء ، أو الناس عامة – وهنا يستدعى سياقات خطاب الاستفسار المؤيدة والمنكرة ، و يتردد بينها ، و يوازن ، ويتمركز ذهنه حول ما باشرته الهمزة ، إذ فى مباشرتها له دليل أهميته ووقوعه.

ومن تجليات الدلالة التركيبية للهمزة أن تكون – فى الأساليب اللغوية الرفيعة – بدلًا من واو القسم ، فى اللفظ ، لا فى المعنى ، كما فى قولهم : آلله لَتَفْعَلَنَّ .([١٣٣]) وتختص الهمزة – كما أشار إلى ذلك الإمام السكاكى– بطلب التصور، من خلال تفصيل المجمل ، أو إلى تفصيل المفصل بالنسبة ؛ ويكون التصديق فيها راجعًا إلى تفصيل المجمل ، وهو طلب تعين الثبوت أو الانتفاء فى مقام التردد ، فدلالتها بين التصور و التفصيل.([١٣٤])

وإن المتأمل للطبيعة الصوتية للنطق بالهمزة ، ليدرك حالة التشعب ، والتردد ، والحيرة ، و الفيوض الدلالى من خلال تعدد الرؤى حول المضمون الدلالى للقالب الذى باشرته الهمزة ، بعد حالة التوقف من جانب المتلقى ، جراء فجأة الاستفسار ، فالهمزة تُنطق بانغلاق الأوتار الصوتية بصورة تامة ، وهذا ما يباشره خطاب الفجأة و العصف – عند سؤال الاستفهام – فى طاقة التلقى ؛ فتتوقف حركة الدماغ ، كما يتوقف جريان الهواء فى النطق بالهمزة ؛ ثم تبدأ طاقات التلقى فى عرض ما لديها من رؤى ، واستدعاءات ، كما ينفجر الهواء عند النطق بالهمزة ، وكأن ذهنية التلقى قد اصطدمت بخطاب الاستفهام ، ثم قدم كل افق انتظار ما لديه من الرؤى والآثار الناجمة عن فجأة السؤال.

راعي ظافر– في انتخابه للاستفهام بالهمزة – القراءة اللفظية والمعنوية والعقلية وتكاملها . بل إنه استثمر طاقة الاستفهام بالهمزة في تقرير ما يعرفه المتلقي من الأحكام ، أو الحقائق ،

[١٣٣] انظر : الكتاب ، ج٣ :٧
[١٣٤] انظر : مفتاح العلوم : ٣٠٨

ليشمل بذلك بعدًا نفسيًّا ، على نحو ما نري بالاستفهام المنفي ، الذي يُجاب عنه بالإثبات أو بالنفي. نحو الاستفهام بمورفيم سابقة الهمزة في قول ظافر، من قصيدة له يصف سمك الراى ، وهو نوع من الأسماك النيلية ، طيبة الطعم ، ولونها أحمر:

أَمَالَكَ فِى الرَّاي رَأيٌ ؟. فَإِنَّ	لَهُ صِفَةً أَوْجَبَتْ أَنْ يُحَبْ . ([١٣٥])

ويقول من قصيدة له :

أَمِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَزُورَ بِلَادِكُمُ	مِثْلِى وَيَرْجِعُ مُعْدَمًا مِنْ قَلْبِهِ؟.([١٣٦])

ويقول من قصيدة له:

أَمَا عَجَبٌ أَنَّ ذَا كُلَّهُ	مُوَفَّرُ فِى شَرِّهِ الْكَاسِبِ؟.([١٣٧])

فقد تحقق الإبداع الدلالى لخطاب الاستفهام حين باشرت همزة الاستفهام القالب الاسمى فى الشواهد السابقة ؛ فقد انصبت الهمزة فى شعر ظافر على سؤال الذات ، وجعلتها مسئولة عن الرد ، إذ الشك فى انعدام قدرة الذات المخاطبة عن أن يكون لها رأى ، وقد قدَّم ظافر ما يكشف عن انفعال نفسه ، فيبدو أنه قصد بالاستفهام التهكم ، فقدم التركيب **(أمالك؟)** ، ليبين أنه المشكوك فيه ؛ وقد استثمر قدرة الهمزة فى التعبير عن التردد ، فأشار بالهمزة إلى معنى عميق ، وإيحاء مضمَّن ، حتى يُشير إلى متلقيه أنه شاك فى الذات ، فالهمزة قد أفادت التعادل في تأدية المعاني الأصلية والعرفية ، كما تكشف عن القصدية المركزية لمؤلف الخطاب ، من تقرير ، أو إنكار ، أو تقريع ، أو توبيخ ، أو غير ذلك من النكات البلاغية . بخلاف ما يحمل قوة استفسارية عن الشيء وأحواله ، وملابساته ، ومتعلقاته

ومحل الشك – هنا– مرده إلى إلحاح ظافر على متلقيه أو مخاطبه أن يقدم جوابًا عن مضمون خطاب الاستفهام ، القائم على الشك ، ويطالبه بأن يكون جوابه (بالقالب اللغوى : **(نعم)** ، الدال على إثبات مضمون المستفهم عنه ، أوالقالب **(لا)** الدال على نفى ما استفسر عنه ظافر) وقد أشار عبد القاهر إلى هذا المعنى ، يقول : " ومن أبين شيءٍ فى ذلك الاستفهام بالهمزة؛ فإن موضع الكلام على أنك ، إذا قلت : أفعلتَ؟ فبدأت بالفعل ؛ كان الشك

[١٣٥] من بحر المتقارب، الديوان : (حرف الباء) ، ٥ / ١٦

[١٣٦] فى الغزل وإظهار الشوق والعتاب ، من بحر الكامل ، وفى قافية حرف الباء الباء المكسورة ، المقيدة بهاء السكت ، الديوان : ١٠/٢٠

[١٣٧] فى الشكوى ، من بحر السريع ، وفى قافية حرف الباء المكسورة ، الديوان : ٢٠/٢٥

فى الفعل نفسه ؛ وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده ، وإذا قلت أأنت فعلتَ؟. فبدأت بالاسم ، كان الشك فى الفاعل من هو ، وكان التردد فيه ".([١٣٨])

فقد دخلت الهمزة – في البيت الأول– علي الاسم ؛ لأن المقصود بمعناها الاستنكار ، وأشار بها ظافر إلي أن المتلقي ليس له رأي في أمور تستوجب أن يكون له رأي ، كما بدا من الشطر الثاني للبيت. ويكون التقدير : أليس لك رأي في تلك الصفات التى توجب أن يكون لك رأي فيها ؟. وقد يكون الاستفهام بالهمزة في هذا الموضع غرضه التقرير ، والتعبير عن ذهول الشاعر بهذا الأمر ، إذ من المعهود علي متلقيه أنه ليس له رأي ، فهو يُقرر ذلك ، بيد أن هذا الأمر يعد عجيبًا في الأمور التى تستوجب التدخل بالرأي .

وقد دخلت همزة الاستفهام علي مركب إضافي في البيت الأول ، وهذا المركب يحمل أمرًا معرفيًّا أو نفسيًّا ؛ فكلمة مالك، تعني أن المؤلف قريب من المخاطب ، متعجب ممَّا هو فيه، وقد شغل هذا المركب الإضافي موقع الخبر المقدم ، والشاعر – هنا– يستنكر ما عليه حال المتلقي من عدم القدرة علي إبداء رأي في مسألة أو صفة أوجبت أن يكون له رأي ، وقد ذكر في الشطر الثاني تعليل استنكاره و تعجبه ، وقد أظهر الاستفهام سأم الشاعر و مله من هذه الصفة الموجودة في متلقيه ؛ فقصد بالهمزة ما يليها من معانٍ.

فقد كشف الاستفهام بالهمزة عن حقيقة ، وهي : أن متلقيه ليس له رأي في أي أمر يعنُّ له، مع أنه يؤكد أن لمتلقيه موقعًا يُجبره علي أن يكون له رأي ، كما أنه عبَّر عن حالة الهياج النفسي ، والأسي الذي تعايشهما نفس الشاعر المتعجبة و المستنكرة . فإذا ما وضع أم بجوار الهمزة في جملة الاستفهام دلَّ بها علي الالتباس و التشكك بين الأمرين ، كلاهما أقوي من الآخر ، فهو متسمك بكليهما ، معجب بهمل ، أو كاره لهما ، بيد أنهما قد حارت فيهما نفسه بين القوي و الأقوي ، أو قد يضع – في استفهام واحد– الهمزة و اسم الإشارة للقريب أو الأوسط أو البعيد ، ليدل علي قوة الشبه بين الأول و الثاني ، أو ليستحضر ما بين كليهما من مواضع الاختلاف.

وفى استفهام ظافر – بالهمزة – تجسيد لخضوع نفسه للأبعاد الاجتماعية ، ليؤكد ما تعانيه نفسه من الضغوط الاجتماعية ؛ و كذلك التهميش و الطرد فى المجتمع الذى يعيش فيه ،

[١٣٨] دلائل الإعجاز : ١١١

وجسد استفهامه ردة فعل لجوانب الإبداع الأربعة ، الشخص ، والعملية ، و الناتج ، و المجتمع . ([١٣٩]) وقد حملت الهمزة معنى الشك و التهكم ، حين باشرت الاسم ، لتسفهم عن وجود الشيء من عدمه ، فى قوله :

أَمِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَزُورَ بِلَادِكُمُ	مِثْلِى وَيَرْجِعُ مُعْدَمًا مِنْ قَلْبِهِ؟.([١٤٠])

لذا كثَّف ظافر من خطاب الاستفهام الحرفى بالهمزة ، ليستثمر طاقتها فى تعبيرها عن التردد والشك فيما تباشره ، فهو – فى المثال السابق – يشك فى تحقق سمة المروءة فى مخاطبه ؛ فأسرع إلى إنكار مضمون ما لحق بالهمزة من دلالة ، فأنكر خبر أن يعود معدمًا ، من زار مصر ، وكأن هناك فعلًا مضمنًّا وراء الشك و الإنكار ، وهو التوبيخ للمخاطب على تلك السمة ، وهى التخلى عن سمة المروءة ؛ فتعدى الاستفهام بالهمزة شك التردد و الشك إلى الإنكار ، والتوبيخ ، و تلك سمة تداولية فى خطاب الاستفهام ، حيث إن المؤلف يعجم على عقلية المتلقى بما لديه من مضمون ، وينتخب صيغة خطاب الاستفهام لإسكاته، وإرغامه على الاقتناع ، متجاوزًا بذلك حدَّ أفق انتظاره .

وحين يُباشر خطاب الطلب بالاستفهام بالهمزة قالب الفعل ، يتحول الشك والتردد إلى مضمون الفعل وإيقاع حدثه ، وفى نسبة إيقاعه ، ومضمونه ، والإحاطة بمحدداته الزمانية ؛ وهنا تتنقل دلالة الاستفهام بالهمزة إلى حد التقريع ، بعد دهشة المؤلف من وقوع الحدث ، وقد تجلى هذا الأمر فى قوالب خطاب الطلب باستفهام الهمزة المباشرة للقالب الغعلى فى قول ظافر : (أأرجو؟. ، أترى؟. ، أست؟.) بل إن خطاب الاستفهام قد وصل حدَّ التنبيه ، و التهديد ؛ وإن كانت قوالبه اللفظية لا تدل على هذا الأمر بصورة مباشرة ، فهو يستخدم القوالب الدالة على الرجاء ، أو الدهشة ، أو النفى ، و جميعها ألفاظ فيها استرحام لا تهديد.

فاذا قرنَّا الأمر بسياقاته اللفظية وجدنا الأمر ، يحمل فى – انتخاب لفظى ، و جودة تركيبية ، وسمو بلاغى– دلالة التهديد ، فقالب الاستفهام المنفى الجامد (ألست؟.) مقترن برءوس الرماح ، و تفريق شمل المُلك ، وهذا ما فيه من مدح و ذم ، دل على المدح قالبُ اللمِّ

[١٣٩] انظر : الأسس النفسية للإبداع الأدبى (فى القصة القصيرة خاصة) د : شاكر عبد الحميد ، (سلسلة دراسات أدبية) ، (د .ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢م : ٤٢ بتصرف.

[١٤٠] فى الغزل وإظهار الشوق والعتاب ، من بحر الكامل ، وفى قافية حرف الباء الباء المكسورة ، المقيدة بهاء السكت ، الديوان : ٢٠/١٠

والتجميع(لمَّت) ، وتجلى قالب التهديد فى ذكر السلاح ، والرماح ، وتفريق الشمل ، و كأن ظافرَ قد جمع باستفهام الهمزة بين مقامىْ المدح والتهديد ، وقد عضَّد صنيعه – هذا– استثماره لطاقة خطاب الطلب باستفهام الهمزة. وفى هذا يقول :

أَلَسْتَ ابْنَ مَنْ لَمَّتْ رُءُوسُ رِمَاحِهِ	تَفَارِيقَ شَمْلِ الْمُلْكِ ، وَهْىَ شَوَاسِعُ؟.([١٤١])

ويقول من قصيدة لـه :

لقد جُدْتَ حَتَّى حَاتِمُ طيِّء	مُضافًا إِلَى جَدْوَى يَدَيْكَ شَحِيحُ
أَفِي الْعَدْلِ أَنْ أَظْمَا وَ جُودُكَ فِي الْوَرَى	يَسِحُّ عَلَى طُولِ الْمَدَى وَ يَسِيحُ؟.
أَأَرْجُو سَمِيَّ الْمُصْطَفَى وَ ابْنَ عَمِّه	لِحَادِثَةٍ عَمَّتْ وَ أَنْتَ نَصِيحُ؟.([١٤٢])

ويقول من قصيدة أخرى :

أَتُرَى أَنَالَ النِّيلُ بَعْضَ رِضَابِهِ	فَعَذُبْنَ مِنْهُ مِيَاهُ ذَاكَ الْوَادِى؟.([١٤٣])

ويقول من قصيدة له :

وَقَالَتْ لِى : أَشِبْتَ؟. فَقُلْتُ: كَلَّا	وَلَكِنَّ هَذِهِ زُبَدُ الْخُطُوبِ. ([١٤٤])

مهما يكن من أمرٍ ، فقد طغى خطاب الاستفهام المتصدِّر بالهمزة فى شعر ظافر؛ حتى بدا مترددًا شاكًا فى كل شىء ، موبخًا لكل فعل لا يقدِّر ذاته ، متوترًا فى تراكيبه اللفظية ؛ منكرًا كل فعل مسَّ نفسه بسوء ، فعبر بانغلاق الهمزة – حين النطق بها – عن انغلاق نفسه ، وانحباس انفعالاتها ، و وقصد بمدها توظيفها فى التعبيرعن امتداد عذاباته ، وهذا ما تختص به الهمزة من دون غيرها من أحرف الاستفهام أو أسمائه.

تلك النفس الصارخة استثمرت خطاب الاستفهام بالهمزة فى ردع غيرها من النفوس عن أن توقع فعلًا قبيحًا بنفس ظافر ، فهو يُنكر ذلك الفعل ، " ليتنبه السامع ، حتى يرجع إلى نفسه ، فيخجل ، ويرتدع ، ويعى بالجواب ، إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل ما لا يقدر ، فإذا ثبت على دعواه ، قيل له : (افعل) فيفضحه ذلك ؛ وإما لأنه همَّ بأن يفعل ما لا يُستصوب

[١٤١] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأفضل ، و يهنئه بشهر رمضان ، ويذكر حال التيل فى تلك السنة ؛ لأنه نقص فى أوان الزيادة ، و زاد فى أوان النقص زيادة عجيبة ، ففرح الناس بها بعد الإياس ، و القصيدة من بحر الطويل ، وموجودة فى قافية حرف العين ، انظر : الديوان ، ١٧٠/١٥٠

[١٤٢] يمدح فيها محمدًا بن أبى شُجاع ، من بحر الطويل ، فى قافية الحاء المضمومة ، الديوان : ٨٢/٦١

[١٤٣] يتشوف فيها إلى منازل الفسطاط ، وهى من بحر الكامل ، وفى قافية حرف الدال المكسورة ، الديوان : ٨٥/٦٤

[١٤٤] فى المعنى ، من بحر الوافر ، فى قافية حرف الباء المكسورة ، الديوان : ٢٣/١٥

فعلُه ، وإذا رُوجع فيه ، تنبَّه ، وعرف الخطأ ، وإما لأنه جوَّز وجود أمرٍ ، لا يُوجد مثله ، فإذا ثبت على تجويزه ، قُبِّح على نفسه ".([١٤٥])

وخطاب الاستفهام بالهمزة – فى شعر ظافر – استفهام منغلق الدلالة ، يدل على انحباس نفس الشاعر ، و عجزه عن مواصلة مجريات الحياة ، انظر إليه يقول : **أفى العدل أن أظما و جودك فى الورى؟.** فقد حمَّل ظافر خطاب الاستفهام معنى الملل ، والشعور بالظلم و الغبن ، و الشعور بالعجز ، و الزهد فى الحياة ، بدليل قوله : وقالت لى : أشبْتَ؟.، وكأن فى انفتاح الهواء دفعة واحدة ، حال النطق بالهمزة– مناسبة انفعلالية مع صراخات ظافر ، وامتداد عذاباته.

المطلب الثانى: الإبداع الدلالى فى نماذج تطبيقية لجملة الاستفهام المصدرة بسابقة مورفيم الاستفهام الحرفى (هل) :

و(هل) : يُطلب بها حصول التصديق ، بنفس الفعل ، على سبيل التدافع ؛ ولابد لـ(هل) من أن يُخصص الفعل المضارع بالاستقبال ، فلا يصح أن تقول : هل تضرب زيدًا ، وهو أخوك؟ ، على نحو : أتضرب زيدًا ؟ وهو أخوك ؛ فى أن يكون الضرب واقعًا فى الحال، ولكون (هل) لطلب الحكم بالثبات أو الانتفاء.([١٤٦]) وقالب الاستفهام الحرفى (هل) قالب موضوع – عند ابن هشام(٧٦١هـ)– لطلب التصديق الإيجابى ، دون التصور، ودون التصديق السلبى ، بغية معرفة مضمون ما باشرتها ، ومعرفة نسبته ، وتصور إمكانية وقوعه ، من عدمه ؛ فيمتنع نحو : هل زيدًا ضربت؟. لأن تقديم الاسم يُشعر بحصول التصديق بنفس النسبة ، ويقتضى الجواب عنها أن يكون بـ(نعم) أو (لا). ([١٤٧])

والأصل فى (هل) أن تُباشر الفعل ، محتفظة بالأصل فى ذلك ، إذ إنها – عند السكاكى(ت ٦٢٦هـ)– أدعى للفعل من الهمزة ، والفعل – مع (هل)– يكون أدخل فى الإنباء عن استدعاء المقام.([١٤٨]) وهذا معناه أن (هل) يُستفسر بها عن مضمون الخبر، وتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية ، بيد أن مباشرتها للفعل أغلب ؛ لأنه يُستفهم بها عن إيقاع الحدث، أو ما

---

[١٤٥] دلائل الإعجاز : ١١٩ – ١٢٠

[١٤٦] انظر : مفتاح العلوم : ٣١١

[١٤٧] انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصارى ، وبهامشه : مختصر شرح شواهد المغنى ، للعلامة السيوطى ، تحقيق ، د : صالح عبد العظيم الشاعر ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م : ٢٨٤

[١٤٨] انظر : مفتاح العلوم : ٣٠٩

يحمل دلالته من المشتقات الدالة على معناه ، نحو : المصادر النائبة عن فعلها ، الدالة على معناه ، وكذلك أسماء الأفعال ، وأسماء المصادر ، و غير ذلك من الصيغ الإفصاحية الدالة على معنى الفعل ، و النائبة عنه فى إيقاع الحدث.

يبدو من كلام ابن هشام أن خطاب الاستفهام ، بـ(هل) يكون ذا دلالة أخص من خطاب الاستفهام بالهمزة ، إذ إن (هل) مختصة بالإيجاب ، لا غير ، تقول : هل زيدٌ قائمٌ؟. ، و يمتنع أن تقول : هل لم يقم زيدٌ؟. كما أنها تختص بخطاب الاستقبال ، لا الماضى ، نحو : هل تسافر؟. ونحوًا من ذلك : أن (هل) لا تدخل على الشرط ، ولا على (إنَّ) ، ولا على اسم بعده فعل فى الاختيار، و تقع (هل) بعد العاطف لا قبله ، وبعد الأداة(أم) ، و يراد فى الاستفهام بـ (هل) نفى مضمون الخبر المستفهم عنه ؛ وأحيانًا تأتى (هل) بمعنى (قد) ، نحو قوله – تعالى : " هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا".([١٤٩]) وحين تأتى بمعنى (قد) يُستفاد من قالبها دلالة التقرير ، والتقريب ، والتوقع ، وأحيانًا التحقق.([١٥٠])

لقد ورد خطاب الاستفهام المصدَّر بـ(هل) كثيرًا فى شعر ظافر، وتنوعت أنماطه بين دخول(هل) على الفعل المضارع ، لتخلصه إلى الاستقبال ، أو التوقع ، وبين استثمار مستخدمها لدلالتها على التحقق ، حين تباشر الفعل الماضى ، وتارة ثالثة حين تحمل معنى (قد) الدالة على التحقق ، ورابعة حين تدل على التمنى.

وقد قصد ظافر بـ: (هل) – فى أشعاره – معاني متعددة ، فأحسن استعمالها ، فأدخلها علي الجملتين الاسمية والفعلية ، ليقرر أنه يرجو هذا الأمر ، لأنه يظن عدم وجوده، فإذا جاءت (هل) مع الجملة الاسمية كان فى ذلك إشارة إلي ثبات المستفهم عنه في نفسه، فهو يائس من العودة إلي ثغر الإسكندرية ، بلدته الحبيبة ؛ كما أن في إدخاله (هل) علي جملة اسمية مصدرة بـ (من) الدالة علي القطع في إشارة نفسية إلي كمال تعلقه بالمستفهم عنه ، كما أن تقديمه لعبارة الجار (لي) فيه إشارة نفسية إلي ولع نفسه بالمستفهم عنه ، رغبة منه في تحققه ، وتعلق نفسه به . نحو استفهامه بمورفيم سابقة الاستفهام(هل) ، يقول:

هَلْ لِي إِلَى الثَّغْرِ مِنْ عَوْدٍ وَ مُنْقَلَبِ ؟.	فَالْعَيْشُ مُنْذُ رَحِيلِي عَنْهُ لَمْ يَطِبِ.

[١٤٩] سورة الإنسان ، الآية رقم : ١

[١٥٠] انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب :٢٨٤ – ٢٨٥

تُرَى أَزُورُ الْقُصُورَ الْبِيضَ ثَانِيَةً	بِالرَّمْلِ بَيْنَ قُصُورِ التِّينِ وَ الْعِنَبِ؟.
وَفَوْقَنَا شَاهِقَاتُ الْكَرْمِ أَخْبِيَةً	مِنْ حَوْلِهَا قُضُبُ الأَغْصَانِ كَالطُّنُبِ. ([151])

فقد صدَّر الاستفهام بـ: (هل) ، وقدَّم ظافر الخبر ، وجعل المتحدث عنه مضمرًا(لي) ، ليدل علي عجزه عن تحقيق ما بعد الاستفهام ، ولعل ذلك ليسأل نفسه التائهة، ومشاعره المضمرة عن موعد، ملتمسًا بـ(هل) عودته إلي بلده الإسكندرية ؛ وقد باشر الاستفهام نفسه الحانية ، ليدل علي حيرته ، وتمنيه العودة ، ومن عجب أن ظافرَ أضمر نفسه ، وأضمر العيش الطيب ، ليُشير إلي نفسه المتحيرة ، التي لا يجد ، فصادر بيته بالتساؤل عنها.

يذكر ظافر فى خطابه الاستفهامى المصدر بـ(هل) تمنيه أن يعود إلى ثغر الإسكندرية؛ ويستثمر طاقة (هل) فى توقع الجواب ، فينظر ردًّا من مخاطبيه ؛ ويؤكد بـ(هل)الدالة على التصديق تحقق فعل التمنى من جانبه ، ومنع المخاطب من الشكِّ فى إيقاعه ؛ لذا قدّم الجار و المجرور(لى) ، وألصقها بـ(هل) ليدل على صدق ذاته ، لذا بدأ بها ، وعبَّر عنها بالضمير ، ليدل على ضآلة فعله و حيلته ، و ليبعد ذاته عن توهم المخاطب عن كل ما ارتبط بخطاب هل ، من تمنى العودة إلى ثغر الإسكندرية ، واسترجاع ذكرياته ، من دون ادعاء ولا مخادعة.

ويأتى خطاب الاستفهام بـ(هل) ليدل على التوقع ، استثمر فيه ظافر دلالتين ، إحداهما : دلالة (هل) على طلب التصديق ، والأخرى معونة دلالة السياق؛ ليسوق إلى المتلقى فكرة أعمق ، وهى أنه يتوقع بقاء مظاهر الحسن فى وطنه على ما كانت عليه ، من بهاء و جمال ، وقد أفادت هل – فى هذا الموضع – من قوله : هل يتلقانى نسيمك سحرة ، معنى (قد) الدالة على التقريب و التوقع ، بدليل ، قوله : وقد صافح الأزهار ، يقول:

أَكُثْبَانَ رَمْلِ الظَّاهِرِيَّةِ هَلْ إِلَى	عَشِيَّاتِكِ الْمُسْتَحْسَنَاتِ سَبِيلُ ؟.
وَهَلْ يَتَلَقَّانِي نَسِيمُك سُحْرَةً	وَقَدْ صَافَحَ الْأَزْهَارِ وَهْوَ عَلِيلُ؟.([152])

وليس من شك فى أن نفس ظافر نفس توَّاقة إلى التوحد مع محددات وطنه ، لذا يعاود ظافر خطاب الاستفهام بـ(هل) ليؤكد صدق نفسه ، و يمنع الشك فى ذلك من ذهن مخاطبه ، بل

[151] في قصيدته : هل لي إلي الثغر من عودٍ ومُنْقلبٍ ، يقول ، يذكر ما مضى من زمانه بثغر الإسكندرية ، من بحر البسيط ، وقيل : إنه يمدح فيها أيا محمد الأسامى ، انظر : الديوان ، ٢٧/٢٥

[152] البيتان من قصيدة لظافر ، قالها فى الظاهرية ، و هى أحد أحياء الإسكندرية ، وهى من بحر الطويل ، و هى موجودة فى قافية اللام المضمومة ، انظر : الديوان ، ٢٢٠/٢٠٦

إنه يستغرب هذا الأمر ، وكأنه يزجره عن ذلك الهاجس ، ويوبّخه ؛ وكأن خطاب (هل) قد جمع دلالتى النفى و الاستفهام ؛ ويحمل الاستفهام قصدية التقريع لمن طردوه عن بلده ، وقد أجاد ظافر فى تراكيب خطاب الاستفهام بـ(هل) لأنها تحمل معنى قوة انفعال النفس ، نحو ما باشرته (هل) ، يقول من قصيدة له :

أَلَا هَلْ إِلَى بُرْدِ الْأَصَائِلِ بِالْحِمَى	عَلَى الرَّمل فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ إِيَابُ؟.([١٥٣])

وقد جاء الاستفهام بـ(هل) ليُعبّر عن حيرته ، وعدم القدرة علي تعيين ما يريده، من إظهار عدم ميل نفسه إلي اتخاذ أمر ما ، كاشفًا حالة التردد والضياع التى يعيشها ، هادفًا إلى أن يصل – بمجتمعه و تفاعله معه – إلى حالة التقبُّل ، راغبًا فى توحيد التصورات ، بيْد أنه يعمد إلى الترميز والتلويح ، وكأن الاستفهام قد أسهم في عملية إيهام أو إغماض الحقيقة ، فلا يستطيع ظافر أن يُحادث مُتلقيه بنفس ثابتة ، بل يُظهر توترَه و حيرتَه ، ممَّا يوحي بتلك الروح المنهزمة و المستسلمة لظافر.

إذ إنه من المعلوم أننا " إذا كان لدينا إحساس بعدم الاكتمال بوجود شيءٍ ما مفقود أو خارج المكان ؛ فإن التوتر يُستثار بداخلنا ، وتنخفض دفاعات الأنا Lake of Eg0 deferance، ونتيجة لذلك نبدأ فى فحص المشكلة ، و طرح التساؤلات و تناول الأشياء ، و القيام بالتخمينات ، و ما شابه ذلك ... للشعور بعدم الراحة ".([١٥٤]) ويقول من قصيدة له:

هَبْكَ اقْتَدَرْتَ عَلَى الظَّوَا(م)	هِرِ هَلْ قُلُوبُ النَّاسِ جُنْدُكْ ؟.([١٥٥])

فقد تقع (هل) فى سياق النداء ، الدال على الحسرة ، وهى – غالبًا– ما تباشر الاسم فى هذا الموضع ، كما فى قوله : يا أهل ودى ، أو قوله : هل لثغرى وناظرى. وليتنبه المتلقى إلى هذا القصد– وهو التحسر ، ودعوته إلى المشاركة فى انفعالات ظافر– جمع بين النداء للاستعطاف ، وإظهار التودد ، ثم ليثبت بـ(هل) تحقق الحسرة ، لا فى زمن الحال ، بل لا يقيّد ذلك بزمن، وإن كان إلى الاستقبال أقرب؛ وقد عبرت (هل) عن استقرار هاجس الحسرة والندم فى نفس ظافر ، لذا فهو يستفهم بـ(هل) عن وصول هذا الانفعال إلى نفس مخاطبه .

---

[١٥٣] فى ذكر الإخوان والأيام الخوالى ، وأحاديث السمر ، من بحر الطويل ،فى قافية حرف الباء المضمومة ، الديوان : ٣٨/٣١

[١٥٤] انظر : الأسس النفسية للإبداع الأدبي : ، ص : ٤٣

[١٥٥] قالها فى الوعظ و الوصايا و الآداب ، من مجزوء الكامل، فى قافية الكاف الساكنة(قافية مقيدة)، الديوان : ٨٨/٧٠

استدعى ظافر باستفهام (هل) ، ومباشرتها للاسم ، فى قوله : هل قلوبُ الناس جندُك ؟.([١٥٦]) أمرًا عميقًا ، وهو جعل قلوب الناس جنودًا لممدوحه ، و هذا استدعاء مجازى ، لما لم يكن حاصلًا ، فصار حاضرًا فى سياق التفسير الانفعالى ، لذا فقد عدل ظافر عن الأصل ليدل على ثباته على حالة الحب لمن يمدح، وهى – هنا– أشد عناية بالانفعالات النفسية ، لذا استعمل قالبًا نفسيًّا ، و هو قوله : قلوب الناس ، ليستميل ممدوحه، فجاء الاستفهام – عنا– لطلب التصور ، والتصديق ، واستدعاء الانفعالات النفسية من جانب المتلقى ، يقول :

فَيَا لَيْتَ شِعْرِى ، هَلْ لِثَغْرِى وَ نَاظِرِى	إِلَى رَشْفِ ثَغْرَيْهِ الْغَدَاةَ رُجُوعُ؟.([١٥٧])

ولأن هل مختصة بالتعبير عن الاستقبال في الاستفهام عن مضمون الجملة ، فقد وظَّفها ظافر توظيفًا دلاليًّا محمودًا ، حين عبر بها عمَّا في نفسه ، وأن ما يرومه غير متحقق ولا ثابت علي مستوي الزمن والنفس ، وتلك من سمات الشعراء علي مر العصور ، إذ يلجأ الشاعر إلي التعبير عن قضاياه وأحاسيسه ، وعن مواقفه من الحياة ، و من الناس من حوله ، أو علي مستوي التأثير والتأثر باختلاف الأجيال والثقافات والعصور، يقول :

فَهَلْ تَبَقَّى لَكَ مِنْ حُجَّةٍ	إِلَّا غُرورُ الْأَمَلِ الْكَاذِبِ؟.([١٥٨])

وأشار إلي أنه يتمنى بـ(هل) أن ما يُستفهم عنه قد يتحقق في قابل أيامه ؛ لذا لم تباشر (هل) في شواهده جملًا منفية ، لأن (هل) بمعني قد الدالة علي الثبوت والدوام ، فلا يجوز أن يُقال : هل لا يذاكر أحمد دروسه ؟. كما إنها لا تباشر الجمل الخبرية ، إذ هناك قرينة عقلية تمنع الاستفهام عن أمر مخبر عنه ، فلا يجوز : هل إن الحق واضحٌ ؟. حيث لا يصح أن نسأل عن جملة تؤكد – لنا – أن الحق واضحٌ . وقد تدخل علي جملة الشرط ، إذ الشرط غير متحقق ، ومعناه التردد والتعليق ، و يكون دخولها لنكتة بلاغية ، كالتوبيخ مثلًا ، نحو أن نقول : هل إن ذاكرت تنجح ؟ . لمن يُشك في اجتهاده ، وفي هذا الموضع يؤدي السياق الدور الأكبر في تحديد القصد . ونحوًا من ذلك قوله :

وَأَودِعُ حَبَّاتِ الْجَنُوبِ تَحِيَّتِى	فَهَلْ بَلَغَتْكُمْ مَا أَقُولُ عَلَى الْبُعْدِ؟.([١٥٩])

[١٥٦] البيت من قصيدة لظافر ، فى قافية الكاف ، قالها فى الوعظ و الوصايا و الآداب ، و هى من مجزوء الكامل ، انظر : الديوان ، ٨٨/٧٠

[١٥٧] البيت من قصيدة لظافر ، يتحسر فيها على الشباب ، و يشكو هم قلبه ، وحنينه إلى وطنه ، وهى من بحر الطويل ، و هى موجودة فى قافية العين المضمومة ، انظر : الديوان ، ١٧٥/١٥٤

[١٥٨] البيت من قصيدة لظافر من بحر السريع ، فى الشكوى و الحسرة و اليأس .انظر الديوان ، ٢٥/٢٠

[١٥٩] من قصيدة له ، يذكر زمانه ببلدة الإسكندرية ، من الطويل ، فى قافية الدال المكسورة ، الديوان : ٩٢/٧٢

فقد قصد ظافر أن يلي (هل) الفعل الماضي ؛ ليزيد المستفهَم عنه توكيدًا ، وإلحاحًا من جانب المؤلف للخطاب ، ويبدو أن ظافر يعلم هذا الأمر ، في نحو قوله : هل بلغتكم . لأن (هل) تُشير– فى هذا الموضع– إلي جواز علم المؤلف(إنكار القول بموت المؤلف) أو المتلقى(قرينة علم المخاطب) بما يستفهم عنه ، فسأل المؤلف مخاطبه ، ليعينه علي تأكيد المستفهم عنه ، و يدفعه إلى محاولة تحقيقه ، وقد أيَّد ظافر ذلك باستثماره الطاقة الدلالة لعبارة الجار (علي البعد) ، والتى عكست معني نفسيًا ، أوضح أن الشاعر يراعي لوعة البعد وألم الافتراق ، حتي إنه صار ظانًا مترددًا ، مع ثباته علي الإخلاص لمخاطبه.

جاءت (هل) فى هذا الموضع بمعنى (قد) ، وقد أشار ظافر بخطاب الاستفهام بـ(هل) إلى تأكيد مضمون ما بعدها ، من إبراز الحب ، وأنه غير راضٍ بالبعد ، وهو – وإن بعد– باقٍ على الشوق والحب الشديد ، وقد عضَّد احتمالية هذا المعنى القرائن المصاحبة ، نحو قوله: حبات الجنوب ، وهو تركيب يذكر المتلقى بصدق ظافر ، حين استدعاه إلى تذكر ماضٍ، كان بينهما فحسب ، يقول من قصيدة له :

فَيَا أَهْلَ وُدِّى ، هَلْ لِمَنْ بَانَ عَنْكُمُ	إِلَى عَوْدَةٍ فِي مَثْلِ مَا كَانَ شَافِعُ؟.([١٦٠])

ويقول من قصيدة له:

أَلَا هَلْ إِلَى مَا أَرْتَجِيهِ بُلُوغُ	فَكَمْ أَقْتَضِيهِ الدَّهرَ وَهْوَ يَرُوغُ؟.([١٦١])

ويقول من قصيدة له:

فَهَلْ لِي إِلَى الْعَيْشِ مَا بَيْنَكُمْ	كَمَا كُنْتُ مُسْتَمْسَكٍ وَاغْتِلَاقْ؟.([١٦٢])

تؤكِّد الشواهد السابقة أنه على الرغم من كثرة الانفعالات السلبية فى نفس ظافر، فإنه ذو نفس وثابة ، معتدة بذاتها ، تتمركز حول الأنا الذاتية لها ، لذا وظَّف استفهامه بـ(هل) ليضفى حالة من القرار ، والطمأنينة ، أن تلك الانفعالات السلبية لن تطول ، وأنها إلى زوال ، مستثمرًا دلالة (هل) على الاستقبال ، وقد دلَّت القرائن المصاحبة على ذلك ، كما فى قوله :ألا هل إلى ما أرتجيه بلوغُ؟. فقد استخدم العديد من الأدوات اللفظية الباعثة على الاطمئنان ، كما

[١٦٠] له قالها بمصر ، وهو يعتذر لصديق له بالإسكندرية ، وقد أنفذ إليه يعتب لأجل الانقطاع عن كتبه ، من الطويل ، و هى موجودة فى قافية العين المضمومة ، الديوان : ١٧٨/١٥٥

[١٦١] قالها فى صدر رسالة ، أنفذها إلى إخوانه ، من مصر إلى الإسكندرية ، يذكر أهله ، ويتشوق إليهم ، وهى من بحر الطويل ، و موجودة فى قافية حرف الغين المعجمة الفوقية ، الديوان : ١٨٥/١٦١

[١٦٢] قالها فى الشوق إلى إخوانه ، يعتذر من تخلُّف مكاتبته عنهم ، ويُعرِّض بذكر حاسد شنَّع عليه بالإسكندرية ؛ أنه قُتل بمصر، من المتقارب ، وموجودة فى قافية القاف المضمومة المثناة الفوقية ، الديوان : ٢١٠/١٨٧

نجد هذا الأمر ، فى القوالب :أرتجيه ، و بلوغ ، مما يدل على إصرار على بلوغ مأربه ، كذلك قوله : فكم أقتضيه الدهرَ و هو يروغُ؟ . فهو لن يترك ما يُريد ، وكأن (هل) هنا ، قد حملت معنى النفى ، ودلالتها على النفى تنقض مضمون الخبر، فهو – مستمسكًا بذاته ، و بأهل وده – ينفى كونه مستسلمًا لما يجثم عليه من بواعث الهموم و الأحزان.

المبحث الثانى: الإبداع الدلالى فى نماذج تطبيقية لجملة الاستفهام المصدرة بسابقة مورفيم الاستفهام الاسمى:

اسم الاستفهام : وهو: اسم مبهم يُستعلم به عن شىء ، وهو خاص بطلب التصور لدى المتلقى ، لذلك يكون الجواب معه فى تعيين المسئول عنه ، و لقد أشار النحاة إلى بناء أسماء الاستفهام كلها ، إلَّا اسم واحد فقط ،هو : أىّ ، لأنها تُضاف إلى مفرد .([١٦٣]) ولا يعمل في أسماء الاستفهام ما قبلها من العوامل ، بخلاف أحرف الجر ؛ لتنزلها من مدخولها منزلة الجزء من الاسم ، فلا تقدم بنفسها ، ولا تؤخَّر ، نحو: بمن مررت؟.([١٦٤])

و**جملة الاستفهام المصدرة بسابقة أسماء الاستفهام** : هى الجملة المصدرة بأحد الأسماء الآتية : ما ، ومن ، أى ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأنَّى، ومتى ، وأيَّان، وغير ذلك من القوالب اللغوية الموضوعة للاستفهام ، ويحمل مضمونها أمرًا ، أو طلبًا ، أراد المؤلف الاستفهام عنه. وتتمثل آلية الطلب بقوالب أسماء الاستفهام فى أن المؤلف يطلب من المتلقى أن يُعلمه بحصول التصور ، على سبيل التفصيل ، لا النسبة؛ وأن يُوقفه على ذلك ، ليتسنى للمؤلف استثمار ذلك ، وتطبيقه فى عمليات التواصل.([١٦٥])

لذا تحمل تلك القوالب الاستفهامية دلالة تركيبية، يوظفها كل من المؤلف والمتلقى فى عملية التخاطب ، والتعبير عن الأغراض والمقاصد، فتكون **(ما)** متضمنة معنى الحرف، ومعناها:(أى شىءٍ)([١٦٦]) وتأتى للسؤال عن الجنس، والاستفسار عن نسبة تحقق الأشياء والأوصاف، أو الأجسام عند المخاطب بالسؤال بها؛ ويكون الجواب عنها لتنبيه السائل للعلم بحقيقتها أو بنسبها وقوعها، مادية أو معنوية، من باب المطابقة .([١٦٧])

---

[١٦٣] التطبيق النحوي، د: عبد الراجحى ، ط١ ، مكتبة المعارف ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص : ٥٦

[١٦٤] انظر: التبصرة والتذكرة ، للصيمري ، تحقيق د : فتحي أحمد مصطفي، ط١، دار افكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، م١: ٤٧

[١٦٥] انظر : مفتاح العلوم : ٣١٠

[١٦٦] انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ٢٤٥

[١٦٧] انظر : مفتاح العلوم : ٣١٠ – ٣١١

وذكر ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) أن (ما) تأتي علي وجهين ، اسمية وحرفية ، وتنقسم كل منهما ثلاثة أقسام ؛ فتكون الاسمية معرفة ، ونكرة ، ونكرة مضمنة معني الحرف ومن ذلك : الاستفهامية ، ويكون معناها : (أى شيءٍ) ، نحو : (ما جئتم به آلسحرُ).([١٦٨]) بمدِّ الألف ؛ فـ : (ما) مبتدأ ، والجملة بعدها خبر، و(آلسحر) إما بدل من (ما)، ولهذا قُرن بالاستفهام، وكأنه قيل:آلسحر جئتم به ؟. وإما بتقدير: أهو السحر؟. أو آلسحر هو ؟.([١٦٩])

وتكون **(من)** للسؤال عن الجنس من ذوى العقل والعلم على سبيل التخصيص ، أما **(كم)** فتكون للسؤال عن العدد ، بمعنى : أى عدد ، وفيها إبهام عن وقوع النسبة ، و السؤال معها لا يحتمل التصديق أو التكذيب ، بخلاف الخبرية([١٧٠]) ؛ وأما **(كيف)** فللسؤال عن الحال ، وتستخدم للاستفهام الحقيقى أو التقديرى ، وتؤول إلى عبارة الجار والمجرور(على كيف ، أو على أى حال ،أو فى أى حال، حيث تدل على الحال([١٧١]) ، وأما **(أين)** فللسؤال عن المكان . ([١٧٢]) وتختص **(ماذا)** المركبة من (ما) الاستفهامية واسم الإشارة (ذا) – فى أحد الروايات عند ابن هشام – بالدلالة على افتقار المستخبر عن مضمون ما يأتى بعد (ماذا)، وتلحقها اللام لتدل على الاستفهام عن التركيب([١٧٣]) وهى أخت (ما) يُسأل بها عن غير العاقل، وتستفهم عن الحقائق والصفات فى الأشخاص أو الأشياء؛ سواء إذا كان الشيء عاقلًا أم غير عاقل.([١٧٤])

وجميعها – فى الأصل– مختصة بالاستفهام عمَّا غاب عن المؤلف المستفهِم المستخبر؛ حيث إن الاستفهام إنما يكون لما يَهُمُّ المؤلف ويعنيه شأنُه ؛ وليس لما وجوده وعدمه – عنده– سواء ، و جميعها تستدعى جوابًا ، لما فيها من معنى الاستفهام والاستخبار.([١٧٥])

---

[١٦٨] سورة يونس، الآية رقم : ٨١

[١٦٩] انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ٢٤٥

[١٧٠] انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ١٥٥ – ١٥٧

[١٧١] انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب :١٧٢–١٧٤

[١٧٢] انظر : مفتاح العلوم : ٣٠٨ – ٣١٧

[١٧٣] انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ٢٤٦ – ٢٤٨

[١٧٤] انظر : جامع الدروس العربية ، الشيخ : مصطفى الغلاييى ، ضمن موسوعة فى ثلاثة أجزاء ، تحقيق : د / عبد المنعم خفاجة ، ط٢٢ ، من منشورات المكتبة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣م : ١٤١

[١٧٥] انظر : مفتاح العلوم : ٣٠٨ – ٣١٧

وتضبط قرائن الأحوال هذه الدلالات ، التى تخرج إليها قوالب الاستفهام الاسمى عن أصل وضعها ، لنكتة لغوية ، أو بلاغية .

وتجدر الإشارة إلى أن خطاب الاستفهام الاسمى له قوالب كثيرة ، يُصبح من العسير حصرُها ؛ إذا أضفنا معيار التضمين إلى محدداتها ، أو ما يسمَّى : الاستفهام الضمنى أو المضمن ، وقد ورد هذا النمط من خطاب الطلب بالاستفهام الاسمى فى شعر ظافر بصورة مكثفة ، جاءت فيها تلك القوالب على أصل دلالتها أحيانًا ، وخرجت عنها إلى دلالات بلاغية أخرى ، ويتضمن هذا المبحث ستة مطالب ، يُمكن التعرض لها على النحو الآتى :

المطلب الأول : الإبداع الدلالى للاستفهام الاسمى بـ(كم) :

تدل (كم) فى خطاب الطلب الاستفهامى على معنى : أى عدد ، ويجوز فيها أن يفصل بينها و بين تمييزها بفاصل؛ بيد أنها من دون الفاصل أقوى ، وأشد دلالة على معنى استفهام العدد ؛ مفردًا كان أم جمعًا ، إذ إن مضمونها يُشير إلى إبهام المؤلف عن تحديد العدد ، ويلحق بإبهامها عدم خضوعها لمعيارىْ التصديق أو التكذيب. ويلحق بخطاب الاستفهام الاسمى – في شعر ظافر– استفهاماته المتكررة بـ(كم الاستفهامية) ، التى وظَّفها فى طرح انفعالاته النفسية، فى دلالة منه على التحسر، فهو مقرٌّ بكثرة همومه ، مستفهمًا عن أسبابها ؛ يستدعى متلقيه إلى موقف الاستلزام الحوارى ، طالبًا من متلقيه حضوره ومشاركته بإظهار الدهشة والعجب مما يلحق به ، مشاركًا له فى انفعالاته ، معتدًّا بذاته ، فجاءت الصياغة اللفظية لاستفهام كم دليلًا على حضور المتلقى ، وتوحده مع انفعالات ، يقول مخاطبًا قلبه ، يكشف حالته النفسية :

كَمْ فِي حَشَاكَ جِرَاحَةٌ عَبَثَتْ بِهَا	حَدَقُ الظِّبا ، وَسَوَالِفُ الْغِزْلَانِ؟. ([176])

ونظير ذلك : قول ظافر في الزهد والوعظ مفاخرًا بنفسه :

كَمْ ثَوَي تَحْتَ قُبَّةِ الفَلَكِ الْأَعْـ(م)	**ـلَى مِنَ الْخَلْقِ بَيْنَ تُرْبٍ وَمَاءِ ؟.([177])**

نلحظ من هذا الشاهد إصرار ظافر على استثمار طاقة الإبهام ، التى تحملها (كم) الاستفهامية ، ليجعل المتلقى حاضرًا فى مشهد التفسير ، ومشاركًا فى عمليات التلقى والتحليل، مستخدمًا قدرة (كم) فى فتح فيوضات دلالية ، يتشوق المتلقى إلى بلوغها ؛ فيذكر

[176] البيت من بحر الكامل ، انظر : الديوان : ٢٤٥/ ٢٦٤

[177] البيت من بحر الخفيف ، فى قافية الهمزة المكسورة ، انظر : الديوان : ١/ ١٤

مناقبه ، سائلًا المتلقى عن تجاهله لهذا الكم غير المحدد من مواقف النبل ، التى يشهد بها جميع الخلق ، مطالبًا إيَّاه بأن يفى بما نال من معروف.

المطلب الثانى: الإبداع الدلالى للاستفهام الاسمى بـ: (ما) الدالة على غير العاقل :

يتصل ببناء جملة الاستفهام في شعر ظافر ، ما يتعلق بالسؤال و الجواب ؛ الذي يحمل بعدًا تداوليًّا في الكلام ، فقد وظَّف ظافر هذا الأمر ، ليعبر عن حالته النفسية ، وليكشف عن قصده المركزي من الكلام ؛ فنراه يستخدم من ألفاظ المشاعر ما يصلح مع متلقيه ، فيأتي بصيغ للسؤال والجواب تامة ؛ مما يحسن السكوت علي أيٍّ منها ، ويأتي الجواب ليصحح مسار سؤاله ، بلغة مستعملة ، رقيقة ، مصرّحة بصوت النفس ، انظر إليه ، وهو يقول :

لَوْ قِيلَ لِي : مَا الْحُسْنُ؟ كُنْـ	تُ أَفُضُّهُ ، وَأَقُولُ : هَذَا .([178])

يبدو من إيراد ظافر هذا النمط من خطابات الطلب الاستفهامى أنه قد استثمر ، ما لهذا النمط من طاقة إيحائية ، حيث يمتاز نمط (ما الاستفهامية) بخصائص يتفرد بها ، خصائص لفظية ، ومعنوية ، ودلالية ، وتداولية ؛ حيث إنه من المعلوم أن استفهام (ما) منصرف إلى ما لا يعقل ، ذاتًا ، أو جنسًا ، أو ما يتصل بهم من صفةً ، **وهو – <u>فى قوله : ما الحسن؟.–</u>** يستفهم عن أمر معنوى ، و هو محددات الحسن ، صفةً ، بهدف إيضاح مدلول هذا المعنى ، والكشف عن نسبته ، وقد عبَّرت ما عن إبراز عجز المتلقى ، من غير ظافر– عن الكشف عن ملابسات هذا الحسن ، وبيان محدداته ، وقد أضاف هذا الاستفهام تعظيمًا لمن يستطيع فضَّ غموض هذا الاسم النسبى التعريف والدلالة . ونظير ما سبق : قول ظافر من قصيدة له :

مَالِى أَتَيْتُ الْحَظَّ مِنْ أَبْوَابِهِ	جَهْدِى فَدَامَ نُفُورُهُ وَلَوَاذُهُ؟.([179])

فى هذا الشاهد من خطاب الاستفهام الاسمى ، توجَّه ظافر إلى استفهام ذاته ، متمركزًا حولها ، مطالبًا إيَّاها ، من دون غيرها بالجواب ، حيث لم يضع فواصل لغوية أو دلالية بينه وبين الاستفهام ، فى قوله : مالى؟. وهو تركيب تنائى التكوين ، يدل على العجز ، والحيرة ، والمواجهة مع الذات ، ويوحى بالضآلة ، و قلة الشأن ، بدليل أنه سلط الاستفهام على عبارة

[178] في وصف كتاب ممدوحه ، من بحر مجزوء الكامل ، الديوان : ٩١/ ١١٩

[179] فى الغزل ، من بحر الكامل ، فى قافية الذال الموحدة المعجمة الفوقية ، انظر : الديوان ، ٩٠/١١٨

الجار والمجرور المؤلفة من حرف الجر الضعف ، والضمير الضئيل فى عدد الأحرف و الدلالة.

واستفهامه هذا دليل يأس وشكوى من معاندة الحظ ، رغم إصراره على ارتياد أبوابه ؛ فهو الحظ يقابله بالنفور والهرب ؛ وقوله : (مالى) استفهام ذو تداولية ذاتية ، تعتمد على عصف الفكر والنفس ، وجلد الذات ، كما حمل استفهام ذاته معنى التعريض بضعف شأنه ، مرًا إيَّاها أن تقدم له جوابًا شافيًا لنفور الحظ منه. ويقول من قصيدة له :

مَا لِي دَعَوْتُكَ لِلْوِصَالِ فَلَمْ تُجِبْ	وَ دَعَوْتَنِي لِهَوَاكَ لَبَّيْتُ الدُّعَا؟.
أَتُرَاكَ حُلْتَ عَنِ الْمَوَدَّةِ أَنْ تُرَى	دَاعٍ عَلَيْنَا بِالْقَطِيعَةِ قَدْ دَعَا؟.([١٨٠])

من الجيد الإشارة إلى أنه قد تدل أسماء الاستفهام على الاختصار ، لأنها تحمل دلالة تركيبية ، تغنى عن إيراد الكثير من القوالب الكلامية ، التى تحمل معانى جزئية ، وقد وظَّف ظافر هذا الأمر فى استفهامه(مالى دعوتك للوصال فلم تجب؟.) وكأنه فى حيرة من أمره ، عبَّر الاستفهام فيها عن التناقض الدلالى ، بين انفتاح الدلالة و فيوضها ، و بين انغلاقها ، حين نرتضى أن يكون ظافر قد أشار إلى عجزه و ضعفه ؛ وكأن ظافرَ يُريد إقرارًا من المخاطب بما يصلح أن يكون جوابًا لاستفهامه ، فإذا سلمنا باستنفار (ما) الاستفهامية لكل دلالة ممكنة ، يحملها مضمون ما بعدها أدركنا حيرة الشاعر ، الذى وقع فى براثن عدم التحديد ، حيث لا جوابَ مقنع له عن ردِّ المحبوب وصاله ، وقد طرق له كل باب ، وكأن كل احتمال دلالى مستبعد.

وكأن تقدير الاستفهام : أىَّ شىءٍ منعك من وصالى ، فى مقابلة تلبيتى لوصالك متى دعوتنى. فصار تركيب الاستفهام بـ(ما) تركيب مراوغ ، غامض ، بيد أنه غموض فنى ، تقوم لذته على الحيرة والإدهاش ، و التعجب من صيرورة الأمر، فهو يستفهم ، ويُريد جوابًا من ذاته ؛ وإن بدا ، فهو لا يملك إثباتًا له أو نفيًا ، وهنا تبدو جماليات الدلالة التركيبية لنمط استفهام (ما) ، مردها إلى الحيرة ، و التوسط بين الاحتمالات المقبولة ، و العجز عن الإثبات أو النفى ، بدليل أن البيت الثانى قد صُدِّر بقالب الاستفهام التعجبى ، الذى يُوحى بإنكار ظافر لوجود ما يقتنع به من مضمون الاستفهام الأول.

[١٨٠] فى الغزل ، من بحر الكامل ، وموجودة فى قافية العين المفتوحة ، انظر : الديوان ، ١٨٣/١٦٠

المطلب الثالث: الإبداع الدلالى للاستفهام الاسمى بـ: (مَنْ) الدالة على من يعقل :

نحو قول ظافر :

وَمَنْ لِى بِأَنْ أَحْظَى لَدَيْهَا بِزَوْرَةٍ؟.	**وَلَكِنْ عَدَتْنِى دُونَهُنَّ الْمَوَانِعُ.**([181])

مما يلفت النظر فى استفهام (من) عند ظافر– فى البيت السابق– أنه استثمر دلالتها على العاقل ، فى إلهاب نفس متلقيه ، وتشويقه ، من دون تحديد لمتلق بعينه ، إذ يوحى إلى تعجيز من يخاطبه ، وكأنه لا يجد من يُجيب استفهامه ؛ راغبًا فى إطلاق انفعاله إلى كل بنى جلدته ، وقوله :(من لى) استفهام نفسى، أو بالأحرى صرخة انفعالية ، لا تريد جوابًا ، حيث لن تجد مجيبًا ، فجميع المخاطبين عاجزون عن تمكينه من رؤية من يُحب ، إنما تريد فحسب توظيف لغة الإفصاح فى تجسيد زفرة نفسية عند ظافر؛ ولعل فى قصدية ظافر عدم تحديد متلق بعينه استدعاء لغرض التعجيز و ضعف الحيلة ؛ إذ إن صرخته لن تجد مُجيبًا، و إن وجدت ، فالصارخ و المجيب ، لا حيلة لأحدهما أو كليهما. ومن أمثلة ذلك : قول ظافر في قصيدته :

مَنْ رَاحِمٌ ؟ مَنْ عَاصِمٌ؟ مَنْ حَاكِمٌ	فِيهِ فَيُنْصِفُ ذِلَّتِى مِنْ عُجْبِهْ؟.([182])

بدا من تكرير قالب الاستفهام الاسمى**(من راحم؟. من عاصم؟. من حاكم؟.)** إدراك ظافر للدلالة التركيبة لهذا القالب ، وهو كونه موضوعًا للسؤال عن جنس من يعقل ، ويطلب جوابًا خاصًّا بجنس البشر ، أو ما يتصل بهم من الصفات على سبيل المجاز، أو الاتصاف بالفاعلية ، اذا باشرت اسمًا مكرَّرًا، وقد جسَّد هذا التكرير هزة انفعالية ، تملكت نفس ظافر ، أكدت ما يعانيه من ضعف واستجداء، ونفت تحقق مضمون ما بعدها ، وكأن ما باشرته (من) قد استحال على كل أجناس البشر؛ حتى إن ما بعد خطاب الاستفهام قد حمل استفهامًا ضمنيًّا ، **تقديره : من منصف لى من ذلتى؟.**

ومن يتأمل خطاب الاستفهام (من راحم؟.) ، (من عاسمُ؟) ، (من حاكمٌ). يجد أن هذا المركب الثنائى التكوين ، العميق الدلالة ؛ قد عبَّر عن التماس ظافر و رجائه أن يجد جوابًا لطلبه ،

[181] وهو يعتذر لصديق له بالإسكندرية ، وقد أنفذ إليه يعتب لأجل الانقطاع عن كتبه ، من بحر الطويل ، وفى قافية حرف العين المضمومة ، الديوان ، ١٧٧/١٥٥

[182] من بحر الكامل ، فى الشوق والحنين إلى وطنه مصر، وهى فى قافية الباء المكسورة ، فى قافية مقيَّدة بهاء السكت ، الديوان ، ٢١/١٠

وقد دلَّ خطاب الاستفهام على طلب النصرة ، محاوزًا ذلك إلى حد العتاب ، بل ربما كرر خطاب الاستفهام بـ(من) ليبين حالة الدهشة و الذهول التى أصابته ، من خلى الناس عن إنصافه و نصرته ، و هنا جمع خطاب الأمر إلى ذلك دلالة الحث و التخضيض لمن ينصفه و ينصره . كاشًا أن هذا التخلى عن نصرته قد أصابه بهزة انفعالية أليمة قد شكلت ضغطًا نفسه على ذاته ، فقابلها بصراخ طلق ، طالبًا مستفهمًا ، فقد غابت الرحمة ، وفقدت الحماية ، واندثرت بواعث الحكمة و القوة ، وحتى يعبر ظافر عمَّا يعانيه التمس مجيبًا لطلبه ، فى حالة من التدرج المعبر عن انفعال نفسه. ويقول : من قصيدة له:

لِمَنِ الشُّمُوسُ غَرَبْنَ فِى الْأَحْدَاجِ	وَطَلَعْنَ بَيْنَ الْوَشْيِ وَ الدِّيبَاجِ؟.([١٨٣])

بدأ ظافر خطابه الاستفهامى – فى هذا الموضع – وقد سبقته اللام الجارة ، الدالة على الالتصاق الدلالى المتمركز حول ما اتصلت به ؛ وهذا الاستفهام قد جعل الاستفهام حول ممدوحه ، حيث دلَّت (من) على أن ما بعدها محال أن يكون فى غير ممدوحه ، واستفهامه – هنا– لا ينتظر جوابًا ، إذ غرضه التعظيم لا الاستخبار ، فهو يعلم من يستفهم عنه حق العلم، بل إنه احتاط لمعنى استفهامه بأن أحاط اسم الاستفهام بمقيد اللام الجارة ؛ فاستفهامه استفهام عناية ، وتعظيم ، فهو يُجلُّ ممدوحه ، ويصفه بأنه قد حاز الشموس ، وأنه صار كالشمس الخلابة المنظر وقت غروبها.

<u>المطلب الرابع: الإبداع الدلالى للاستفهام الاسمى بـ: (كيف) الدالة على الحالة :</u>

من المعلوم أن كيف تدل – فى الأغلب– على معنى التعجب والإنكار ، ويكون الاستفهام بها قائمًا على التردد والشك ، وتسأل عن الحال فى مطلق أمرها ، استفهامًا كانت أو خبرًا ، وقد وظَّف ظافر هذا المعانى فى منجزه الشعرى ومن أمثلة ذلك : قول ظافر في قصيدته:

فَقَالَتْ لِى : هَجَرْتُكَ لَا لِعَيْبٍ	**فَكَيْفَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْعُيُوبِ؟!.([١٨٤])**

ويقول من قصيدة له :

فَكَيْفِ وَ الْإِنْسَانِ مِنْ بَعْدِهِ	**مُنَاقَشٌ مِنْ عَالِمٍ حَاسِبِ.([١٨٥])**

[١٨٣] يمدح الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش ، يهنئه بعيد الفطر ، وهى من بحر الكامل ، فى قافية الجيم الساكنة (قافية مقيَّدة) ، انظر : الديوان ، ٧٥/٥٦

[١٨٤] البيت من بحر الوافر ، و هو لقصيدة له فى المعنى ، انظر : الديوان: ٢٣/١٥

[١٨٥] فى عتاب نفسه و التحسر و الشكوى ، من بحر السريع ،وفى قافية الباء المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٥/٢٠

ويقول من قصيدة له :

فِى أَصْلِ لَوْنِ الْمَشِيبِ شَكٌّ	**كَيْفَ إِذَا زَالَ وَ اسْتَتَابَا؟.([١٨٦])**

بدا ظافر فى الشواهد السابقة مستثمرًا خطاب الاستفهام بـ(كيف) فى التعبير عن تعجبه وإنكاره – وأحيانًا الاستغراب– لمضمون الخبر الذى عبرت عنه الصياغة التركيبية للأبيات. فقد زاوج بين الأنماط التركيبية لكيف ، فهى قد دخلت على الاسم ، كما فى قوله : فكيف والإنسان من بعده؟ ، وأخرى قد باشرت الفعل ، كما فى قوله : كيف إذا زال واستتابا؟ ، وثالثة باشرت (كيف) فيها ، التركيب الهامشى ، المكون من عبارة الجار و المجرور، كما فى قوله : فكيف على الكثير من العيوب؟!. وكأن الفعل محذوف ، تقديره : فكيف يصنع الإنسان على الكثير من العيوب؟!. وفى المثال الثانى إشارة إلى التوقع . حيث دخلت (كيف) على الاسم، ومن خصائص كيف أنها إن باشرت الأسماء ضُمِّنت معنى الحدث فى المستقبل ، على سبيل التوقع ، أما إذا توسطت (إذا) بينها و بين ما تسأل عنه ، فإنها تدل على الشك و التردد.

المطلب الخامس: الإبداع الدلالى للاستفهام الاسمى بـ: (أين) المستفهم بها عن المكان:

ونحوًا من ذلك : قول ظافر في قصيدته:

عَسَى يُدْنِيكَ يَا بَلَدِى إِيَابٌ	**وَهَبْ ذَا تَمَّ لِى أَيْنَ الشَّبَابُ؟.([١٨٧])**

ومحل الاستشهاد فى قوله : **أين الشباب؟.** من المعلوم أن (أين) تسأل عن المكان المادى ، بيد أن ظافر قد وظَّفها – هنا– ليُسأل بها عن المعنويات ، إذ محال أن نحيِّز ما يُسمى الشباب ، وكأن ظافر يعانى اغترابًا ، وأن تحقق ما بعد أين هو ضرب من المحال ، وقد حملت (أين) معنى البعد ، بمعنييه المادى و المعنوى ، كما عبَّرت عن تملك انفعال اليأس من نفس ظافر من تحقق الشباب ، وقد بلغ الكبر والضعف والعجز مبلغه . والدليل على هذا اليأس الذى بلغ غايته فى نفس ظافر أنه صدَّر جملته بالقالب اللغوى(عسى) الدال على الرجاء ، وصعوبة تحقق ما بعده ، وقد ناسب ظافر بين غربته عن بلده ، وبحثه عن الشباب ، فأسهم الاستفهام بـ(أين) أن يُزيد حنينه و شوقه إلى بلده ، كما يعبر عن حنينه للشباب .

[١٨٦] ، فى خضاب الشيب وقصه ، من بحر المنسرح ، وفى قافية الباء المفتوحة ، الديوان ، ٢٣/١٦

[١٨٧] البيت من قصيدة لظافر ، قالها فى المعنى ، وفى ذم البين و الفراق ، من بحر الوافر ، و فى قافية الباء المضمومة ، انظر : الديوان ، ٣١/٢٧

وقد رسم ظافر صورة درامية من خلال الاستفهام بـ(أين) ليدل على عجزه و حيرته ، جاءت الصورة الأولى فى اغترابه ، و طرده من بلده ، الذى يرجو أن يقترب منه ، أو أن يعود إليه مرة أخرى مستعطفًا لمتلقيه أن يعينه على إيصال لواعج نفسه إلى متلقٍّ بعينه ، فى تحول من البنية السطحية إلى البنية العميقة، وتأكيدًا لهذا المعنى ؛ فقد راعى أفق انتظار المتلقى بأن وفر له صورة حسية أخرى ، تمثلت فى بحثه عن الشباب ، ونجح فى عقد ضفيرة عظمت من دلالة استحالة التحقق لكلتا الصورتين، **ويقول** فى قصيدة له :

أَيْنَ الْعُهُودُ الَّتِى كَانَتْ بِكَاظِمَةٍ	عَيْنَاكَ أَوْهَمَتَانِى أَنَّهَا ذِمَمُ؟.([188])

باشر اسم الاستفهام(أين) مسندًا إليه ، وهو كلمة (العهود) ، التى شغلت موقع المبتدأ ، و فئة الاسم المعرف بـ(ال) الذى يحتاج إلى متمم لفراغه الدلالى ، وقد دلَّت أين هنا على النفى لما بعدها ، وهذا المعنى يستند إلى القرائن اللفظية المصاحبة ، فقد استخدم ظافر القالب الفعلى(كانت) ليدل على عدم حضورها إلى حال التواصل ، وقد جاوز هذا الاستفهام حدَّ النفى إلى حد التوبيخ ، وقد سرد ظافر حقيقة ، وهى ضياع العهود ، مستخدمًا (أين) الدالة على طلب المكان المادى أو المعنوى ؛ ونتج عن الاستفهام بـ(أين) الدالة على النفى والتوبيخ ، مطالبة ظافر من متلقيه ألَّا ينخدع بالعهود ، حتى وإن كانت مؤكدة ، فتحققها مستبعد ، حيث إنها و الوهم سواء ، لا مكان لهما. **ويقول** من قصيدة له :

أَيْنَ مَاءُ النِّيلِ مِنْ كَفِّكَ إِذْ	**أَخْجَلَ الْبَحْرَ ، وَوَدْقَ السُّحُبِ؟.([189])**

صدَّر ظافر جملته بخطاب الاستفهام الاسمى بـ (أين) التى نجحت فى نقل ذهنية المتلقى من فكرة إلى أخرى ، و من صورة إلى ثانية ؛ إلى ثالثة ، تجلت الصورة الأولى فى تحييز ماء النيل ، و الصورة الثانية فى كفِّ ممدوحه الندية ،التى عطاؤها يجاوز ماء البحر ، الذى أصابه الخجل ، حين رأى عطاء الممدوح المتدفق ، والصورة الثالثة تجلت فى ودق– مطر– السحب ، التى جاءت على فُعُل ، وهى جمع كثرة.

[188] يمدح فيها القائد أبا عبد الله محمدًا بن الأمير أبى شجاع فاتك، متولى تدبير الدولة الأفضلية ، من بحر البسيط ، وهى فى قافية الميم المضمومة ، انظر : الديوان ، ٢٣٥/٢٥٠

[189] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأفضل ، ، و يهنئه بشهر رجب ، ويذكر حال النيل فى تلك السنة ، من بحر الرمل ، و فى قافية الباء المكسورة ، انظر : الديوان ، ٣٤/٤٧

وليس من شك فى أن هذا الانتقال بين حركة وأخرى ، وصورة ، ثانية ، وعاطفة ومثلها قد منح المتلقى طاقة جديدة ، لتجديد نشاطه ، و تغيير رتابة الأنماط التقليدية من القوالب الكلامية ؛ وقد دلَّ الاستفهام بـ(أين) هنا على تعجيز المتلقى ، وإبراز عدم قدرته على ردِّ مضمون الخبر ؛ حين يوازن بين الصور المختلفة ، والعواطف المتباينة ، لينبه إلى عناية ظافر الشديدة بممدوحه.

المطلب السادس : الإبداع الدلالى للاستفهام الاسمى بـ: (ماذا) الدالة على الاستفهام عن مضمون الخبر: ونحو ذلك : قول ظافر في قصيدته :

مَاذَا يَقُولُ الْمَادِحُو(م)	**نَ وَأَنْتَ مُخْتَرِعُ الْغَرَائِبْ؟.([١٩٠])**

دخلت (ماذا) على الجملة الفعلية ، وهو الأغلب فى أصل وضعها ، حيث إنها تسأل عن مضمون الحدث ، المتمثل فى الجملة ؛ فأراد ظافر بخطاب(ماذا) أن يجعل منها أداة للفيوض الدلالى و تحدى أفق انتظار المتلقين ، مشيرًا إلى حقيقة ، وهى أن ممدوحه لن تصل آفاق انتظار المخاطبين إلى وضع دلالة تركيبية مغلقة لما يصنع ، فكلما أوجدوا احتمالًا ، جاءهم بالأغرب ، وقد صدر جملته الشعرية بإنشاء ؛ ليدل على عجز مادحى مخاطبه عن الوفاء بحقه ، جاعلًا من جملته الخبرية التى أنهى بها خطابه دليلًا على تفرده فى مدح مخاطبه ، حتى إنه أورد تركيبًا خبريًّا جديدًا ، لم يُسبق إليه ، وهو قوله : **وأنت مخترعُ الغرائبْ** ، وكأن خطاب الاستفهام بـ(ماذا) قد جاء لتعجيز غيره ، و لفت الانتباه إليه. ويقول من قصيدة له :

هَذَا السُّقَامُ عَلَى ضَمِيرِكَ شَاهِدٌ	**عَدْلٌ ، فَمَاذَا يَنْفَعُ الْكِتْمَانُ؟.([١٩١])**

تحولت فى هذا الشاهد دلالة الاستفهام من طلب ما لم يكن حاصلًا فى الذهن إلى إقرار حقيقة ،وهى عدم جدوى الكتمان ، وقد بان أن ممدوحه عدل ، قد أصابه الهم و السقام ، وكأن العلاقة بين شطرى البيت علاقة مقلوبة ، ، فقد بدأ بالخبر ، و هو وصف الحالة ، ليلفت انتباه المتلقى ، و يستميله للمشاركة فى الحدث ، و ليقدم دليلًا على صدق عاطفته ، ثم عقَّب بإنشاء ، وهو قوله : فماذا ينفع الكتمان ؟، ليبين أثر الكتمان فى هذا السقام، عارضًا انفعال النفس و الجسم معًا من هذا الكتمان ، لذا عرَّف كلمة السقام ، ليشير إلى أنه ليس

[١٩٠] فى مدح الأفضل ، من مجزوء الكامل ،وفى قافية الباء الساكنة(قافية مقيَّدة) ، الديوان ، ٣٢/٣٩

[١٩١] يشكو الفراق وألم الترحال عن الأوطان ، من بحر الكامل ، و فى قافية حرف النون المضمومة ، الديوان : ٢٥٩/٢٧٦

مستغربًا الأمر ، بل يجاهر به ، وهنا قد يُقال : قد خرج الاستفهام إلى معنى التقرير ، و التأكيد.

- **مواضع أخرى من النماذج التطبيقية لخطاب الاستفهام فى شعر ظافر:**

إن المتأمل لشعر ظافر – فى ديوانه ، وفي استفهاماته – ليجد أنه قد وازن بين المعني الاصطلاحي للاستفهام من أنه طلب الفهم و المعرفة ، وبين البعد التأثيري له ، وهو رغبته النفسية فى التعبير عن خلجات نفسه ، واستمالة المتلقى ليشاركه انفعالاته ، فى قصدية من ظافر باستخدام خطاب الاستفهام بطريقة فيها الكثير من المراوغة وعدم المباشرة ، بعد أن صار الاستفهام فعلًا منجزًا ، مستفزًّا لأفق انتظار التلقي ، فيثار المتلقي، وينشط ذهنه، فيلوذ بمخزونه ، ليرد هذا الضغط الاستفهامي من جانب المؤلف.([١٩٢])

أولًا : مواضع لجملة الاستفهام المصدرة بمورفيم سابقة الاستفهام([١٩٣]) الحرفى(الهمزة وهل):

وقد وردت جملة الاستفهام المصدرة بسابقة مورفيم الاستفهام الحرفى فى ديوان ظافر على النحو الآتى : ويُمكن الاستشهاد لها على النحو الآتى :

* مواضع جملة الاستفهام المصدرة بسابقة الاستفهام الحرفى(الهمزة):

م)	طر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة
١	أفى كلِّ يومٍ لى إلى البين حسرة	كأن النوى وقْفٌ علىَّ خصوصُ؟.([١٩٤])	أفى؟	الهمزة
٢	ألومها و هى لا تُصْغى لمعتبةٍ	أخدعة أم جنون ذاك أم صلفُ؟.	أخدعة؟	الهمزة
٣	أرى الزمان يُعادى كل ذى أدبٍ	يا ليت شعرى ، ألؤم منه أم خرَفُ؟.([١٩٥])	ألؤمٌ؟.	الهمزة

[١٩٢] من الجيد الإشارة إلى أن لا يجوز تكرير بين حال العطف بين أمرين ، إلا حين يكون الثانى ضميرًا ، بيد أن المؤلف قد كرر بين – فى هذا الموضع– لطول السياق ، و احترازًا من الإلباس فى المعنى .

[١٩٣] ينبغى للباحث أن يُشير إلى أنه قد أفرد هذا الجزء للاستشهاد بالنماذج التطبيقية فى خطاب الاستفهام ، وجعله فى صورة تبدو مستقلة رغبة منه فى أمرين ؛ أحدهما إبراز شمولية الشاعر، وتعدد الأنماط التعبيرية فى منجزه الشعرى ، والآخر : التأكيد على أن هذا الشاعر بدا مترددًا حائرًا ، صارخًا ، دائم الطلب، فى اعتداد بالنفس، وقوة فى الانتخاب والصياغة والهيئة لمنجزه النفسشعرى.

[١٩٤] البيت من قصيدة لظافر فى الشكوى من ألم البعد و الفراق ، وهى من الطويل ، و فى قافية الصاد المهملة ، انظر: الديوان ، ١٥٨/١٣٧

[١٩٥] البيتان من قصيدة لظافر ، فى شكوى الزمن ، و هى من بحر البسيط ، و هى موجودة فى قافية الفاء المضمومة ، انظر : الديوان ، ١٩٢/١٦٨

مواضع جملة الاستفهام المصدرة بسابقة الاستفهام الحرفى (هل) :

(م)	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة
١	يا هل إلى الإسكندرية أوبةٌ	فيُسرُّ قبل مماته بإيابه ؟.([١٩٦])	هل إلى؟	هل
٢	فيا ليت شعرى هل على ما لفيتُه	وكابدتُ من جوْر الفراق	هل على؟	هل
٣	لأن اللطف لمس من أنامله	سلخٌ ، و هل بعد سلخٍ ينبت الشعرُ؟.([١٩٨])	هل بعد؟	هل
٤	أأحبابنا هل لى إلى ما عهدتمُ	من العيش فيكم مثل ما كنت مطمعُ؟.([١٩٩])	هل لى إلى؟	هل
٥	فضلٌ يَجِلُّ عن الدليل و هل على	شمس الظهيرة يُطلبُ البرهانُ؟.([٢٠٠])	هل على؟	هل
٦	فإنك إسكندر المحدثين	فهل خضر تصطفيه جليسا؟.([٢٠١])	هل خضرٌ؟	هل

ثانيًا : مواضع من جملة الاستفهام المصدرة بمورفيم سابقة الاستفهام الاسمى فى شعر ظافر:

وردت جملة الاستفهام المصدرة بـ: (اسم من أسماء الاستفهام) في ديوان ظافر على النحو الآتى :

* مواضع استفهامه بمورفيم سابقة اسم الاستفهام(من) التى للعاقل (أو لغيره على سبيل المجاز):

(م)	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة

[١٩٦] البيت من قصيدة لظافر ، صدرها المحقق بعبارة : قال – رضى الله عنه – من بحر الكامل ، فى شكوى البين و الحنين ، انظر : الديوان ، ٣٠/٢٦

[١٩٧] البيت من قصيدة لظافر ، قالها فى ذم البعد و شدة الشوق و الصبر ، و الحنين إلى الوطن ، و هى من بحر الطويل ، فى قافية الدال المضمومة ، انظر : الديوان ، ١٠٦/٨٠

[١٩٨] البيت من قصيدة لظافر فى ذم حلاق ، و هى من بحر البسيط ، و فى قافية الراء المضمومة ، انظر : الديوان ، ١٢٣/٩٥

[١٩٩] البيت من قصيدة لظافر ، يذكر فيها حنينه إلى وطنه ، و يشكو ألم الفراق ، و يصف المروج و البساتين ، و هى من بحر الطويل ، و فى قافية العين المضمومة ، انظر : الديوان ، ١٧٣/١٥٣

[٢٠٠] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأجلَّ الأفضلَ ، و يهنئه بشهر رمضان ، و هى من بحر الكامل ، و فى قافية حرف النون المضمومة ، انظر : الديوان ، ٢٦٩/٢٥٠

[٢٠١] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأفضل أبا على بن الأفضل شاهنشاه ، و هى من بحر المتقارب ، و فى قافية حرف السين المفتوحة ، انظر : الديوان ، ٢٩٧/٢٧٤

١	دُرٌّ يلوح بفيك : من نظَّامه؟.	خمرٌ يجول عليه : من تبَّاذه ؟.([٢٠٢])	من نبَّاذُه؟	من
٢	هاروت يعجز عن مواقع سحره	وهو الإمام ، فمن تُرى أستاذُه؟.([٢٠٣])	من ترى ؟	""
٣	لمن يستعد الجيشُ قد مُلِئ الفضا	وضاقت على الجوزاء منه المطالعُ؟.([٢٠٤])	لمنْ يستعد؟	لمن
٤	من أحنفُ؟ من حاتمُ؟ من يعرُبُ؟	من عنترُ؟ من قُسٌّ؟ من سحبانُ؟.	من أحنفُ؟	من
٥	من أرسطاطاليس؟ من إسكندرُ؟	من قيصرُ؟ أم من أنوشروانُ؟.([٢٠٥])	من إسكندر؟	""

وقد وردت أنماط جملة الاستفهام المصدرية بسابقة الاستفهام الحرفى (من) فى موشحات ظافر ، و يُمكن أن نستشهد على ذلك بما يلى :

جسم راح يدميه لمس الراح	لما لاح ، لم احتفل باللاح([٢٠٦])
يا فتَّاك	
بالقتل من أفتاك ؟.([٢٠٧])	

- <u>مواضع استفهامه بمورفيم سابقة الاستفهام (ما) التى لغير العاقل(أو لغيره من باب المجاز) :</u>

م	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة
١	فقلتُ : الشبابُ على صدقه	يَخُونُ ، فما الظنُّ بالكاذبِ ؟.([٢٠٨])	ما الظن؟	ما

[٢٠٢] البيت من قصيدة لظافر فى الغزل و الحنين ، وهى من بحر الكامل ، فى قافية الذال المعجمة الفوقية ، انظر : الديوان ، ١١٨/٩٠

[٢٠٣] البيت من قصيدة لظافر فى الغزل و الحنين ، وهى من بحر الكامل ، فى قافية الذال المعجمة الفوقية ، انظر : الديوان ، ١١٨/٩٠

[٢٠٤] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأفضل ، و يهنئه بشهر رمضان ، ويذكر حال التيل فى تلك السنة ؛ لأنه نقص فى أوان الزيادة ، و زاد فى أوان النقص زيادة عجيبة ، ففرح الناس بها بعد الإياس ، و القصيدة من بحر الطويل ، و هى موجودة فى قافية حرف العين ، انظر :/ الديوان ، ١٧٠/١٥٠

[٢٠٥] البيتان من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأجلَّ الأفضلَ ، و يهنئه بشهر رمضان ، و هى من بحر الكامل ، و فى قافية حرف النون المضمومة ، انظر : الديوان ، ٢٦٩/٢٥٠ (مكررة)

[٢٠٦] اللاح من اللاحى ، و هو : اللائم .

[٢٠٧] الديوان ، ٢٩١/٢٦٨

٢	أأحبابَنا بالثغر ما كان من بعدى؟	تُراكم – و إن طال البُعاد – على العهد؟.([٢٠٩])	ما كان؟	""
٣	وقناة ذاك القدِّ كيف تقوَّمت؟	وسنان ذاك اللحظ ما فولاذه؟.	ما فولاذه؟	""
٤	وهبْ زخرفوا كذبًا مُوهمًا	أما للكلام معانٍ تُذاق؟.([٢١٠])	أما؟	""
٥	ما قصدها فى دم و لحم	بالعضّ بل قصدها العظام؟.([٢١١])	ما قصدها؟	""
٦	هبنى اعتذرت لسقمى أنه مرض	ما حيلتى فى دموع وبلها ديم؟.([٢١٢])	ما حيلتى؟	""
٧	مالى بُليتُ بقاسٍ معجبٍ صلفٍ	يرضى إذا بتُّ بالهجران غضبانا؟.([٢١٣])	مالى؟	""
٨	فما له فى انتهاك الستر قد نقص الـ	تالين ما بين تقبيح و تحسين ؟.([٢١٤])	ما له؟	""
٩	ثغرٌ لاح يستأثر الأرواح	لما فاح ، ما الخمرُ؟ ما التفاحُ؟.([٢١٥])	ما الخمر؟	""

– نحو استفهامه بمورفيم سابقة الاستفهام(كيف) :

(م)	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة

[٢٠٨] قول ظافر ، في قصيدته من بحر المتقارب ، قالها فى ذمّ الشيب ، انظر : الديوان ، ٢٣/١٤

[٢٠٩] البيت من قصيدة لظافر ، قالها يذكر زمانه فى الإسكندرية ، و حنينه إلى الوطن ، و هى من بحر الطويل ، فى قافية الدال المكسورة ، انظر : الديوان ، ٩٢/٧٢

[٢١٠] البيت من قصيدة لظافر ، قالها فى الشوق إلى إخوانه ، و يعتذر من تخلُّف مكاتبته عنهم ، و يُعرِّض بذكر حاسد شنَّع عليه بالإسكندرية ؛ أنه قُتل بمصر ، و هى من بحر المتقارب ، و هى موجودة فى قافية القاف المضمومة المثناة المعجمة الفوقية ، انظر : الديوان ، ٢١١/١٨٧

[٢١١] البيت من قصيدة لظافر فى ذم الحمَّام ، من بحر المنسرح ، و فى قافية حرف الميم المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٣٦/٢٢٤

[٢١٢] البيت من قصيدة لظافر يمدح فيها القائد أبا عبد الله محمد بن الأمير أبى شجاع فانك ، متولى تدبير الدولة الأفضلية ، من بحر البسيط ، و فى قافية الميم المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٤٩/٢٣٥

[٢١٣] البيت من قصيدة لظافر يمدح فيها أبا البركات محمدًا بن محمد بن صالح بن عثمان ، و هى من بحر البسيط ، و فى قافية النون المفتوحة ، انظر : الديوان ، ٢٧١/٢٥٢

[٢١٤] البيت من قصيدة لظافر فيمن يكشف عورته فى الحمام ، و هى من بحر البسيط ، و فى قافية النون المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٧٥/٢٥٩

[٢١٥] البيت هو مطلع موشحة لظافر ، وهى فى الزيادات عن النسخة الألمانية و النجفية ، انظر : الديوان ، ٢٨٩/٢٦٨

١	فريح المنايا كيف غالته وهى من	صنائعكم فيما يُخاف ويُحذر؟.([٢١٦])	كيف غالته؟	كيف
٢	فكيف و قد صار البعاد ثلاثة	مماتٌ و بينٌ نازحٌ و سقامُ؟.([٢١٧])	فكيف؟	""
٣	ويُعذَر من يشتاق أسوأ موطنٍ	فكيف مقامًا طيبًا كمقامى؟.	كيف مقامًا؟	""
٤	يُحب الفتى أوطانه وبا العدا	فكيف بأحباب علىَّ كرام؟.([٢١٨])	كيف بأحباب؟	""
٥	لهفى على الإسكندريـ(م)	يَة ، كيف يسكنها اللئامُ؟.([٢١٩])	كيف يسكنها؟	""
٦	عجبًا لأهلك ، كيف أهلك بينهم؟.	و أموت لم يشعر بقتلى شاعرُ؟.([٢٢٠])	كيف أهلك؟	""
٧	وكيف يُكال البحرأم كيف تُوزن الـ	جبالُ ، وهى تُحصى الرمال وتنعدُّ؟.([٢٢١])	كيف يُكال؟	""
٨	عجبتُ منها و ما الإمساك عادتها	فكيف تحوي عنانًا حين تطلبه ؟ .([٢٢٢])	كيف تحوى؟	""

* نحو استفهامه بجملة الاستفهام المصدرة بسابقة اسم الاستفهام (متى):

(م)	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة

[٢١٦] البيت من قصيدة لظافر ، يرثى بها المظفر أخا الأفضل ، من بحر الطويل ، و فى قافية الراء المضمومة ، انظر : الديوان ، ١٤١/١٢١

[٢١٧] البيت من قصيدة لظافر ، يذكر وطنه ، و أموات آبائه ، من بحر الطويل ، وفى قافية الميم المضمومة ، انظر : الديوان ، ٢٤١/٢٣١

[٢١٨] البيتان من قصيدة لظافر ، قالها يذكر قومه ، و يتشوق إلى الإسكندرية ، من بحر الطويل ، و فى قافية الميم المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٤٨/٢٣٤

[٢١٩] البيتان من قصيدة لظافر يذم فيها أهل الإسكندرية ، من مجزوء الكامل ، و فى قافية حرف الميم المضمومة ، انظر : الديوان ، ٢٥٦/٢٣٩

[٢٢٠] البيت من قطعة شعرية لظافر ، قالها فى الغزل ، من بحر الكامل ، و فى قافية الراء المضمومة فى الزيادات ، انظر : الديوان ، ٢٩٣/٢٧٠

[٢٢١] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأمير الآمر المنصور ، من بحر الطويل ، انظر : الديوان ، ١١١/٨٣

[٢٢٢] البيت من قصيدة لظافر ، قالها فى الشوق و التحسر ، من بحر البسيط ، فى قافية حرف الباء المضمومه المقيدة بهاء السكت ، انظر :الديوان ٤٩/ ٦٧

١	متى كانت الأيامُ تُسعف بالمُنى	وروض الهوى غضُّ النبات نضيرُ ؟. ([٢٢٣])	متى كانت؟	متى

* نحو استفهامه بمورفيم سابقة الاستفهام(لِمَ):

(م)	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة
١	عوَّضك الله من غرابٍ	بازًا فلِمَ تؤْثر الغُرابا؟.([٢٢٤])	فَلِمَ تؤثر؟	لِمَ

* نحو استفهامه بمورفيم سابقة الاستفهام(أين):

(م)	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة
١	يا عاذلى : أين سمعى عنك ، وهْوَ	تبيَّن الرشدَ من لومٍ يكذِّبه؟.([٢٢٥])	أين سمعى؟	أين
٢	أخوضُ غمارًا من عَجاج ظُلامه	بحيثُ تقول الجن : أين تريدُ؟.([٢٢٦])	أين تريد؟	""
٣	وهيهات أين النيل من كفِّك التى	أبرَّ عليها جودُك المتتابعُ؟.([٢٢٧])	أين النيل؟	""
٤	أين شهيقُ الباكى و عَبْرته	إذا بدت من جفونه تسبق؟.([٢٢٨])	أين شهيق؟	""
٥	هبِ المآتم لا تخشى عواقبها	نفسُ الفتى ، أين منه نخوةُ الكرم؟.([٢٢٩])	أين منه؟	""
٦	والباب قد ضاع و هبْ لم يضِعْ	كيف سبيل خلاصى ؟ و أين؟.([٢٣٠])	و أين؟	""

[٢٢٣] قول ظافر ، فى التشوق ، من بحر الطويل ، فى قافية الراء المضمومة ، الديوان : ١٤٠/١٢٠

[٢٢٤] قول ظافر في قصيدته فى خضاب الشيب و قصِّه ، من بحر المنسرح ، الديوان ٢٣/١٦

[٢٢٥] البيت من قصيدة لظافر ، قالها يشكو اللوعة و الفراق ، و التألم من غدر الحب ، و هى من بحر البسيط ، انظر : الديوان ، ٦٦/٤٩

[٢٢٦] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأجلَّ الملك الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش ، و هى من بحر الطويل ، انظر : الدايوان ، ١٠٠/٧٧

[٢٢٧] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأفضل ، و يهنئه بشهر رمضان ، ويذكر حال التيل فى تلك السنة ؛ لأنه نقص فى أوان الزيادة ، و زاد فى أوان النقص زيادة عجيبة ، ففرح الناس بها بعد الإياس ، و القصيدة من بحر الطويل ، و هى موجودة فى قافية حرف العين ، انظر : الديوان ، ١٦٩/١٥٠

[٢٢٨] البيت من قصيدة لظافر ، فى وصف الطبيعة ، من بحر المنسرح ، و هى فى قافية القاف المقيدة(الساكنة)، انظر : الديوان ، ٢٠٤/١٨٢

[٢٢٩] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأفضل ، و يهنئه بأول السنة ، وهى من بحر البسيط ، وفى قافية الميم المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٤١/٢٣٢

٧	يا من تنزَّه أن يُقاس بمن مضى	أين الأعاجمُ منك و العُربانُ؟.([٢٣١])	أين الأعاجم؟	""

* نحو استفهامه بمورفيم سابقة الاستفهام(ماذا):

(م)	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة
١	ماذا يقول المادحون و قد بدا	بمديحك القرآن فى تنزيله؟.([٢٣٢])	ماذا يقول؟	ماذا
٢	يا هذه ، ماذا أفاد بملكه	فرعونُ أو بثرائه قارون؟.([٢٣٣])	ماذا أفاد؟	"""

نحو استفهامه بمورفيم سابقة الاستفهام(كم الاستفهامية):

(م)	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة
١	إذا أنزل الله الكتاب بمدحكم	فكم قدرُ ما يأتى به شاعرٌ بعدُ؟.([٢٣٤])	كم قدر؟	كم
٢	كم فى حشاك جراحةٌ عبثتْ بها	حَدَقُ الظِّبا و سوالفُ الغزلان؟.([٢٣٥])	كم فى حشاك؟	""
٣	كم ثَوى تحت قُبَّة الفَلَك الأعـْ	لى من الخَلْق بين تُرْبٍ و ماءِ؟.([٢٣٦])	كم ثوى؟	""
٤	كم قدرُ لومك حتي تُزيــ	ل غرامًا ما تمكَّن من أضلعي؟.([٢٣٧])	كم قدر؟	""

[٢٣٠] البيت من قصيدة لظافر ، قالها فى وصف حمَّام ، من بحر السريع ، و هى فى قافية حرف النون الساكنة ، انظر : الديوان ، ٢٦٣/٢٤٤

[٢٣١] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأجلَّ الأفضلَ ، و يهنئه بشهر رمضان ، و هى من بحر الكامل ، و فى قافية حرف النون المضمومة ، انظر : الديوان ، ٢٦٩/٢٥٠

[٢٣٢] البيت من قصيدة لظافر ، قالها فى مدح الأمر الإمام أمير المؤمنين ، و هى من بحر الكامل ، و فى قافية اللام المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٢٥/٢١٢

[٢٣٣] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها المأمون أبا عبد الله محمدًا ، و هى من بحر الكامل ، و فى قافية النون المضمومة ، انظر : الديوان :٢٧٩/٢٦٠

[٢٣٤] البيت من قصيدة لظافر يمدح الأمير الآمر المنصور ، من بحر الطويل (قافية الدال المضمومة):الديوان : ١٠٧/٨٣

[٢٣٥] البيت من قصيدة لظافر ، قالها فى الغزل ، و هى من بحر الكامل ، و فى قافية حرف النون المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٦٤/٢٤٥

[٢٣٦] من قول ظافر فى الوعظ والزهد ، من بحر الخفيف ، فى قافية حرف الهمزة ، انظر : الديوان : ١٤/١

[٢٣٧] البيت من قول ظافر ، فيما تغني به ، من بحر المتقارب ، انظر: الديوان : ١٥٨ / ١٨٠

* نحو استفهامه بمورفيم سابقة الاستفهام(أى الاستفهامية)([٢٣٨])

(م)	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة
١	وغُربته عند الحساب أشدها	فأى أمور لا تُطاق جسامُ؟.([٢٣٩])	أى أمور؟	أى

* نحو استفهامه بمورفيم سابقة الاستفهام(أَلَا):

(م)	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة
١	فيا دهرُ ، ألا كان ليلى كلُّه	كليلة شرقى الخليج من الثغر؟.([٢٤٠])	ألا كان؟	ألا

- **<u>ويحسُن بالباحث أن يقول ما يلى :</u>**

أكَّد ظافر – بأنماطه الاستفهامية– أن خطابات قالب الاستفهام هو قوالب انفعالية ذات سطوة نفسية ، من مضمرات النفوس ، قبل أن تكون معرفيَّة ، وقد يتحول قالب الاستفهام عن أصل وضعه من طلب المعرفة ؛ لينبه السامع ، حتي يرجع إلي ذهنه فيحركه ، أو إلي نفسه، فيستفتحها ، ويستنطقها ، فيبحث ، وينتقل من معني إلي آخر ، ويوازن بين المعنيين القريب و البعيد، و يعي الجواب، فيصير بين أمرين ؛ إما المعرفة و إما الجهل ، وهو أمر يُحرك الذهن، ويربك الفكر، و يثير النفس، فإذا ما أورد نمط الاستفهام بالهمزة أو هل، " ثم يُتبعه بفعل من أفعال الرؤية، أو الظن، أو اليقين ، دلَّ علي تقريره له".([٢٤١])

وقد جاء استفهام ظافر بصورة مكثفة، ليقرع أذن المتلقي ويُفزعها ؛ فيتحرك ذهنه ، و يستميل نفسه، وهذا أمر لا غرابة فيه إذا سلمنا أن ظافرَ يعكس صوت نفسه ، وأنا لجأ إلي الاستفهام لما فيه من إيقاظ لنفوس المتلقيين ، و جذب لانتباههم ، أو يكون قد لجأ إلي الاستفهام ليكشف عن حيلة دفاعية ،وهي الثقة و المبادرة ، فلا يفصح عن مراده ، بل يترك مساحة من

[٢٣٨] تأتى أى الاستفهامية ؛ للسؤال عمَّا يميِّز أحد المتشاركين فى أمرٍ يعمهما . يقول القائل : عندى ثياب ، فتقول : أى ثياب هى؟ فتطلب منه وصفًا يميزها عمَّا يشاركها فى الثبوتية . انظر : مفتاح العلوم : ٣١٢

[٢٣٩] قول ظافر يذكر قومه ، ويتشوق إلى الإسكندرية ، من بحر الطويل ، وفى قافية الميم المضمومة ، انظر : الديوان ، ٢٣٤/٢٤٩

[٢٤٠] قول ظافر ، يذكر غربته عن وطنه الإسكندرية ، وبتشوق إليه ، من بحر الطويل ، فى قافية حرف الراء المكسورة ، انظر : الديوان ، ١١١/١٣٤

[٢٤١] انظر : دلائل الإعجاز : ١٢٠

الصوت والإشارة لدخول المتلقي إلي أعماق نفسه ، يحاول المتلقي أن يستخرج بواطن النفس، وليلبي المتلقي دعوة الشاعر الصريحة – بالاستفهام – لمشاركته في كل ما يدور في خَلده .

يستشعر القارئ لجملة ظافر الإنشائية الطلبية – من نمط جملة الاستفهام– ذات الدلالات النفسية صدقًا غير متكلَّف فى عرضه لما يختلج فى نفسه ، لأن الشيء إذا صدر من أهله ، وبدا من أصله، وانتسب إلى ذويه؛ سلُم فى نفسه ، وبانت فخامته ، وشُوهد أثر الاستحقاق فيه ، وإذا صدر من متكلف ، و بدا من متصنع ، بان أثر الغربة عليه ، و ظهرت مخايل الاحتباس فيه ، وعُرف شمائل التحير منه ".([٢٤٢])

وكأني به يستصرخ متلقيه ، مشيرًا إليه بأن صوت النفس له قوة تفوق قوة القوالب الملفوظة أو الإشارية ، أو السياقية ، مصورًا صوت النفس بالدافع ، الذي يدفع ذهنية مؤلف النص لأن يدور بين القوالب اللغوية و الإشارية ، فينتخب منها ما يلائم صوت نفسه، تلك النفس التى لم تفكر بالكلمات ، أو لم تفعل بها ؛ إنما فكرت بنفسها ، و فعلت بنفسها ، وقصدت – في حال شاعرنا هذا– إلي تصرف انتخاب القوالب ، و اللجوء إلي المؤثرات الصوتية ، و التحولات الصرفية ، و آليات الحذف و الإطناب ، و المساواة و الزيادة ، و التحريك بالتقديم أو بالتأخير، و المعادلة بين الدال ودلالته ، ومراعاة النظير، بوصف ما سبق معينات لطاقة التلقي علي إدراك المقاصد . وقد أجاد ظافر في التعبير بالقوالب اللفظية عن خوالج نفسه .

فقد شمل استفهام ظافر الشعري معاني كثيرة ، فلم يتقيد بحدود الزمان أو المكان ، أو حال، أو مضمون ، أو إثبات ، أو نفي ، بل شملها جميعًا ، وتوجَّه بالسؤال لها ، ولاسيما حين كان يُخاطب نفسه ، في لغة إفصاحية ملتهبة ، شديدة الاضطراب والحيرة ، والتهميش والتجاهل .

يضاف إلي ذلك أن ظافر قد استثمر السياق في مراعاة أفق الانتظار(طاقة التلقي) ، وجاء استفهامه كاشفًا للمقصود من المقصود منه ، من دون تزيُّد ، أو ملل ، فجاء استفهامه متجاوزًا البناء الشكلي له ، ليتضافر مع تكامل القرائن الأخري في العرض الدقيق للقصد أو المركزي، أو قصدية لذة التلقي ، حين يعمد إلي الخداع الاستفهامي و مراوغة القولب ، إضافة إلي ما حققه ما انتخبه من قوالب الاستفهام من الغموض الفني.

---

[٢٤٢] انظر : إعجاز القرآن ، للباقلانى ، ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن الكريم، حققها و علق عليها :محمد خلف الله ، د : محمد زغلول سلام ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت). : ٢٧٩ – ٢٨٠

وكأن استفهام ظافر نمط تداولي ، حين اتسقت عناصره مع الأبعاد الاجتماعية التى يقصدها، من الفخر ، أو المدح ، أو الاستعطاف ، و التمني ؛ أو غير ذلك ممَّا يشكل إدراك ظافر للثقافة الاجتماعية للشعب / المتلقي ؛ الذي يتوجه بحديثه إليه . فانتحب لكل نسق اجتماعي نمطًا استفهاميًّا يناسبه ، وكأنه كان علي درية بصحيفة بشر بن المعتمر ، حين قال : " والمعني ليس يشرف ؛ بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع ، بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف علي الصواب ، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال ؛ و ما يجب لكل مقامٍ من المقال ".([٢٤٣])

والمطالع لنمطية الجملة الشعرية – فى خطاب الطلب بالاستفهام – لدي ابن الإسكندرية يجد أنها تخاطب النفس ، وتأتلف مع طبائعها البشرية ، من الثبات و التمرد ؛ فهو ينتخب أساليب تركيبية يؤثر بها في نفس متلقيه ، مما يدل علي امتلاكه نفسًا مفعمة بالمتناقضات أحيانًا ، فيسرد أحيانًا حقائق ، يستفهم عنها من باب التأثير في متلقيه ، وأحيانًا يُبرهن عمَّا يعالجه من حقائق و مشاعر.

جاءت جملته الاستفهامية حاملة لأبعاد نفسية ، تروم تحقيق غرض نفسي في المتلقي ، إذ شمل استفهامه أغراض الإنكار ، والحثِّ والتشويق ، وترغيبه في التعرض للاستدعاء ما في مخزونه من حقائق ، أو مشاعر حول المضمون المستفسر عنه ، علي ضوء من إدراكه لنوعي الاستفهام : البسيط والمركب ، إضافة إلى ما حمله خطاب الاستفهام من دلالات الكشف عن بواطن الذات.

وقد أدرك ظافر حال مخاطبه في أسلوب الاستفهام ، فقد يختلف معني الاستفهام من مقام إلي آخر ، فإذا قلنا : أذاكرت البلاغة ؟. كان معناها مختلفًا عن معني الاستفهام بقولنا : أأهملت البلاغة ؟. إذ الهمزة في الجملة الأولي تفيد الاستفهام ، وفي الثانية تفيد الإنكار، وقد يُسهم سياق المشهد في تحديد معني الاستفهام .

ومهما يكنْ من أمرٍ فقد جاء استفهام ظافر معبرًا عن حالته النفسية ، في غالب أنماطه ، راصدًا للواعج نفسه وحسراتها لأي غرض من أغراض النفس ، كالندم علي فقد الإخوان ، و

[٢٤٣] انظر : البيان و التبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون ، (د. ط) ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ج١ : ١٣٦

التشوق إلي الوطن ، أو التعجب من أمر ما ،أو استنكار من تجاهل حقيقة ، أو الجزع من سطوة عزيز ، أو أنه قد ساق حلًّا ؛ ليبعث – في نفسه – شيئًا من القرار و الاطمئنان بأنه سيعود إلي وطنه، مخفيًا وراء أسلوب الاستفهام أوجاعه و أحزانه وراء فقد وطنه ، وغربته عنه؛ في صورة خيالية حملته فكرته الأساسية ، وهى : مرارة عيشه بعيدًا عن وطنه الإسكندرية ، ولاسيما أن (هل) لا تتضمن معني النفي بصورة نهائية، وقد أورد استفهامه متلوًّا بقوالب الجملة الاسمية ؛ لتتناسب مع ضيق نفسه ؛ إذ إنها لا تشمل الحدث أو الزمن ، فدلالتها تنحصر في قوالبها.

ويؤكد ابن خلدون هذا المعنى ، حيث يقول : " إن اللغات ملكات فى اللسان للعبارة عن المعانى ، و جودتها و قصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها ؛ و ليس ذلك بالنظر إلى المفردات (المجردة) ، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب ؛ فإذا حصلت الملكة التامة فى تركيب الألفاظ المفردة ، للتعبير بها عن المعانى المقصودة ، و مراعاة ال ، الذى يُطابق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ المتكلم – حينئذٍ– الغاية من إفادة مقصوده للسامع ".([٢٤٤])

بقى للباحث أن يدلف إلى التعرض لجملة الأمر ، انطلاقًا من أن الاستفهام طلب المعرفة والفهم ، لما لم يكن حاصلًا فى أفق انتظار المتلقى ، وبعد أن أقام المتلقى حصيلة من الفكر ، والوجدان ، والمعرفة حقَّ له أن يُمارس انفعال الطلب ، مما يأتى بعد الاستفهام ، فيشرع فى ممارسة انفعالات الأمر والنهى ، و غير ذلك من انفعالات خطاب الطلب ، ولعل السبب فى اختيار جملة الأمر نابع من أن الإنسان إلى التسلط أقرب ، وإلى كثرة الطلب أغلب ، وإلى الإصرار على تلبية حاجاته أحوج ، وهو ما سيتناوله الباحث فى المحور الثالث من هذا البحث ، و ذلك على النحو الآتى:

المحور الثانى : الإبداع الدلالى فى نماذج تطبيقية لجملة الأمر([٢٤٥]) فى شعر ظافر

نكاد نحس – عند مباشرة الأسلوب الإنشائي الطلبى لذهنيتنا أو لوجداننا– بأن كمًّا كبيرًا من الدلالات النوعية قد قرعهما ، أو كأن صدمات معرفية أو شعورية قد سببت يقظة في كليهما ، وحتي يتمكن الذهن من تحقيق الوصلة بين الطرفين ، ويوفِّق بينهما دلاليًّا ؛ فإنه يُصبح في أعلي درجات التردد، والاستثارة ، والإثارة ، والتشوق ، واليقظة ، ماسكًا بتلابيب الدلالة ، باحثًا

[٢٤٤] مقدمة ابن خلدون ، : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تحقيق د : على عبد الواحد وافى ، ط٣ ، دار نهضة مصر للطبع و النشر و التوزيع ، القاهرة ، (د . ت) ، الجزء الثالث : ١٢٧٨ ، و ما بعدها .

[٢٤٥] تجدر الإشارة إلى أن الباحث قد لجأ إلى المزاوجة فى آلية التناول فى طريقة العرض والتحليل للنماذج التطبيقية بين جملتىْ الاستفهام و الأمر؛ دفعًا للملل ، ورغبة فى تنشيط ذهنية المتلقى.

عن القصدية المركزية لمؤلف التركيب. لذا فإن خطاب الطلب بقالب الأمر ، يحمل قوة ، تلفت ذهن المتلقى ، حين يستشعر أن طلبًا على سبيل الاستعلاء من جانب مصدره ، والإلزام واستقبال من جهة متلقيه ، إذ إن الأمر ينظر إلى نفسه ، بوصفه أعلى مرتبة من المخاطب. قبل التعرض للإطار التطبيقى لجملة الأمر فى شعر ظافر يجب تناول مفهوم الأمر وجملته **(حول الأمر و جملته)** وذلك على النحو الآتى :

- **مفهوم الأمر فى اللغة و الاصطلاح :**
- **مفهوم الأمر فى اللغة :**

قال ابن منظور : " الأمر ، معروف ، و هو نقيض النهى ؛ أَمَرَهُ به ، و أَمَرَهُ إيَّاه ، على حذف الحرف ، يأمره ، أمرًا ، وإمارةً ؛ فأْتَمَرَ ، أى : قبِل أمرَه ... والعرب تقول : أمرتُك أنْ تفعل ، و لِتَفْعَلَ ، وبأن تفْعَلَ ؛ فمن قال : أمرتُك بأن تفعل ؛ فالباء للإلصاق ، و المعنى : وقع الأمرُ بهذا الفعل ".([٢٤٦]) وذكر ابن فارس فى مقاييس اللغة أن: للجذر المعجمى (الهمزة ، والميم ، والراء) أصولًا خمسة تدور حولها ، هى : الأمر من الأمور ، والأمر ضد النهى ، والأمر: النماء والبركة ، بفتح الميم ، والمعلم ، والعجب. ([٢٤٧])

- **مفهوم الأمر فى الاصطلاح :**

اصطلح اللغويون وأرباب البلاغة على أن الأمر نقيض النهى ، وهو: " طلب حصول فعل ما من المخاطب ، على وجه الاستعلاء ؛ أو طلب حصول ما لم يحصل ، أو طلب دوام ما حصل بصيغة مخصوصة ، تحمل معنى الطلب ، و تكون بصيغة الأمر المباشرة أو بغيرها ". ([٢٤٨]) وهو– عند الجرجانى : طلب الفعل من الأعلى إلى الأدني ، حقيقة أو ادِّعاءً ، أى : سواء أكان الطلب أعلى فى واقع الأمر أم مدعيًا لذلك.([٢٤٩])

وله صيغ متعددة مما يحمله معنى الأمر ، أو الطلب المحض ، أو يدل عليه ، و تتفاوت دلالته حسب سياق ألفاظه ، حسب نوعية أطراف الخطاب و لغته ، والفكر الجمعى لجماعته

---

[٢٤٦] لسان العرب : ج ١ : ١٢٥ ، مادة (أمر) .

[٢٤٧] مقاييس اللغة، لابن فارس ، لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة و النشر ،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ج١ : ١٣٤، مادة (الهمزة ، و الميم ، و الراء).

[٢٤٨] انظر : همع الهوامع بشرح جمع الجوامع : ج١ : ٧

[٢٤٩] انظر : التعريفات : ٥٣

اللغوية . حيث تختلف دلالة الأمر حسب قرائنه الدالة ، لفظية كانت أو معنوية . وتختزل دلالة الأمر فى الصيغة اللغوية (افعل) وقد وزعه الأستاذ الدكتور تمام حسان على الحاضر و المستقبل ، قال : افعل الآن ، وافعل غدًا . ([٢٥٠])

وليس من شك أن دلالة مصطلح الأمر تتحدد على ضوء من قرائنها المصاحبة ، نجد هذا الأمر حين يحتفى الزمخشرى(ت٥٣٨هـ) – فى تطبيقاته – بالقرائن المصاحبة ؛ فينتخب من المعانى ، ما تدل عليه قرائن الأحوال ، كما فى تعليقه على قوله – تعالى : " ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ".([251])

فقد حمل الزمخشرى الأمر على أنه من سبيل الاستهزاء و التهكم بالمخاطب لفعل فعله ، فاستحق هذا التحقير ، يقول : " يقال : (ذُق إنك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزؤ والتهكم ؛ بمن كان يتعزز و يتكرم على قومه ".([252])

وقد صنع الزمخشرى الأمر ذاته ، فى معرض تفسيره لقوله – تعالى :" ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ".([٢٥٣]) إذ من المعلوم أن للأمر دلالته وفق قرائنه ، فإن كان من الأعلى إلى الأدنى ؛ سُمى : أمرًا حقيقيًّا ، و إن كان من الأدنى إلى الأعلى سمى : رجاء ، أو دعاء (الأمر المجازى) حيث إن الزمخشرى لا يفصل قوله –تعالى: (اهدنا) عن قرائنه ([٢٥٤]) ، التى تشير إلى أن الأمر غايته ، هنا ، الرجاء ، أو الإلطاف ؛ مراعاة لنوعية أطراف الخطاب ، فيقول : و معنى طلب الهداية، وهم مهتدون طلب زيادة الهدى ، بمنح الإلطاف ، واهدنا بمعنى ثبتنا ، و صيغة الأمر و الدعاء واحدة ؛ لأن كل واحد منهما طلب ، وإنما يتفاوتان فى الرتبة ، و قد يكون بمعنى أرشدنا ".([٢٥٥])

من الجيد – فى هذا الموضع – الإشارة إلى أن الأصل فى الأمر هو : طلب الفعل موجَّهًا من الأعلي إلى الأدني على سبيل الاستعلاء و الإلزام ، وهما من اللوازم الحقيقية فى الأمر،

[٢٥٠] اللغة العربية معناها و مبناها : ٢٥١
[٢٥١] سورة الدخان . الآية رقم : ٤٩
[٢٥٢] الكشاف: ج٤ : ٢٤٦
[٢٥٣] سورة الفاتحة ، الآية رقم : ٦
[٢٥٤] وتلك حال الزمخشرى فى تعاطيه مع أسلوب النهى .
[٢٥٥] انظر : الكشاف ١: ٣٣ و ما بعدها

لتبادر الفهم عند استماع نحو : قُمْ ، و ليقُم زيدُ ، إلى جانب الأمر ؛ و توقف ما سواه من الدعاء ، والالتماس والندب ؛ والإباحة والتهديد ، على اعتبار القرائن .([٢٥٦])

ولكن قد يدل الأمر فى سياقات أخري على أمر غير حقيقي ، وقد يكون غرضًا بلاغيًا ، يُمكن أن ندركه من خلال سياقات الكلام ، و المعاني البلاغية للأمر كثيرة ، منها : الدعاء، والنصح ، والالتماس، والتمنى ، والتعجيز، والتهديد، والتسوية، والإباحة، والإهانة، وغير ذلك من الأغراض والدلالات . يقول ابن مالك (ت٦٧٢هـ) :" و الأمر : هو طلب الفعل على سبيل الاستعلاء ... و فى الدعاء ، و هو : طلب الفعل على سبيل الخضوع ".([٢٥٧])

وليس من شك فى أن إشارة المعنى الاصطلاحى لخطاب الأمر تدل على أن سياقه يتضمن مؤلفًا، يرغب فى توجيه خطاب أمرى/طلبى ، على سبيل الاستعلاء ، إلى متلقٍ ،على سبيل الوجوب والإلزام ، يستوجب سياقُ الاستلزام الحوارى وطبيعة التركيب أن يجيب الآمر إلى طلبه ، وتتكشف دلالات الأمر المضمَّنة فى الأقوال الشعرية حسب القرائن المصاحبة ، والسياقات المحيطة.

<u>تعريف جملة الأمر :</u> هى : تلك الجملة الدالة على الطلب ، من باب الوجوب والإلزام ، وعلى سبيل الاستعلاء ، والمصدرة بصيغة تدل على الطلب بذاتها ، من مثل القوالب اللفظية ذات الدلالة على الأمر المحض ، هى:

١- فعل الأمر الصريح .

٢- المضارع المقرون بلام الأمر أو الطلب .

٣- اسم فعل الأمر .

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر.([٢٥٨])

حرى بالباحث – بعد التعرض لمفهوم الأمر وجملته – أن يدرس التجليات الدلالية والتركيبية لخطاب الطلب بقالب الأمر فى شعر ظافر، فقد تداخلت المعاني والدلالات التركيبية التى خرجت فيها عن المألوف من معانيها ، علي سبيل التوسع والإضافة إلي معانيها الأصلية معاني جديدة ؛ ويجد المتتبع لشعر ظافر أنه قد امتلأ بصيغ خطاب الأمر، الصريح و

[٢٥٦] انظر : مفتاح العلوم : ٣١٨

[٢٥٧] انظر : شرح التسهيل : ج٣ :٣٧٨

[٢٥٨] الجملة الإنشائية فى شعر مفدي زكريا : ٨٨

المضمَّن ، حتى صار إيراد خطاب الأمر بصورة مكثفة مدعاة للبحث عن الأثر النفسى الكامن وراءه ، ويشتمل هذا المحور على أربعة مباحث([٢٥٩]) ويُمكن تناولها على النحو الآتى:

المبحث الأول : الأمر بصيغة الأمر الصريح (فعل الأمر الصريح)

يُفهم من كلام النحاة أن هذا النمط من القوالب الأمرية ، يُخاطب به متلقٍ حاضرٌ ، فى سياق المشاهدة ؛ ويتحمل فعل الأمر الصريح الإسناد إلى الضمائر كافة ، من حيث العدد ، فتشمل الإفراد ، والمثنى والجمع ؛ والنوع ، فيشمل التذكير والتأنيث ؛ مع دلالته على الطلب ، وجواز مباشرته لنون التوكيد المباشرة الثقيلة والخفيفة ، وعدَّ سيبويه الأمر الصريح ممَّا لم يقع ، باعتبار أنه مستقبلى التحقق ، واشترط أن تكون على زنة افعل ؛ يقول : " فأما بناء ما مضى ؛ فذهب، وسمع، ومكُث ، وحُمد ؛ وأما بناء ما لم يقع ؛ فإنه قولك آمرًا : اذهب واقتل واضرب ...

ثم يقول : والوقف قولهم : اضربْ ، فى الأمر ، لم يحركوها ؛ لأنه لا يُوصف بها ، و لا تقع موقع المضارعة ، فبعدت من المضارعة بعد كم ، و إذ عن المتمكنة ، وكذلك كل بناء من الفعل كان معناه افْعلْ".([٢٦٠])

وهذا معناه أنها أقوى صور التعبير عن الأمر ، والمتأمل لقيمتها الدلالية ، يجدها تحمل دلالة الفعل المضارع المقترن باللام الآمرة . والأصل فيها أن تحمل دلالة الوجوب الإلزام ، والاستعلاء، والذى يورث إيجابًا من المتلقى للإتيان بالمطلوب منه ؛ إذ إن الأصل فى الاستعلاء أن يكون من الأعلى رتبة ؛ لذا أُستتبع إيجابه ، بحسب قرائن الأحوال ، وما ناسب المقام .([٢٦١])

والمطالع لديوان ظافر يجد تكثيفًا لصور الجملة الإنشائية – و الطلبية منها خاصة– بصورة تستدعي الدراسة لها بصورة خاصة ، بل إنه أحيانًا يُحدث تزاحمًا للأساليب الإنشائية بعامة ؛ فيورد – في البيت الواحد – أكثر من أسلوب ، مثلما نري في الأمر و النهى ، و النداء و الاستفهام ، كل ذلك ليرسم صورة نفسية خاصة ، لكل نمط منها ما يبرره ، حتي إنه ليُحس

[٢٥٩] تنبغى الإشارة إلى أن الباحث سيكتفى فى هذا المحور على تحليل بعض الشواهد ، و ترك بعضها الآخر ، إيمانًا منه بأن النص الشعرى يمثل انفتاحًا دلاليًا متعدد القراءات ، تخضع هذه القراءة لأفق انتظار نمطية التلقى.

[٢٦٠] الكتاب : ج١ : ١٢-١٧

[٢٦١] انظر : مفتاح العلوم : ٣١٨-٣١٩

المتلقي بأن هناك عُلقة بين تلك الأساليب ، كأنما هي أشخاص ، يُنادي بعضها بعضًا ، لتتضافر في تحقيقي قصد ظافر المركزي ، أو تُعين المتلقي علي دقة التأويل .

لذا جاءت جملة ظافر الشعرية – ذات الدلالة الطلبية الحاملة لمعنى الأمر– ذات الدلالات النفسية راصدة واصفة ، تملؤها الحركة والحيوية ، جعلته يخلع علي الأشياء ، ما يشاء من صفات ، فقد سجل بجملته مظاهر البيئة المصرية ، ليستدعي بها ذكرياته ؛ لذا جعل منها لوحة تدب فيها الحياة و الحركة ، فقد صور ظافر الجماد – الذي لا حراك فيه – بكيان مفعم بالحركة ، مملوء بمظاهر الحياة ؛ مستثمرًا الطاقة الدلالية والانفعالية لفعل الأمر ، الدال على النصح و الاستحسان ، واستمالة المتلقى بأن المؤلف يقدم له أمرًا محببًّا إليه ، ويرغب فى أن ينعم به ، من ذلك قوله :

تَأَمَّلْ هَيْبَةَ الْهَرَمَيْنِ وَ انْظُرْ	وَبَيْنَهُمَا أَبُو الْهَوْلِ الْعَجِيبُ .
كَعُمَّارِيَّتَيْنِ عَلَى رُحيلِ	بِمَحْبُوبَيْنِ بَيْنَهُمَا رَقِيبُ.
وَمَاءُ النِّيلِ تَحْتَهُمَا دُمُوعٌ	وَصَوْتُ الرِّيحِ عِنْدَهُمَا نَحِيبُ. ([٢٦٢])

فقد قدَّم ظافر – **بما فى الفعل الأمر (تأمَّل)** صورة مغايرة – بعض الشيء– للجملة الشعرية ذات الدلالة الطلبية ، حيث إن المألوف في أنماط الجملة الشعرية في غالب أمرها أنها تُقام علي مرتكز من التأثير العاطفي ، بيد أن ظافر قد أسبها إلي جانب التأثير العاطفي نمطًا من الإقناع العقلي ، القائم علي الرؤية البصرية ، أو ما يُسمي : الحجاج البصري . وإذا كان ظافر قد قدم خطابه الشعري ، بجملة واصفة أكثر من كونها شيئًا آخر ، فقد ضمن خطاباته، وصراخاته بحالة من الجمال الطبيعي ، حين وصف الطبيعة ، وأشاع في صورته الكلامية حالة من النغم ، الصادر من روافد الطبيعة من الطيور والحشرات والجداول والحيوانات، وصوت نفسه .

وقد كثَّف ظافر من استعمال هذا النمط الأمرى ؛ كما فى قوله :

فَبَادِرْ فَنَحْنُ بِشَطِّ الْخَلِيجِ	**عَلَى رَوْضَةٍ رَقَّمَتْهَا السُّحُبْ. ([٢٦٣])**

فقد جاءت صيغة الأمر (بادر) علي وزن فاعِل ، المكسورة العين ، من المفاعلة ، أى : المنازعة و التشارك ، وجعل ظافر الأمر علة لما بعده ، فقد ترتَّب علي وجودهم بشطِّ الخليج

[٢٦٢] يشبه الهرمين بمصر ، من بحر الوافر :(فى حرف الباء) ، الديوان : ٤/ ١٦

[٢٦٣] يصف سمك الراى ، من بحر المتقارب ، و فى قافية حرف الباء الساكنة(قافية مقيَّدة) ، ورقمتها ، أي : وشتها و زخرفتها ، انظر: الديوان ، ٥ / ١٧

أن يقدَّم الأمر بالمبادرة ، وكأن الشاعر يدعو أحدًا إلي أن يُشاركه لهوه ،علي هذا الشط، وأن يمرحا علي الرياض ، التى زينتها السحب بهطول الأمطار ، وقد فصل الشاعر بين فعل الأمر ، والسبب من إيراده ، ليوفر للمتلقي تشويقًا وإقناعًا بما يدعوه إليه . وليلمس نفس المتلقي التواقة إلي الجمال و المتعة . ولعل هذا ما قصده **رولان بارت** بقوله : فالتكرار يولّد المتعة .([٢٦٤])

وكأن الشاعر لم يباشر الإرسال إلي المتلقي بنفسه مباشرة ، بل حمَّل الصورة الجميلة التى صدرها له تلك الرسالة الضمنية ، وقد لفت انتباه متلقيه بقصدية الالتفات من الخطاب إلي التكلم ، ثم الانتقال من التكلم إلي الغيبة ، ليوفر له حالة ذهنية نشطة تدفعه إلي التشارك ، إذ المشهد المعروض لا يدعو إلي التكاسل.

ثم إننا نجد في استثمار ظافر الأمر المحض بالفعل الصريح (بادر) بعد الفاء – وكأنها الفاء الفصيحة التى أفصحت عن فعل شرط مقدر ، يكشفه السياق ، و كأن التقدير : إن أردت التنعم و المتعة فبادروا – مزيدًا من العناية بالخبر ، ليصل إلي المتلقي ، و ليدخل عقله و قلبه ، وليهرع لاغتنام تلك المشاركة. وبدت القيم الدلالية المكثفة لفعل الأمر ، فجمع بين النصح ، وإظهار المودة ، والتسليم بأن موضع الجمال واللهو مكمنه شط الخليج؛ حيث المنظر البديع من الماء والرياض والسحب ، ومن الأمثلة على ذلك : قول ظافر من قصيدة له :

وَاظِبْ تَنَلْ كُلَّ صَعْبٍ مُعْوِزٍ عَسِرٍ	فَالْمَاءُ أَثَّرُ بِالْإِدْمَانِ فِى الحَجَرِ . ([٢٦٥])

والأمر – هنا – علي زنة فاعِل ، مما يدل علي عسر ما بعده ، ومنازعة النفس فيه ، ثم يذكر ظافر ما يترتب علي فعل الأمر، وكأن فعل الطلب(فعل التعلق) مضمر ، ويكون التقدير : واظب إن تواظب تنل ، وجاء جواب الطلب بدون أداة ليدل علي تحققه بمجرد فعل الأمر، ثم يسوق قوالب وصفية للترغيب في ولوج الصعب العسير ، و يردف ذلك بأسلوب خبري غير مؤكد، لكنه جاء علي سبيل الاستعارة التمثيلية ،فبدأ بالإنشاء ، و ثنَّي بالخبر، أى أن الشطر الثاني مناظر للشطر الأول ، الصورة الأولي : إن المواظب الحريص يحصل

[٢٦٤] انظر : لذة النص ، رولان بارت ، ترجمة : فؤاد صفاء الحسين ، ط١ ، دار توبقال ، المغرب ، ١٩٨٨م : ٤٤

[٢٦٥] فى الزهد ، من بحر البسيط ، و فى قافية حرف الراء المكسورة ، الديوان ، ١٢٦/١٠٥

علي كل ما يريد ، وتذلل أمام عزيمته كل الصعاب ، والصورة الثانية : إن الماء مع المواظبة علي الاحتكاك في الصخر ، وإدمانه لذلك قد أثر في الحجر ، وترك علي عمله دلائل . وهو هنا أمر للنصح ، وإظهار القرب و التودد ، والرغبة الصادقة في دوام التآلف بين ظافر و من يخاطبه ؛ ونتيجة هذا الترتيب المتتابع من القوالب الدالة علي الأمر صراحة و تضمينًا ، وما ساقه من تمثيل ، توفر بيئة حجاجية مقنعة لذهنية المتلقي. ونظير ذلك : قول ظافر:

كُنْ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاكْسَبْ فَضْلَ مَعْرِفَةٍ	يُغْنِيكَ عَنْ فَضْلِ أُمٍّ كَسْبُهُ وَأَبِ . ([٢٦٦])

لقد استثمر ظافر طاقات الأفعال الأمرية الصريحة في عرض فكرته ، وهي أن يكون الإنسان كما تُريد له ذاته ، وأن الفضل المكتسب بالمعرفة يفوق الفضل المكتسب بالتوارث من الأب أو الأم ؛ وقد أعاد ظافر الصيغة الأمرية المباشرة الصريحة ليُعيد الفكر إلي متلقيه ، و في صياغة أخري ، ولو أردنا تمحيصًا للجملة السابقة ، لوجدنا أنها : ابحث عن ذاتك بالمعرفة ، و لا تركن إلي فضل الأب أو الأم ؛ وإنما كرر ظافر الصيغ الأمرية ليشوب الكلام بطاقة من الترغيب في الاكتساب ، و التحذير من الاتكال ، وكأن سياق الحال يقول لمتلقيه : انظر إلي ذاته و معرفتك قبل أن تركن إلي فضل أبيك أو فضل أمك .

وإذا كان الأمر الأول **(كن ابن من شئت)** قد جاء للتحقير من شأن تبعية الإنسان لوالده ، و تعظيمًا لاستقلاله بنفسه ، فقد جاء الأمر الثاني **(اكتسب فضل معرفة)** لإظهار التودُّد ، و النُّصح ، وأن يكتسب المتلقي رغبة صادقة في جمع المعرفة و الثقافة ؛ إذ هي سبيل الفضل ، وكأن الفعل الثاني منفصل عن الأول ، فسياق التعاطف سياق تناقض ، فالأول للتحقير ، و الثاني للترغيب و التعظيم .

وقد عزَّز ظافر الفعل الأول – وأبرز قيمه التداولية – بفعل ثان للأمر ، وهو احتشاد من الشاعر ، لإيصال **غرض نفسي** ، يدفع الشاعر دفعًا ، ويُحتم عليه تكثيف القوالب الأمرية، وذلك لطول القوالب اللغوية بين إضافة و جملة صلة، وكأنها جاءت اعتراضًا دلاليًّا بين الفعل الأول والثاني ، ومع ذلك فقد جاء الفعل الثاني**(واكتسب فضل معرفة)** ليضيف معني دلاليًّا جديدًا ، يُكمل الصورة الجميلة التى أرادها ظافر لمخاطبه ؛ فكأن الفعلين الأمريين الأول و الثاني قد تكاملا في إبراز **نصيحة** ظافر لمن يخاطب .

[٢٦٦] فى مدح الأدب والنسب ، من بحر البسيط ، وفى قافية حرف الباء المكسورة ، الديوان ، ٢٢/ ٢٦

وهذا ما نراه فيه شعره ، من إيراده أسلوب الأمر ، ثم يعقبها امرًا آخر ، ولعل ذلك سبب للقول بأن هذه الشواهد جعلت من ظافر نفسًا حائرة ، يطلب ، ويُخبر ، يقرب ، و يعتز ، حتي إنه ليعبر عن تناقض شخصه بقوالب لغوية مصرح بها ، يقول ظافر :

طُلْ وَ افْتَخِرْ أَيُّهَا العِنَانُ	مَا فَوْقَ مَا حُزْتَهُ مكَانُ.([٢٦٧])

وقد حشد ظافر الأفعال الأمرية تقوية لقصده ، وإبرازًا لصدقه ، و تشويقًا لمخاطبه لأن يؤمن بصدق ظافر ، وأن يتعامل مع ما ينصحه به . فإذا ما واجه الشطر الأول تشوقت نفسه إلي نتيجة ما يفعله ، حتي إذا ما وصل آخر البيت هدأت نفسه بعدما أدرك أن الاكتساب هو اكتساب الذات و المعرفة . ونحوًا من ذلك ، قوله:

فَتَهَنَّ عِيدَ الْفِطْرِ وَ السَّعْدِ الَّذِي	لَكَ فِيهِ ، فَهْوَ بِكَوْنِهِ مَقْرُونُ.
فَاسْلَمْ لَهُ مُسْتَقْبِلًا وَ مُشَيِّعًا	وَعَزِيزُ قَدْرِكَ فِي الْعَلَاءِ مَكِينُ . ([٢٦٨])

- نحو قول ظافر في قصيدة له :

فَاسْلَمْ وَ عِشْ مُسْتَقْبِلًا وَ مُوَدِّعًا	وَالدَّهْرُ يَطْلُبُ مِنْ يَدَيْكَ أَمَانًا . ([٢٦٩])

والتقدير : فاسلم في حياتك ، وعشها مستقبلًا ومودّعًا . ومثله : قول ظافر في قصيدة له :

فَاخْلَعْ عِذَارَكَ مَعْ مَنْ لَا عِذَارَ لَهُ	مَا دَامَ حَظُّكَ فِيهِ غَيْرَ مَنْحُوسِ.([٢٧٠])

وقد استثمر ظافر هذا البعد النفسى ، الذى تحمله قوالب الأمر الصريح ، فى إظهار التودد و التوحد ، فهو أنه لا يحتاج إلى وسيط كلامى ، سابق أو لاحق ، ليعبر عن صدقة ، ونصحه لمتلقيه ، راغبًا فى تحقيق ما يُمكن أن نسميه : الاقتناع البصرى للصيغ الأمرية الصريحة ، التى تحمل قيمًا دالة على التواجد فى سياق نفسى و مكانى واحد. نحو قوله :

اُنْظُرْ إِلَى صِنْعَتِهَا	فَكُلُّ مَا فِيهَا عَجَبْ .([٢٧١])
اُنْظُرْ إِلَى الْخَالِ عَلَى خَدِّهَا	وَلَوْنِهِ الْأَسْوَدِ فِي الْحُمْرَهْ .([٢٧٢])
اُنْظُرْ إِلَى مَا ضُمَّنَ الْ(م)	كَانُونُ مِنْ فَحْمٍ وَ جَمْرْ.([٢٧٣])

[٢٦٧] وقد أُمر بعمل أبيات ، تُنقش علي عنان ديباج منسوج ، فقال ، من بحر المنسرح ، الديوان: ٢٤٧/ ٢٦٥

[٢٦٨] في قصيدة يمدح بها المأمون أبا عبد الله محمدًا ، من بحر الكامل ، الديوان : ٢٦٠/٢٨٠

[٢٦٩] ، يمدح فيها الإمام الحافظ ، من بحر الكامل ، الديوان : ٢٦١/٢٨٤

[٢٧٠] في الخمريات ، من بحر البسيط ، الديوان : ٢٧٢/ ٢٩٥

[٢٧١] البيت من قصيدة لظافر ، و قالها يصف جمال خزائن القصور ، وقد أُمر بأبيات تنقش على صنية فضة ، عُملت برسم خزانة الملك الأفضل ، من مشطور الرجز ، و فى قافية حرف الباء الساكنة ، انظر : الديوان ، ١١/٢١

[٢٧٢] البيت من قصيدة لظافر فى الغزل ، من بحر السريع ، فى قافية حرف الراء المختومة بلاحقة مورفيم هاء السكت ، انظر : الديوان ، ٩٤/١٢٣

أُنْظُرْ إِلَى الْفَحْمِ فِي الْكَانُونِ حِينَ بَدَا	سَوَادُهُ فَوْقَ مُحْمَرٍّ مِنَ اللَّهَبِ.
تَخَالُ مَا لَاحَ مِنْ حُسْنِ اجْتِمَاعِهِمَا	لَمْحًا مِنَ الْبَرْقِ فِي جَوْنٍ مِنَ السُّحُبِ.([٢٧٤])

فقد اشتملت الأبيات السابقة علي زخم من القوالب الأمرية الصريحة ، من مثل : بادر ، وكن ، و اكتسب ، و انظر ، و كلها أفعال مبنية على السكون ، لتعبر عن حالة الهدوء و الصدق اللتين يعايشهما ظافر ، وقد جاء ظافر بالفعل(بادر) في صدر البيت الأول ، ليعبّر عن سعادته بالمنظر الطبيعي ، الذي يراه علي شطِّ الخليج ، وقد تخيل منظرًا جملًا من الماء و الرفاق ، وجاءت الفاء لتفيد معني المفاجأة و المباغتة و التشارك ، وقد جاء بألف المفاعلة ، التى تدل علي المنازعة النفسية ، مما يعني دعوته لخله بأن يحثه علي السعادة و الترفيه ، والتمتع بهذا المنظر الفريد .أو لعله يقصد بصيغة (فاعِل)- بكسر العين- الأمرية نفسه ؛ علي سبيل الحثِّ و الاستنهاض.

أما في البيت الثاني فقد زاوج ظافر بين فعلين أمريين علي سبيل التتابع ؛ هما الفعلان(كن) المعتل الأجوف، ليدل على الضعف، و(اكتسب)؛ المزيد بالتاء المهموسة الدال على ضرورة السعى، يريد – بذلك – إلهاب نفس مخاطبه و استنهاضها ، ويدفعه لئلَّا يركن إلي آبائه و ذويه ، بل يدفعه إلي أن يُحقق ذاته ، بأن يكتسب المعرفة ، وأن يكون ملمًّا بما يُحيط به، حتي يحقق نجاحًا في هذه الحياة ، وقد بدأ ظافر بالأصل ، هو أن الإنسان لا يُمكن أن يغير هذا الأمر ، ثم أتبعه بالفعل الإرادي و هو المقصود من عملية التخاطب ، هو اكتساب مهارات الحياة ، و قد ربط الفعلين بالنتيجة ، حين ذكر أنهما سبيل الغني عن كل أحد .

بيد أننا نلحظ في البيت الثاني تكثيف ظافر للصيغ الأمرية ؛ فعاقب بينها ، فجاء بالفعل (كن) ؛ ليقر بكون ما بعده حقيقة ، بيد أنه لا يجب الركون إليها ، ثم تلاه بالفعل(اكتسب) ،ليدل على النصح لمتلقيه بأن يعتد بذاته ، والفعلان يتعانقان ليعبرا عن صدق القصد ونبل العاطفة، وضرورة الالتزام بهما ، و ليعكسا حالة من الاهتمام أصابت مؤلف النص تجاه متلقيه، فهو يهتم بما طلبه ، وقد يكون هذا التوالي بين الفعلين من باب التسوية بينهما في الاهتمام، أن الثاني ليس مترتبًا – بالضرورة- علي الأول. فصيغنا الأمر – هنا- قد حملتا

[٢٧٣] البيت من قصيدة لظافر ، و قد أبجع فى وصف كانون ، من مجزوء الكامل ، فى قافية حرف الراء الساكنة ، انظر : الديوان ، ١٢٣/٩٩(مكررة)

[٢٧٤] البيتان من قصيدة لظافر ، يصف اللهب ، و يشبهه بالبرق ، من بحر البسيط ، فى قافية حرف الباء المكسورة ، انظر : الديوان ، ١٧/٦

معني التخيير الممزوج بالتهديد ، إن لم تفعل الأمر فقد فقدت النتيجة ، وكأن الأمر فيه الكثير من دلالة التهديد.

ثم نجد – فى البيت الثالث وما بعده من الشواهد– الفعل (انظر) الدال على الدعوة الصادقة للمشاركة فيما استحوذ على نظر مؤلِّف النص ، فيدعو متلقيه إلى التأمل و الاعتبار ، وتحفيزه إلى أن فى النظر أمورًا محببة ، يرغب ظافر أن يُشاركه فيها ، وأورد تضافر بين الفعل الأمر الصريح وسيميائية اللون ، وكأن ظافر عليم بدواخل نفس متلقيه ، فاللون الأمر لون نارى، يستفز البصر، وله دلالات على العاطفة الملتهبة ، والتوهج الشعورى.

وحتى يحتاط ظافر لمعناه، الذى يروم إيصاله لمتلقيه ، وليكشف عن رغبته الصادقة فى تصوير مضمون فعل الأمر، عمد إلى تكثيف خطابه الأمرى على مستوى البيت الشعرى الواحد : نحو قول ظافر:

مَثِّلْ – بِوَهْمِكَ – شَاهِنْشَاهُ وَاقْتَرِحْ الـْ	جَدْوَي عَلَيْهِ وَخُذْهَا غَيْرَ مُتَّهَمِ .([٢٧٥])

- ونحو قول ظافر :

أَفْصِحْ بِمَا ضَمِنَتْ دُمُوعُكَ مِنْ أَسًي	فَعَلَيْكَ مَنْ أَمْرِ النَّوَي بُرْهَانُ.([٢٧٦])

وقوله :

وَ قُلْتَ لِلْقِسِّ : جُدْ لِي مِنْ مُعَتَّقَةٍ	بِمَا اهْتَدَيْتَ عَلَيْهَا فِي الْحَنَادِيسِ.
وَلَا تجُدْ بِمُدَامٍ غَيْرِ قَانِيَةٍ	فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ كَانَتْ شِرْبَ إِبْلِيسِ.
فَنَفِّسِ الدُّنَّ عَنْ صَهْبَاءَ صَافِيَةٍ	عَنِ الْقَنَادِيلِ أَغْنَتْ وَ الْفَوَانِيسِ.([٢٧٧])

نلحظ من الشواهد السابقة تكثيفًا للقوالب اللغوية من جنس فعل الأمر؛ ليدل بها ظافر عن توقعه فعلًا ما من المتلقى ، قصد ظافر بهذا تقديم دليل على صدق نفسه ، فحين يقول لمتلقيه : **(مثِّل)** ، **(اقترح)** ، **(أفصِحْ)** ، **(جُدْ)** ، **(نفِّس)** نجده يحرص على الاحتياط لمعناه النفسى ، و إبراز انفعالاته الداخلية ، فجميع القوالب السابقة فيها احتفاء من ظافر بأفق انتظار متلقيه ، ليستنهض ملكاته ، و فيها تقدير لذاته ؛ واستصراخ لظافر أن يشاركه فكره و نفسه ، وهذا التكثيف قد درات معانيه حول مضمون المادة المعجمية لفعل الأمر ، و هى

[٢٧٥] في مدح الأفضل ، و تهنئته بأول السنة ، من بحر البسيط ، و فى قافية الباء المكسورة ، الديوان ،٢٣٢ /٢٤٣
[٢٧٦] في قصيدة له ، يصف الفراق ، من بحر الكامل ، الديوان : ٢٥٩/ ٢٧٦
[٢٧٧] الأبيات من قصيدة لظافر ، في الخمريات ، من بحر البسيط ، انظر : الديوان: ٢٧٢/٢٩٥

الإلحاح فى الطلب ، وتقوية المضامين الكلامية ، بيد أنه طلب نفسى ، يتودد به ظافر إلى متلقيه ؛ بدليل أن جميع القوالب السابقة جاءت مبنية على السكون ، وكأن سكون البناء يقابل سكون النفس ، و الرغبة الصادقة فى تجنب إزعاج هذا المتلقى .

وقد تنوعت صيغ القوالب الأمرية بين الصحيح السالم و المضعف مدغم العين ، لتدل على حالة التردد بين القوة و الانكماش ، بين الاعتداد بالنفس و الشعور بالطرد ، و التوحد مع الحالة النفسية لظافر. ونحوًا من ذلك : قول ظافر:

أَمَرْتَنِي بِرُكُوبِ الْبَحْرِ مُرْتَئِيًا	فَغُرَّ غَيْرِي ، وَاخْصُصْهُ بِذَا الرَّاءِ .([٢٧٨])

- ويقول :

هَذَا الرَّبيعُ وَ هَذِهِ أَنْوَارُهُ	طَابَ الزَّمَانُ وَ أَوْرَقَتْ أَشْجَارُهُ.
فَاشْرَبْ عَلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ وَ غَنِّنِي	هَذَا هَوَاكَ وَ هَذِهِ أَسْرَارُهُ .([٢٧٩])

تجلى هذا الأمر فى مزاوجة ظافر بين الأفعال : (فغرَّ ، وغنِّنى ، واخْصص ، وفاشرب) ، وإن المتأمل للهيكل المورفولوجى للقوالب الأمرية ، يجد أنها تعبر عن تصارع الانفعالات ، فهو تارة راغب فى الانكماش والانعزال ، ويمثلها الفعل (غرَّ ، و غنِّنى) وأخرى راغب فى أن تعايش نفسه امتداد الاستقلالية ، ويمثلها القالب الأمرى (اخْصص) ، وثالثة راغب فى الاعتداد بذاته ، ويمثلها الفعل الأمرى(اشرب).

وفى أحيان أخرى ، يعتمد ظافر على ليونة الأصوات ، فى التعبير عن انفعاله النفسى ، حين يورد قوالب فعل الأمر الصريح مسندة إلى ضمير واو الجماعة ، أو إلى ضمير ألف الاثنين ؛ ليعبر عن شعوره بالطرد ، و الاغتراب ، ويأتى امتداد الحيز الصوتى للضمائر متناسبًا مع صراخاته ، وهنا يبدو انفعال الأفعال الأمرية ، من النمط الصحيح السالم ، الموصوف بالقوة ، فى كونها قوالب موضوعة للطلب ، أو للأمر على اختلاف بين العلماء؛ فطلب مع امتداد الحيز الصوتى لأحرف اللين يُجسد حالة من القوة فى الصدق ، و الإرشاد ، نجد هذا الأمر فى القوالب الأمرية :(احفظوا ، و ارجعوا ، و اقصدا) فى قول ظافر:

اِحْفَظُوا فِي الْإِسَارِ قَلْبًا تَمَنَّى	شَغَفًا أَنْ يَمُوتَ فِيكُمْ أَسِيرَا
وِ قَتِيلًا لَكُمُ وَلَا يَشْتَكِيكُمْ	هَلْ رَأَيْتُمْ قَبْلِي قَتِيلًا شَكُورًا .([٢٨٠])

[٢٧٨] ويقصد بالراء : سمك الراى ، ، من بحر البسيط ، الديوان : ١٥/٣

[٢٧٩] في وصف الربيع ، من بحر الكامل ، الديوان : ١٢٤/ ١٤٥

[٢٨٠] من بحر الخفيف ، الديوان : ٣٠٥/ ٣١٨

فى هذا الشاهد أسند ظافر فعل الأمر إلى ضمير واو الجماعة ، ليستقطب جمهورًا أوسع ، وليعبر عن معاناته ، وانعزال نفسه بعيدًا عن وطنه. وقد عضَّد ظافر تلك الدلالة الانفعالية لقوالب الأمر الصريح بقوالب لفظية ، انظر إليه وهو يورد القالب اللغوى (الإسار) عقب القالب الأمرى(احفظوا) وكذلك القالب اللفظى(أيام) عقب فعل الأمر(أرجعوا) تجد أن فى فعل الأمر دلَّ على تمنِّ النفس تحقق هذا الرجاء، وكأن المطلوب أمر تحقق ، و لا يُمكن ردُّه ، لذا قرَّ فى أعماق الأنفس ، فتتجلى من النفس مشاعر الحزن و الاغتراب.

وقوله :

أَرْجِعُوا لِي أَيَّامَ رَامَةَ إِنْ كَا	نَ لَمَّا كَانَ ، وَانْقَضَى أَنْ يَحُورَا .
وَشَبَابًا مَا كُنْتُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِ الـ	ـشَّيْبِ أَخْشَى غُرَابَهُ أَنْ يَطِيرَا . ([٢٨١])

ونحوًا من ذلك : قول ظافر:

وَاقْصِدَا مِنْهُ غَزَالًا بَاسِمًا	عَنْ شَتِيتٍ كَالْأَقَاحِي شَنِبِ.([٢٨٢])

نرى شاعرنا – وقد أسند خطاب الطلبى إلى ضمير الاثنين ، فى قوله : (اقصدا)– يجسد حالة التماس الأنس والحياة ، حين يجاوز بالأمر حد الإلزام إلى الرجاء والالتماس ، وكأن نفسه استنجدت بهذا الضمير، فجاء خطاب الأمر معبّرًا عن حالة الوحشة ، وانزواء الأنا الشاعرة لدى ظافر.

تجدر الإشارة إلى أنه قد استوجبت قوالب الأمر – فى الشواهد السابقة – أن تكون لأمر المخاطب المباشر ، على سبيل الحضور المشاهد ، أو الحضور الافتراضى، وقد أجاد ظافر فى التعبير بها عن انفعالات النفسية ، و مقاصده الخفية التى ضمنها قوالب الأمر فى خطاب الطلب المباشر.

المبحث الثانى : الإبداع الدلالى للأمر بالفعل المضارع المصدَّر بمورفيم سابقة الأمر الحرفى باللام الدالة على الأمر أو الطلب (لتفْعلْ) :

انطلاقًا من ضرورة توفر تمام البنية للصيغ الصرفية ذات العامل ، مما يجعلها صالحة للتعبير عن معناها التام ، يُمكن الترجيح للقول بأن صيغة فعل الأمر صيغة مرتجلة ، لا تُقتطع دلالتها من الفعل المضارع ، المجزوم بلام الأمر ، لا لام الكف ([٢٨٣]) وتكون القوة –

[٢٨١] الديوان : ٣٠٥/ ٣١٨

[٢٨٢] يمدح الأفضل ، و يهنئه بشهر رجب ، و يذكر حال النيل في تلك السنة ، من بحر الرمل ، الديوان : ٣٤/ ٤٣

[٢٨٣] انظر : الأشباه و النظائر فى النحو ، ج٢ : ٣١٧– ٣١٩

فى هذا الموضع – لتلك اللام اللصيقة بالفعل المضارع ، التى تطلب الفعل ، وتدل على تحققه طلب صراحة ، وقد أشار الملك المؤيد إسماعيل بن على فى كُنَّاشه([٢٨٤]) أنها " تدخل على المأمور الغائب ؛ لأنك إذا خاطبت المأمور الحاضر استغنيت عن اللام ، بقولك : اذهبْ وقُمْ ؛ وقد تدخل على المخاطب ، كما قرئ– قراءة ابن عامر وعثمان بن عثمان وزيد بن ثابت ، وغيرهم :(**فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا**).([٢٨٥]) وقد تُحذف للضرورة ".([٢٨٦]) وتعمل فى المضارع الداخلة عليه الجزم ، وتسمى لام الطلب ، أو لام الأمر ؛ والأغلب أنها لام الأمر ، لأن الأمر هو الأصل فيها .

وهى – عند سيبويه – للأمر المحض ، ذكرها سيبويه فى : هذا باب ما يعمل فى الأفعال فيجزمها ؛ وذلك : لم ، ولمَّا ، واللام التى فى الأمر ، والأغلب أن تكون حركة اللام هى الكسر، وذلك قولك : لتَفْعَلْ ، نحو قولهم : ليَجْزِكَ الله خيرًا ؛ وصرح سيبويه بأنه قد يجوز حذفها فى الشعر، و تعمل مضمرة ، وهى حين تعمل مضمرة تكون شبيهة بـ :(أنْ) ، كما فى قول حسان بن ثابت ، من بحر الوافر:

محمَّد تفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ	**إذا ما خفتَ من أمر تِبالا.([٢٨٧])**

وإنما أراد : لِتفدِ .([٢٨٨])

ويتضمن كلام ابن مالك(ت٦٧٢هـ) أنه حين تباشر لام الأمر الفعل المضارع ، تتناول فاعلًا مخاطبًا نحو : لتكتُبْ ، أو فعل الفاعل الغائب ، نحو : ليكتُبْ ، أو فعلًا ما لم يسم فاعله ، ليُكتَبْ ".([٢٨٩]) وهى تعمل الجزم ، الذى بمعنى القطع ، ويبدو أن فى الجزم و القطع دليلًا

---

[٢٨٤] والكُنَّاش : اسم يُشير إلى الكتب الجوامع أو المجموعة ، أو يكون بمعنى التذكرة ؛ وهو غبر عربى ؛ وذكر الخفاجى أنه سريانى الأصل انظر : الكُنَّاش فى النحو و الصرف ، أبو الفداء ، الملك المؤيَّد ، عماد الدين إسماعيل بن على (ت٧٣٢هـ) تحقيق : د/ على الكبيسى و آخرين ، (د . ط) ، مركز الوثائق و الدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

[٢٨٥] سورة يونس : ٥٨

[٢٨٦] انظر : الكُنَّاش فى النحو و الصرف: ٣٨٤

[٢٨٧] نسبه محقق الكتاب إلى حسان بن ثابت ، أوإلى أبى طالب ، أوإلى الأعشى ، ويغلب على الظن أنه لحسان بن ثابت ؛ إذ البيت فى مديح رسول الله – صلى الله عليه و سلم– ومن المعلوم أن حسان هو شاعر الرسول – صلى الله عليه و سلم – المدافع عنه ، فيترجح – لذلك – نسبته إليه ، والتبال : العاقبة ، وتاء منقلبة عن أصل واوى ، من الوبال. أُبدلت الواو المفتوحة تاءً ، مثل : تقوى ، والبيت من شواهد المغنى رقم : ٣٤٠ ، من دون نسبته إلى قائل معين ، انظر : الكتاب : ج١: ٨ ، ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب:١٨٨

[٢٨٨] انظر : الكتاب : ج١ : ٨

[٢٨٩] انظر : شرح التسهيل : ج٣ : ٣٨٠

على قوة الطلب ، إذ إن الفاعل معها يكون مضمَّنًا فى النية ، لذا تجب يكون الأمر باللام أشد قوة بها إذا انتفت الفاعلية ؛ نحو : لتعْنَ بحاجتى.([٢٩٠])

وردت لام الأمر مع الفعل المضارع المجزوم بها فى ديوان ظافر فى مواضع ، نكاد نصفها بالقلة الشديدة أو بالندرة ؛ وهى تدل على الأمر دلالة الأمر الصريح ، وقد جعل السيوطى(ت٩١١هـ) فى دخولها على الفعل المضارع ،إزالة للبس، إذ فى مباشرتها له تخصيص معناه بالطلب ، إذ المضارع من الأفعال التى تعتورها معان مختلفة ، كالاسم ؛ ويشير إلى أن الأصل أن يكون الأمر كله باللام ، من حيث كان معنى من المعانى.([٢٩١])

وقد ورد هذا النمط من القوالب اللغوية المكون من لام الأمر والفعل المضارع المجزوم بها أو المبنية به والدالة على الأمر أو الطلب بصورة قليلة نسبيًّا ، فى شعر ظافر ، استخدم – فيها – ظافر صيغًا أمرية محولة ، عن الأمر الصريح ، بإضافة مورفيم سابقة (لام الأمر) قبل الفعل المضارع ، ويشمل استعمال هذه الأداة الغائب عن سياق التكلم ، أو حتى الحاضر المشاهد ، فنقول : ليتكلَّم من لخص الموضوع، وهنا تكون اللام مكسورة ، و المضارع مبدوءًا بياء ، أو يقتصر استعمالها على المخاطب الحاضر ، فتكون اللام مكسورة – أيضًا – ويكون المضارع مبدوءًا بالتاء المهموسة ؛ نحو: لتكتُبْ .([٢٩٢]) كما فى قول ظافر:

وَحِكْمَةُ الْعَرَبِ الْمَاضِينَ كَامِنَةٌ	فِى الشِّعْرِ فَلْيَقْفُ مَنْ يُغْنِى بِهِ الْعَرَبَا . ([٢٩٣])

يكشف قال خطاب الأمر(فَلْيَقْفُ) حالة الاعتداد و الفخر، التى تستشعرها نفس ظافر ، فقد أعجز من يعاند العرب ، و من يسمهم بغير الحكماء، والشاهد – هنا– هو الفعل المضارع (يقف) ، المصدر بسابقة مورفيم الأمر ، الدالة على الطلب (فليقف) ، وهنا وجب إسكان لام الأمر من الفعل ، لوقوعها بعد الفاء ، لأن إسكانها بعد الفاء و الواو أكثر من تحريكها ؛ إذ الأصل فيها الكسر ، وقد تسكن بعد (ثمَّ) ، كما فى قوله – تعالى: " ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ

[٢٩٠] انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ١٨٧

[٢٩١] انظر : الأشباه و النظائر فى النحو ، جلال الدين السيوطى ، ط دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م . بيروت ، لبنان ، ج١ : ٧٥

[٢٩٢] انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ١٨٧

[٢٩٣] فى مدح الأفضل و تهنئته بشهر رجب ، من بحر البسيط ، و فى قافية الباء المفتوحة ، الديوان ، ٣٣/ ٤٠

وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ".([٢٩٤]) ، وفى قراءة تسكين اللام– وهى قراءة الكوفيين و قالون و البرى– رد على من زعم أن التسكين للام خاص بالشعر.([٢٩٥]) فقد أتي بالأمر بعدما تقدمت علته ، ليتنقل من الأمر إلي التهديد ، مطالبًا متلقيه أن يختار من بين حكم العرب المتوارثة ، الموجودة في تراثهم ، بعد مزيد من العناية و المراجعة ، والأمر هنا فيه دلالة علي المفاضلة بين الخيارات ، مضفيًا علي قصده مزيدًا من الجدية ، وفي فعل الأمر هذا مزيد حرص من ظافر علي متلقيه ، فهو يخيره بين معطيات تراث زاخر ، بين أمرين ، إما أن يميل إلي اقتفاء من ساقه العرب من تجربة ، أو أن ينفرد برأي جديد يغنيه عن الأخذ من تراثهم .

هذا الأمر – وإن بدا ظاهره النصح و الإرشاد – يحمل بين قوالبه تهديدًا ضمنيًّا من الخروج علي مألوف ما اعتادته العرب من الحكم و العادات ، بدليل أنه ساق قوالب لغوية تؤيد هذا الرأي ، وهو قوله : ما يغني به العربا . كأنه يقول لمتلقيه : إن أردت فتأمل العقبات و الصعوبات التى ستعاركها إن أردت الخروج عن مألوف العرب ، تلعل في قوله: ما يغني به العربا كناية عن صعوبة الأمر ، أما البيت من الناحية الهيكيلية فقد اتسق شطراه ، و التقي آخره بأوله ؛ كأنه يقول : يجب أن يكون النظر و التأمل و المراجعة و التريث أول أمرك ، ويكون آخر أمرك أن يبرز للعرب ما يغنيك عن تراثهم ، فهو تخيير بين انشاق ومودة .

فإذا ما طالعتنا الأداة و الفعل ساد الموقف التحاوري الذاتي حالة من التردد ؛ لعدم قدرة العقل أو النفس علي اصطياد المقصود ، إنما تقوم استثارتها من خلال التوقع ، حسب معطيات الموقف اللغوي و الإشاري والسياقي ؛ حتي يأتي الجواب ، فيجيب عمَّا أثار النفس ، وفي هذا الصدد يقول أستاذنا الدكتور كمال بشر : " فنحن – حين نأتي بشرط – فإن التردد و الاستثارة يُعدان أمرين قائمين، يهدئ منهما مجيء الجواب؛ ومن أجل ذلك فإن تأكيدًا، أو قل: ضغطًا حاصلًا علي الجواب؛ حين يأتي، ويكون كفيلًا بأن يُريح بال المستمع تمامًا ".([٢٩٦]) ونظير ذلك : قوله :

---

[٢٩٤] سورة الحج ، الآية رقم : ٢٩

[٢٩٥] انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ١٨٦

[٢٩٦] من وظائف الصوت اللغوي ، د : أحمد كشك ، (د . ط) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م : ٦٩

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ	إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا صَفْوَ أَخْلَاقِي .([٢٩٧])

ونظير ذلك قوله :

لِيَهُنْ فُؤَادِى أَنَّهُ قَدْ سَلَاكُمُ	وَآمَنَ مِنْ خَوْفِ الْقَطِيعَةِ وَالصَّدِّ.([٢٩٨])

وحين نستنطق القوالب اللغوية – ما وراءها– ما تحمله من إبداع دلالى ، نجد أن ظافر قد عبَّر – بقالب الأمر المكون من اللام الأمرية و الفعل المضارع– عن انفعال التحدى بين المؤلف و سياق ممهداته ، و هى – هنا– الرغبة فى السلامة ، فعمد – لأجل هذا الانفعال – إلى تحريك عناصر جملته الطلبية ، تقديمًا و تأخيرًا ؛ ونظير ذلك : قوله :

مَنْ كَانَ يَرْغَبُ فِى السَّلَامَةِ فَلْيَكُنْ	أَبَدًا مِنَ الْحَدَقِ المِرَاضِ عِيَاذُهُ .([٢٩٩])

والناظر في التركيب الأمرى : **فليكن أبدًا من الحدق المراض عياذُه** . يجد أن ثمة تحريك لقالب الخبر قد تم ، لعلة دلالة ، و هى بيان أهمية الخبر ، وأنه سبيل المرء للتنعم بالسلامة ، و بأن يكون من الحدق ، علي طور دهره ، ولاشك في أن لفظ الأبد – هنا – منصوب علي الظرفية الزمانية ، و الخبر شبه الجملة المقدم ، علي الحدق ، كما أن هناك نكتة جمالية حققها تصرف تقديم الخبر ، وهى أنه منح المؤلف تحقيق نوع من القافية المطلقة و الموحدة ، التى عبَّرت عن تباريحه ، وحققت امتدادًا موسيقيًّا.

وقوله :

فَلْيَنْبُتِ الْإِفْرِنْجُ مِنْهُ لِقَسْوَرٍ	بَعَثَ الْحُتُوفَ إِلَيْهُمُ مِنْ غِيلِهِ.([٣٠٠])

وقوله:

فَبَادِرْ بِجُودِكَ قَبْلَ السُّؤَالِ	بِلَا مِنَّةٍ وَ لْيَكُنْ فِى اكْتِتَامْ.([٣٠١])

[٢٩٧] البيت من قصيدة لظافر في قصيدة له يعاتبه ، من بحر البسيط ، انظر : الديوان : ٢٦٩/ ٢٩٢

[٢٩٨] البيت من قصيدة لظافر ، كتبها لصديق يعاتبه ،وهى من بحر الطويل ، وفى الزيادات عن النسخة الألمانية و النجفية ، الديوان : ٢٩٢

[٢٩٩] البيت من قصيدة لظافر ، فى التصبر ، و ذم الفراق ، من بحر الكامل ، وفى قافية الذال المعجمة الموحدة الفوقية المضمومة ، الديوان : ١٠٧/٩٠

[٣٠٠] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الآمر ، أمير المؤمنين ، من بحر الكامل ، وفى قافيه حرف اللام ، انظر : الديوان ، ٢٢٣/٢١٢

[٣٠١] البيت من قصيدة لظافر ، يذم فيها أهل الإسكندرية ، وهى من بحر مجزوء الكامل ، و فى قافية الميم المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٥٨/٢٣٩

وقوله:

وَلْيُمْسِكَ الْبَيْتُ الحرامُ وحِجْرُه	وَ مَقَامُهُ وَ حَطِيمُهُ بِذِيُولِهِ.([٣٠٢])

فى الأبيات السابقة خرج ظافر بخطاب الطلب الأمر إلى تأكيد طموحه ، والإصرار على كونه طموحًا فرديًّا ، ليبرز إلى متلقيه عناصر الاعتداد بالنفس ، ويبدو مصرًّا على تحويل آلامه ، وفشله النفسى ، إلى طموح ، يأمل أن يشمل هذا كل إنسان؛ انظر إلى يحفِّز نفسه نفسيًّا ، قائلًا : **ليكُنْ فى اكتتام** . للتأكيد على ضرورة امتلاك النفس زمام أمرها ، **وليُمسك البيتُ الحرامُ** . دليل على شرف النفس و سموها ، **من كان يرغب في السلامة فليكن**. ينصح متلقيه بتجنب الفتور والفشل ، **فلينبُت الإفرنج منه لقسورٍ**، دليل على رغبة النفس فى تحويل اليبس إلى أمل.([٣٠٣]) ونظير ذلك قوله:

وَإِنْ عَرَضَتْ فُرْصَةٌ لَا تُخَافُ	عَوَاقِبُهَا فَلْتَكُنْ ذَا اعْتِزَامْ. ([٣٠٤])

تجلى هذا الانفعال فى سكون لام الأمر ، بعد الفاء الفصيحة ، فدلت على قصدية الإصرار، مع الاستحالة والتعجيز، إذ إنه من المعلوم أن المقطع الصوتى المتوسط المغلق(ص ح ص)، وقد سكنت لام الأمر ، الداخلة على فعل الغائب ، لمجيء الفاء الفصيحة قبلها ؛ والذى عبَّر عنه المقطع الصوتى(فَلْ) ؛ ليدل على قوة الكتلة الدلالية و تدفقها ، وجاء الفعل المضارع بعدها صحيحًا سالمًا ، مبنيًّا على السكون ؛ ليدل على تجدد تلك القوة ، وإصرار المؤلف على إيقاع مضمون الفعل .

وقد باشرت تلك اللام فعل الغائب لتؤكد قوة الأمر المُراد تحديه ، ليزيد من قيمة الإصرار فى نفسه . ويؤكِّد السيوطى هذا المعنى ، بما ذكره فى باب الجوازم من جواز تسكين (لا الأمر) ، لا (لام كى) بعد الواو والفاء ، وأشار إلى أن ذلك على الأصل فى ورود لام الأمر؛ فردت إلى الأصل ؛ ليؤمن دوام تقويته.([٣٠٥])

---

[٣٠٢] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الآمر الإمام أمير المؤمنين ، من بحر الكامل ،وهى فى قافية حرف اللام المكسورة، انظر : الديوان ، ٢٠٦/٢١٢

[٣٠٣] انظر : تصوير النفس فى شعر المتنبى ، عبد حسين مبروك البركاتى ، رسالة ماجستير ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، نسخة pdf : ٤٣

[٣٠٤] البيت من قصيدة لظافر ، يذم فيها أهل الإسكندرية ، وهى من بحر مجزوء الكامل ، و فى قافية الميم المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٢٥٩/٢٣٩

[٣٠٥] انظر : الأشباه و النظائر فى النحو ، ج٢ : ٣١٦

المبحث الثالث: الإبداع الدلالى للأمر بصوت اسم فعل الأمر(من التعبيرات الإفصاحية):

يعد هذا النمط من القوالب اللغوية الموضوعة لما ينوب عن الفعل الصريح ، وممَّا يوقع معناه فى الدلالة على طلب الفعل ، أوطلب الكفِّ عنه ،وقد أشار الملك المؤيد أنها من لبصيغ المعدول بها عن الصيغة التامة ، وتنقسم إلى مرتجل ، نحو : صهْ ، ومهْ ، و هيهات ، وإلى مشتق ، نحو : نزالِ و مناعِ ، و منقول ، نحو : عليك زيدًا ، و دونك عمرًا .([٣٠٦])

وقد عقد سيبويه (ت ١٨٠هـ) بابًا مستقلًّا فى هذا الشأن، أسماه : هذا باب من الفعل سُمِّى الفعل فيه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث ، وعلَّق محقق الكتاب على هذا الباب بقوله : وهو المعروف باسم فعل الأمر ، وذكر سيبويه أن موضعها من الكلام الأمر و النهى ؛ فمنها ما يتعدى المأمور إلى المأمور به ، و منها ما لا يتعدى المأمور ... أما ما يتعدى ، فقولك : رُويْدَ زيدًا . فإنما هو اسم قولك : أَرْوِدْ زيدًا ، و منها : هلُمَّ زيدًا([٣٠٧]) ، إنما تُريد : هات زيدًا و منها قول العرب : حَيَّهَلَ الثريدَ ، أى : ائتوا الثريد ؛ و كذلك قولهم : حَيَّهَلَ الصلاة . أى : ائتوا الصلاة...وأما ما لا يتعدى المأمور إلى مأمور به ، فنحو : وصَهْ صه ، ومَهْ مَه ، آهٍ ، وإيهٍ ، وتراك ومناع ، و ما أشبه ذلك ([٣٠٨]) وكذلك: رويد ، وحاء ، و: عاءٍ (فى الأصوات) .. وأفٍّ ، و أوهٍ ، فكل لفظ استقل بنفسه ، ([٣٠٩]) وجَنيْت منه ثمرة معناه ، فهو كلام . ([٣١٠])

جعل ابن هشام الأنصارى – اسم الفعل – فى القسم السادس من القوالب اللغوية التى تعمل عملها([٣١١]) ، وجعلها على ثلاثة أنواع فرعية ، نخصُّ منها ما سُمِّى به الأمر ، و هو الغالب ، نحو : بله زيدًا ، بمعنى: دعه ، وعليكهْ ، بمعنى : الزمه ، و دونكه ، بمعنى : خُذه .([٣١٢])

---

[٣٠٦] انظر : الكناش فى النحو و الصرف : ١٤٥-١٤٦

[٣٠٧] يقول سيبويه : اعلم أن ناسًا من العرب يجعلون : هلمَّ ، بمنزلة الأمثلة التى أُخذت من الفعل ، يقولون : هلمَّ ، وهلمِّى ،وهلمَّا ، وهلمُّوا، انظر : الكتاب ، ج١ : ٢٥٢

[٣٠٨] انظر : الكتاب : ج١ : ٢٤١

[٣٠٩] الخصائص ، : ابن جني ، المتوفي سنة ٣٩٢هـ ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣م ، ج١: ٧٢

[٣١٠] الخصائص ج ١ : ١٧

[٣١١] وهى : المصدر ، واسم الفعل ، وأمثلة المبالغة ، و اسم المفعول ، و الصفة المشبهة ، واسم الفعل ، والظرف ، و المجرور ، واسم المصدر ، و اسم التفضيل . انظر : شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، لابن هشام الأنصارى ، و معه كتاب : منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، محمد محى الدين عبد الحميد ، (د .ط) ، دار الطلائع ، و مكتبة الساعى ، ٢٠٠٤م ، القاهرة : ٣٩٢-٤٢٧

وبعيدًا عن الخلاف بين اسميتها أو فعليتها ، فهى تدل على الحدث ، من دون التصريح بزمن ، أو تعيينه ؛ بيد أنها تحمل إشارة دلالية عنه؛ و هى بعيدة عن التصرف كما هى الحال فى تصرف المصادر والتوالد كما هى الحال فى النحت و ألفاظ الاشتقاق ؛ لذا فالأقرب الترجيح بأنها مأخوذة من الفعل ، وكذلك فإن الأمر والنهى لا يكونان إلَّا بفعل ، لذا سمى بها الأمر و النهى ، فعملت عملهما ، ولم تجاوز ، فهى تقوم مقام فعلهما.([٣١٣])

وعلى الرغم من القدرة النسبية للقوالب اللغوية من جنس أسماء الأفعال فى الدلالة على الحدث الذى يجمله الفعل المتضمن معناه ؛ فإن فى تلك القوالب ضعفًا ، وهو ردة فعل لانفعال عنيف ، أضعف من نفس مؤلف تلك القوالب للتعبير عن معنى ما ، وهذا الانفعال قد عمَّ تلك النفس ، فألجمها عن إيراد القوالب التامة للدلالة على المعانى التامة ، ومردُّ هذا الضعف – فى غالب الأمر – إلى ما يلى :

- قلة هيكلها الكمِّى و ضآلته ، الناتجة عن قلة عدد أحرفها.
- اعتلال أحد عناصرها الصوتية.
- أنها – حين تلحقها صوامت ، تكون من جنس هاء السكت الموصوفة بالهمس و الرخاوة ، و الانغلاق المقطعى ، حيث تدل هاء السكت على الكظم و ضعف النفس.

والدليل على ضعفها قول السيوطى(ت٩١١هـ) :" **(باب أسماء الأفعال ، مسئلة)** : لا يجوز تقديم معمولات أسماء الأفعال عليها عند البصريين ، وجوَّزه الكوفيون ، قياسًا على اسمى الفاعل والمفعول ، والفرق على الأول أنهما فى قوة الفعل ، لشدة شبههما به ، وأسماء الأفعال ضعيفة".([٣١٤])

وقد استثمر ظافر هذه الأبعاد الدلالية لأسماء الأفعال، وكأنه قد أدرك أن الأنفس مجبولة على النفور من الأمر الصريح ، وقد نجحت تلك القوالب فى تقديم الطلب فى صورة نصيحة ، استنادًا إلى قلة عدد أحرفها ، وسرعة زوال مدلولها الطلبى عن مخيلة المتلقى ووجدانه، وقلة مقدار القوة فى الطلب ، فتستأنس بها النفس. نحو قول ظافر:

---

[٣١٢] انظر : شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب :٤٠٩ – ٤١١

[٣١٣] انظر : الكتاب : ج١ : ٢٤٣

[٣١٤] الأشباه و النظائر فى النحو ، ج٢ : ٣٠٤

شَادَ الْمَعَالِي فَوْقَ أَسٍّ ثَابِتٍ	فِي الْفَضْلِ صَارَ إِلَيْهِ عَنْ مَوْرُوثِهِ.
وَالرُّعْبُ أَوَّلُ رُسْلِهِ لِعَدُوِّهِ	فَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْ مَبْعُوثِهِ . ([٣١٥])

وقوله :

وَقَائِمُ سَيْفِي فِي يَمِينِي وَجِيدُهُ	بِيُسْرَايَ فِي عِقْدٍ بِغَيْرِ نِظَامِ.
حَذَارًا عَلَيْنَا مِنْ غُيُورٍ مُبَادِرٍ	يُسَابِقُنِي بِالضَّرْبِ قَبْلَ قِيَامِي.([٣١٦])

وقوله :

إِيهٍ عَلَى تَذْكَارِ مَا سَلَفَا	فَالدَّمْعُ مِنْكَ أَقَلُّ مَا وَكَفَا .
يَا عَيْنُ أَنْتِ جَلَبْتِ نَاظِرَةً	لِفُؤَادِيَ الْأَشْوَاقَ وَ الشَّغَفَا.([٣١٧])

وقوله :

فَيَقُولُ الْإِنْسَانُ: عَلَيَّ لِذَاكَ الشَّخْـ(م)	صِ دُونَ الْوَرَى مِنَ الْأَكْفَاءِ .([٣١٨])

وقوله:

وَيْكِ !! أَمَا يَكْفِيكِ أَنْ تُبْصِرِى	جَنَائِزًا تُنْقَلُ بِالرَّاتِبِ.([٣١٩])

وقوله :

فَحَسْبُكَ مِنَ النَّوَى مِنِّى بُعَادًا	فَهَلَّا فِى الْكَرَى مِنْكَ اقْتِرَابُ.([٣٢٠])

وتتجاوز صيغ أسماء الفعل الدلالة على الطلب من باب الاستعلاء و الوجوب ، فى إبراز رغبة ظافر الحقيقية فى القناعة بالاقتراب من محبوبه ، ويجعل هذا الاقتراب أمرًا صعب المنال ، فيدفعه انفعال نفسه أن يستخدم قالب الأمر(هلا) الجامع بين الأمر والتمنى ، فلا يقنع بمجرد الوجود فى عالمه ، بل إنه يزجر نفسه عن هذه القناعة ؛ يؤيد ذلك أنه حين استخدم القالب الأمرى(إيه) ، ليدل على انفعال نفسه بتذكر ما قد سلف ، و يطالبها بالاستزادة منه ، و من ذكرياته.

[٣١٥] من قول ظافر ، فى مدح الأفضل ، من بحر الكامل ، وفى قافية حرف الثاء المكسورة ، انظر: الديوان ، ٥١/ ٧٣

[٣١٦] البيت من قصيدة لظافر ، يذكر فيها قومه ، يتشوق إلي الإسكندرية ، من بحر الطويل ، انظر : الديوان : ٢٣٤ / ٢٤٧

[٣١٧] البيتان من قصيدة لظافر فى الحنين إلى الوطن ، و هى فى قافية حرف الفاء المفتوحة ، انظر : الديوان ، ١٦٤/ ١٨٧

[٣١٨] البيت من قصيدة لظافر ، قالها فى الوعظ و الزهد ، والبيت من بحر الخفيف ، و فى قافية حرف الهمزة ، ١٤/١

[٣١٩] البيت من قصيدة لظافر ، يعاتب فيها النفس ، و هى من السريع ، و فى قافية حرف الراء المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٥/٢٠

[٣٢٠] البيت من قصيدة لظافر ، فى ذم الفراق ، و هى من بحر الوافر ، و فى قافية الباء المضمومة ، انظر : الديوان ، ٣٢/٢٧

وقد استثمر ظافر صيغ اسم الفعل الدالة على الطلب ؛ رغبة منه فى الكشف عن حالته الانفعالية بصورة مقتضبة ؛ معتمدًا على دلالة هذه القوالب على الاختصار ، وقوة الانفعال ، مقارنة بضعف النفس عن إيقاع حدث الفعل بتمامه ، إذ إن هذا القوالب الضعيفة قد تناسبت فى حالة انفعال النفس التى تستخدمها، وكأنه تعبير عن الضعف بضعف.

المبحث الرابع : الإبداع الدلالى للأمر بصيغة المصدر الصريح النائب عن فعل الأمر فى الدلالة على الطلب:

من الجيد الإشارة إلى أن من أمارات التمايز بين الاسم والفعل ، هى دلالة الأخير على الحدث ، حيث إن الفعل أوسع من الاسم فى الدلالة على إيقاع الحدث و فاعله و زمنه ، ويأتى المصدر ليتوسط بين القسمين ، بيد أنه إلى الفعل أقرب ، لدلالته على الحدث ، وتجرده من إحاطة الزمن . وفيه حُذف العامل ، وهو الفعل ، و قدِم المصدر ، فناب عن فعله فى إيقاع حدث الطلب أو الأمر، وكأن المصدر قد عبَّر عن الفعل المحذوف ، وأحاط المعنى بصورة مختصرة ، فحين نقول : رفقًا بالضعيف ، فإننا نقصد : ارفُق بالضعيف ، وقد استند ابن هشام الأنصارى(٧٦١هـ) إلى هذا الأمر حين عقد بابًا من الأسماء التى تعمل عمل الفعل، وجعلها عشرة أقسام ([٣٢١]) صدرها بالمصدر النائب عن فعله، وهو : اسم الحدث الجارى على الفعل، كـ: الضرْب والإكرام .([٣٢٢])

نلحظ أن فى كلام ابن هشام إشارة إلى أن المصدر الصريح يقوم – فى هذا الموضع – مقام فعله فى الدلالة على معناه ؛ لذا وجب أن يصير المصدر كـ: فعله العمل ، يدلُّ دلالته ، ويعمل عمله ، كما هى الحال فى نيابة المفعول عن الفاعل حال حذفه ، ويقول سيبويه فى هذا المعنى :" اعلم أنه لا يجوز أن تقول : عليه زيدًا . تريد به الأمر ، كما أردت ذلك فى الفعل ، حين قلت : ليضربْ زيدًا . لأن عليه ليس من الفعل ، وكذلك :حَذَرَهُ زيدًا ، قبيحة ، لأنها ليست من أمثلة الفعل ، فإنما جاء تحذيرى زيدًا ؛ لأن المصدر يتصرف مع الفعل ، فيصير حذرك فى موضع احذر ، و تحذيرى فى موضع حذِّرْنى ، فالمصدر – أبدًا – فى

[٣٢١] وهى : المصدر ، واسم الفعل ، وأمثلة المبالغة ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم الفعل ، والظرف ، والمجرور، واسم المصدر ، واسم التفضيل . انظر : شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب : ٣٩٢-٤٢٧

[٣٢٢] انظر : شرح شذور الذهب : ٣٩٢-٣٩٥

موضع فعله ، ودونك لم يؤخذ من فعل ، و لا عندك ؛ فإنما يُنتهى فيها حيث انتهت العرب".([٣٢٣]) كما في قول ظافر:

رِفْقًا عَلَى الدُّنْيَا فَإِنَّ جِبَالَهَا	غَرِقَتْ بِفَضْلِ نَوَالِكَ الثَّجَّاجِ . ([٣٢٤])

وقوله :

وَلَا تَنْكَشِفَنَّ بِهَا حَذَارًا	مِنَ النَّزَلَاتِ عَنْ بَرْدِ الْهَوَاءِ.([٣٢٥])

وقوله :

يَبْدُو فَتَسْتَجْلِي الْعُيُونُ مَذَاقَهُ	نَظَرًا وَ تَحْتَرِقُ الْقُلُوبُ بِحُبِّهِ.([٣٢٦])

وقوله :

لَقَدْ تَطَوَّلْتَ حَتَّى طُلْتَ عَنْ شَبَهٍ	مَهْلًا فَجُودُكَ مُعْطٍ مِثْلَ مَا سُلِبَا .([٣٢٧])

وقوله :

مَادَتْ الْأَرْضُ بِهِ زَهْوًا عَلَى	أَنَّهَا مِنْ حِلْمِهِ فِي نَصَبٍ.
أَمُغِيثَ الدِّينِ نَصْرًا حِينَ لَمْ	يَبْقَ مِنْهُ مِنْكَبٌ لَمْ يُنْكَبِ .([٣٢٨])
قُمْتَ للهِ احْتِسَابًا صَادِقًا	نَاهِضًا فِيهِ بِعِبْءٍ مُتْعِبِ . ([٣٢٩])

صدَّر ظافر هذا البيت بأمر المصدر ، ثم تلاه بعلته ، ليذكر المتلقي بأمر ربما قد غفل عنه ، ويؤكده في نفسه ، ويقويه ، ويبالغ في عرض دقائق الحدث ؛ ليحقق غرضه من تهديد المتلقي المعاند وتحذيره ، وهو أن ممدوحه قد عمَّ كرمه الدنيا ، وهنا استعان ظافر بطاقة المصدر الصريح ، في تقوية المضمون القضوي لتراكيبه اللغوية ، و للغته الشعرية، والتقدير ، كما هو الحال عند الزمخشري، ارفق رفقـًا، وقد أتبع الأمر بالخبر عناية بفكرته، هي أنه

---

[٣٢٣] الكتاب ، ج١ : ٢٥٢

[٣٢٤] في مدح الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش ، و يهنئه بعيد الفطر، ، من بحر الكامل ، وفي قافية الجيم المكسورة ، الديوان ، ٧٧/٥٦

[٣٢٥] البيت من قصيدة لظافر ، قالها في ذم الغفلة ، و هي من بحر الوافر ، و في قافية حرف الهمزة ،انظر : الديوان : ١٥/٢

[٣٢٦] البيت من قصيدة لظافر ، قالها في الغزل ، من بحر الكامل ، و هي في قافية حرف الباء ، انظر: الديوان ، ٢٠/١٠

[٣٢٧] البيت من قصيدة لظافر ، قالها يمدح الأفضل ، و يهنئه بشهر رجب ، وهي من بحر البسيط ، و في قافية حرف الباء المفتوحة ، انظر : الديوان ،٤٣/٣٣

[٣٢٨] البيتان من قصيدة لظافر يمدح بها الأفضل ، و يهنئه بشهر رجب ، و يذكر حال النيل في تلك السنة ، و هي من بحر الرمل ، و في قافية الباء المكسورة ، انظر : الديوان ، ٤٨/٣٤

[٣٢٩] يمدح الأفضل ، ويهنئه بشهر رجب ، ويذكر حال النيل في تلك السنة ، من بحر الرمل ، الديوان : ٣٤/ ٤٨

يوزان بين كرم الدنيا و جود ممدوحه وفضله، الذي صوَّره بالماء الثجاج المنهمر، من دون انقطاع، وقد تكرر هذا التصرف في شعر ظافر ، وأقصد به أتباع الخبر للأمر، تقوية لمراده ، وكأنه يُريد إيصال الرسالة مؤكدة ، يتعاضد في تأكيدها نمطان، نمط الأمر ونمط الخبر، ويكون فحوي الجملة الشعرية تحذير المقلل من شأن ممدوحه من أن يستهين بجود ممدوحه .

وقد حذف ظافر فعل الأمر، ليشمل تأكيد المضمون والمباغتة فيما يخص التلقى، وأن ما بعد جملة الأمر استدراكًا لما قبلها ، حتي لا يعطي فرصة لذهنية المتلقي بأن تؤمن بما اقتنعت به ، بل يُشير إلي أن اعتقادها محض باطل ، وأن الصواب في الإيمان بما بعد جملة الأمر من الخبر المؤكد للممدوح. وليس من شك في أن تعدُّد الأفعال الأمرية ، يعكس رغبة من مؤلف النص ظافر أن يقدم لمتلقية نصيحة إرشادية ، وتؤكد علي أن ظافرَ يُريد أن يعرض للمتلقي تجربته ، كما يريده أن ينتفع بها في حياته ، و أن يحول تجربة من أمر خاص إلي تجربة عامة ، ينتفع بها الناس. ويقول من قصيدة له:

رِفْقًا بِأَسْرَي مُقْلَتَيْكَ فَقَلَّمَا	يَبْقَي عَلَي الْهُجْرَانِ صَبْرُ الْعَاشِقِ .
صَبْرًا عَلَيْه فَرُبَّ حَالِ مُنَافِرِ	حَالَتْ وَ أَضْحَي وَهْوَ أَيُّ مُصَادِقِ.([٣٣٠])

وقوله :

فَيَا مُهْجَةَ الْإِسْلَامِ رِفْقًا بِهَا لَهُ	فَهَذَا الْأَسَى فِيهَا ، وَ فِيهِ مُؤَثِّرُ.([٣٣١])

ومحل الاستشهاد فى الأبيات السابقة ، هو فى قوله : (رفقًا ، وزهوًا . واحتسابًا ، حذارًا ، و مهلًا ، و نظرًا ، و نصرًا) وجميعها تدل على قوة انفعال النفس ، حول المضمون الذى تحمله هذه المصادر، وجميعها تدل على قوة التحسر فى نفس ظافر، فهو يصارع نفسه للترفق، والتمهل والنظر، والاحتساب والرفق ؛ والتروى ، وجميعها دلالات انفعالية، ليس فيها إلَّا ما يتصل بالنفس .

وتعضد هذا القول تلك البنية المقطعية للقوالب المصدرية، إذ إنها يغلب عليها المقطع الصوتى المتوسط المغلق، من فئة (ص ح ص)، وهو مقطع مغلق النهاية، يدل على تمركز

[٣٣٠] في التغزل و الافتخار ، من بحر الكامل ، الديوان : ١٨٣/ ٢٠٦-٢٠٨

[٣٣١] البيت من قصيدة لظافر ، يرثى بها المظفر أخا الأفضل ، وهى من بحر الطويل ، و فى قافية حرف الراء المضمومة ، انظر : الديوان ، ١٢١/١٤١

الدلالة وتدفقها، ويُمكن توضيح ذلك من تحليل البناء المقطعى للصيغ المصدرية المستعملة،على النحو الآتى:

البنية	١	٢	٣	٤	المقطع الأخير	العدد
رفقًا	رقْ	قَنْ			ص ح ص	٢
نظرًا	نَ	ظَ	رَنْ		ص ح ص	١
مهلًا	مهْ	لَنْ			ص ح ص	٢
نصرًا	نصْ	رَنْ			ص ح ص	٢
زهوًا	زهْ	وَنْ			ص ح ص	٢
حذارًا	حَ	ذَا	رَنْ		ص ح ص	١
احتسابًا	اح	تِ	سَا	بَنْ	ص ح ص	٢

جاءت قوة المصدر الصريح فى الدلالة على الأمر ، لخلوه من التقيد بزمن ، إذ إن أفعال الإنشاء فى غالبها مجردة عن الزمن ، ويصبح هذا التجرد عارضًا حين تُنقل إلى الخبر، ويصبح الدال على الأمر – حينها– المصدر المجرد ، لا الفعل المقيد بقيد الزمن ، و هذا أبلغ فى الدلالة على إيقاع الحدث.([٣٣٢])

وكذلك جاءت قوة المصدر فى غلبة المقطع الصوتى على بنيته المقطعية ، حيث إنه ورد فلا جميع الصيع المصدرية محل الاستشهاد ، و بصورة مكثفة ، مما يدل على قوة انفعال النفس ، حتى إن الصيغة المصدرية اعتمدت على بنيتها فى الدلالة على إيقاع الأمر بها ، إذ وردت مجردة من معموليها الفعل و الفاعل(إضمار الفعل و الفاعل) مما يدفع إلى القوة بأن قوة اللفظ – فى هذا الموضع – قد أشارت إلى قوة المعنى ، الناتج عن قوة الانفعال ، بوصف الانفعالات النفسية هى المتسببة فى الانفعال قوة أو ضعفًا، إذ إن المصدر هو الصورة القوية من المعنى ؛ وبقالبه يعبَّر عن الحالة النفسية أدق تعبير.

وقد أراد ظافر بقالب المصدر الدال على الطلب فى تأكيد – بواطنه و انفعالاته – على إصراره على إتيان مضمونه بصورة مكثَّفة ، وكأن يوفر بالمصدر الدال على الطلب قوة فى الأمر ، وصورة للنفس ، و انفعالاتها ، وتزداد قوة المصدر فى الدلالة على الطلب، إذ تجرد بقالبه المفرد ، للتعبير عن الفعل و الحالة الانفعالية لمن يفعله .

[٣٣٢] انظر : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ١٩٠

وقد حُذف الفعل – هنا– لأن المصدر نب عنه فى الدلالة على معنى الفعل المحذوف ، فقوله : رفقًا ، نيابة عن قوله : ارفق ، و حذارًا ، نيابة غن قوله : احذر ، ودلَّ المصدر على الأمر الصريح ، فى حالة من الإيجاز، و تمام المعنى ، و سمو البلاغة ، حيث إن التعبير بالمصدر أبلغ من التعبير بالفعل المضمر، لأن الإيجاز سبيل الدهشة ، و المفاجأة ، ويجعل الأمر قويًّا، فيذهب كل مذهب لإيجابه ، وتحقيق مضمون قالبه المصدرى .

على الرغم من قوة قوالب المصدر المجرد النائب عن فعله الأمرى– فى شعر ظافر– فى الدلالة على الطلب و الإلزام، فإننا نجدها تعكس انفعالًا بالتطمين ، حيث يبث ظافر فى نفسه – أو نفس متلقيه – أن يرفق ، أو أن يحذر ، أو أن ينظر ، أو يتمهل ، و يتروى ، أو أن يفخر و يزهو ، وجميعها قوالب أمرية تدفع إلى الاستئناس بها ، تدل على اعتداد الشاعر بنفسه ، و تجنب انفعالات الضعف ، ودفع الظلم عن نفسه ، لاسيما أن ظافرَ قد أحاطت به أنياب الجلد ، من الطرد ، و الاغتراب ، و التهميش ، و المرض.

وأحيانًا يستثمر ظافر القوة الدلالية للمصادر المجردة الدالة على الأمر ، فى التعبير عن قوة انفعاله ، انظر إليه يستخدم القالب المصدرى (نظرًا) ، فى قوله : نظرًا و تحترق القلوب بحبه.([٣٣٣]) ، ليعبر عن قوة انفعاله حين أصبحت عيناه محبوبه ، و استجلت محاسنه ، يطالب عينيه بالنظر ، حين يحترقان من حرارة محبوبه.

- **<u>مواضع خطاب الطلب فى نماذج تطبيقية لجملة الأمر فى شعر ظافر:</u>**

إذا أراد الباحث التدليل على أن خطاب الإنشاء الطلبى بالاستفهام أو بالأمر لم يكن عفويًّا – إنما كان مكثَّفًا وذا قصدية نفسية ، أراد به ظافر وصف انفعالاته وتصويرها لمن يخاطبه – فلن نجد أقدر على إثبات ذلك من فصيدته الميمية ، التى قالها فى التحذير من صحبه الأشرار:

(م)	الشطر الأول	الشطر الثانى	الشاهد	الأداة
١	وقدِّر فؤادك قبرًا له	وقُلْ باللسان : صمام صمام		اسم الفعل
٢	وارعَ الأمانة والزم لها	شروط المروءة أيَّ التزام .	وارعَ الأمانة والزم	الفعل
٣	وشاور ذوي الحزم قبل الدخول	علي غررٍ مُطْمعٍ و اقتحام.	وشاور ذوي	""

[٣٣٣] البيت من قصيدة لظافر ، قالها فى الغزل ، من بحر الكامل ، وفى قافية حرف الباء ، انظر: الديوان ، ٢٠/١٠

			الحزم	
٤	وساعد علي الخير مهما استطعت	بمالٍ و رأيٍ وجاهٍ مُحام	وساعد علي الخير	""
٥	وسُسْ أهل عصرك فيما يقِلُّ	ويكثر حتي ببذل السلام	وسُسْ أهل عصرك	""
٦	وكن سائسًا آمرًا في الملوك	وسائس لأمرك أقل الأنام	وكن سائسًا آمرًا	""
٧	وعلِّم بلطفٍ إذا ما علمت	كراعٍ خبيرٍ برعي الشوام	وعلِّم بلطفٍ	""
٨	وبادر بـ(لم أدر) عند السؤال	إذا ما جهلت بغير احتشام	وبادر بـ(لم أدر)	""
٩	ولا تحْقرنْ حكمة تُستفاد	وخذها ، و لو من أقل الطعام	وخذها	""
١٠	ولا تَبْخَس الناسَ أقدارَهم	فما البَخْس إلا أقلُّ الحرام	ــ	
١١	وكن شاكرا فضلَ ما فيهمُ	بغيرِ تَغال ودونَ اهتضام.([٣٣٤])	وكن شاكرا فضلَ	""

ثم يكمل ظافر قصيدة قائلًا:

(م)	الشطر الأول	الشطر القانى	الشاهد	الأداة
١	ورَفِّع بتبجيلك المستحق	ولو كان طفلا دُوَيْنَ احْتِلام	ورَفِّع بتبجيلك	الفعل
٢	وقفْ دونَ ما أنت مُستوجِب	فَقَدْرُك مهما تواضعتَ سام	وقفْ دونَ	
٣	ولاحظْ عيوبَك وافطِنْ لها	وكن من عيوبِ الورى ذا تَعام		
٤	وأنصِف وإنْ لم تجد مُنصفا	وسامحْ بواجبِ حقٍّ لِزام		
٥	ودُمْ طالبَ الفهم للغامضات	فمفتاحُ مُغْلَقِها في الدوام	ودُمْ طالبَ الفهم	
٦	وإنْ تُدْعَ للخير فانهضْ وهُمّ	وإنْ تدع للشرِّ قلْ لا هَمام	فانهضْ وهُمّ	
٧	وجَدُّك أَسْرِ به في السماءِ	وجِدَّ ارتفاعا أمامَ أمام	وجِدَّ ارتفاعا	المصدر
٨	وكن عالِمَ الشرِّ لا عامِلا	لتَخلُصَ من مُوبِقات المَرام	وكن عالِمَ	
٩	فلن يَصلُحَ الشيءَ عند امرىءٍ	بفرطِ محبته ذي غرام		
١٠	وكن بعُرَا الحقِّ مستمسِكا	أَلاَ إنها غيرُ ذات انفصام	وكن بعُرَا الحقِّ	
١١	فلا تَقْتِنَنَّك دنيا الغِنى	ومَثِّلْ مُقامَكما في الرِّجام	ومَثِّلْ مُقامَكما	
١٢	وكن في حياتك كالمُبتغِي	من السوق زادا لبُعْد المَرام	وكن في حياتك	
١٣	فما المال والعيش إلا كطيفِ	خيالٍ سَرَى طارِقا في مَنام		

[٣٣٤] الأبيات من قصيدة لظافر، قالها في التحذير من صحبة أهل الشر، ومن غوائل الدنيا ، من بحر المتقارب، انظر :الديوان : ٢٤٠/ ٢٥٨- ٢٥٩

١٤	فخُذْها وصيةَ مَنْ قَصْدُه	بها الأجرُ لا حُسْنُ نفسِ النِّظام.([٣٣٥])	فخُذْها وصيةَ	

يتبادر إلى الذهن أن ذلك التكثيف لجملة الأمر فى الشواهد السابقة ليس عملًا اعتباطيًّا – في شعر ظافر – إنما يجب النظر إليه بوصفه مثيرًا دلاليًّا ، به تجلياته و إبداعاته ، وقد تزاحمت هذه الجملة فى شعر ظافر لتعكس صراخه لسياقه المجتمعى ، فاتخذ من صيغة الأمر، سبيلًا له ، فقد أصبح من طول معاناته صارخًا حتى تحول هذا الصراخ إلى لغة إفصاحية تعبيرية عن يأس المؤلف من انصياع المتلقى لرأيه ، فاستخدم قالب الأمر رغبةً منه فى إظهار الجدية والإصرار على إيقاع مضمون الفعل ، وقد تضافرت كثرتها في استثارة المتلقي، أو تشويقه ، أو ازدياد حالات الصخب و التهييج ، أو أن تخفف من ثورة النفس لدي المتلقي، أو تُعين المتلقي علي استحضار القصد المركزي، لما لها من قدرتها علي توفير امتدادات دلالية طويلة وموسعة.

<u>الخاتمة، وفيها :</u>

<u>أولًا : أهم ما توصل إليه البحث من نتائج ، و منها :</u>

كان ظافر يُحس بإهمال الجميع له ، وأنه ليس موضع تقدير من سياقة الثقافى و المجتمعى ؛ ولعل هذا ما يبرد تمركزه حول ذاته ، وتكثيفه من قوالب الأنا الذاتية ، حال فشله فى إقامة علاقات مجتمعية ، تقوم على الاحترام و حُسن التعايش ، وقد حمل نمطا الاستفهام و الأمر نبرة عنيفة ، أو ما يُمكن تسميته : الاستعطاف العنيف.

يصرُّ ظافر – فى خطابه الإنشائى الطلبى– علي إنجاز مشروعه النفسى ، ملوحًا بنرجسية مكلومة ، أرهقتها مسببات عديدة ، منها الفقر ، والمرض ، وفقد العين ، والتهميش ، والسخرية من الواقع ، والمطالع لشعر هذه النفس يجدها تحمل ناقدًا عميقًا في رؤيته ، واعيًا بأوضاع واقعه ، مبتعدًا – قدر الطاقة – عن المباشرة والتسطيح ، فجاءت جملته الشعرية الطلبية جيدة في كل شيءٍ ؛ في صياغتها ، وفي فنيتها ، و في رمزيتها ، وإلغازها ، رومانسية أحيانًا كثيرة ، وواقعية في بعض الأحيان ، شفافة تارة ، ومراوغة في أغلب أمرها ، تعبر عن نفس ضعيفة

[٣٣٥] الأبيات من قصيدة لظافر، قالها في التحذير من صحبة أهل الشر، ومن غوائل الدنيا ، من بحر المتقارب، انظر :الديوان : ٢٤٠/ ٢٥٨– ٢٥٩

مرة ، وفي مرات تحمل لهيب ثورة وغضب ، خيالية وواقعية ، هاربة ، ومحاججة ، غير متقعرة في مجمل ألفاظها، محافظة علي الأصول الهيكلية لبناء القصيدة القديمة والمعاصرة .
تضافرت اعتبارات متعددة ، لغوية وفكرية ، وأدبية في جملة ظافر الشعرية ؛ لتؤسس لبلاغة إقناعية ، ليقتنع المتلقى بالفصد المحوري ، الذى يُشير إليه الكلام ، أو تحمله القوالب اللغوية أوالإشارية ، أو السياقية ؛ تلك الجملة الطبية تمنح هذا المتلقي رغبة وإرادة ، ليقتحم مغاليق تراكيبها ، ويكشف ميتافيزيقا اللغة المستعملة فيها ؛ وكأنه نمط من بلاغة الحجاج الإقناعية ، القائمة على آلية الانتخاب والتوظيف للتراكيب اللغوية ، لاسيما فى النمط الطلبى من التراكيب و الجمل.
استطاع ظافر– من خلال الأساليب الإنشائية الطلبية – أن يُنفث ألامه وأحزانه ، التى طغت علي نفسه ، ممَّا عايشه من أتراح – منذ أن وُلد – من فقر ، وتهميش ، وانزواء نفسى ؛ جراء ما أصيب به من عين لاقطة ، واغتراب نفسى وغربة مكانية ، وغير ذلك مما يَكْلِم النفس ؛ لذا بدا حائرًا مترددًا مضطربًا ، دائم التبرم و الشكوى ، وكثرت – في تراكيبه– جمل الاستفهام والأمر؛ لتعبر كل منهما عن حزنه وأساه ، وقليلًا ما يمرح ، ووجدنا أن الجملة الطلبية بنمطيها – محل البحث – قد استخدمهما ظافر ليصرخ مطالبًا سياقه المجتمعى بأن يكفَّ عن جلده وطرده ، أو استثمرها ليستفذ– وليستنفز حواسه– الطاقات الذهنية والوجدانية لدى متلقيه ، ليدفعه قسرًا إلى أن يُشاركه ما يعانيه.
تفاوت استخدام ظافر لنمطى الإنشاء الطلبى من الاستفهام والأمر، بيد أنه قد بدا خطاب الطلب بالاستفهام أكثر تكثيفًا من خطاب الطلب بالأمر ، وكان أعلاها ترددًا خطاب الاستفهام بالهمزة ، الدالة على انغلاق النفس ، وجاء أقلها ترديدًا خطاب الاستفهام باسم الاستفهام متى ، الدالة على انخفاض إحساس ظافر بعامل الزمن ، والاستهانة به ، إذ إن حياته ما تلبث أن تكون أيامًا تُقضى ، فنفسه لا تشعر بمرور الزمن ، مما يدل انخفاض رغبته وزهده فى الحياة.
أفادت القوالب اللغوية المستعملة فى خطاب الإنشاء الطلبى فى المنجز الشعرى لظافر صدقًا فى عاطفة الرجل ، و حيوية فى انفعاليته ، وقد كثَّف من نمط خطاب الطلب بالاستفهام ؛

ليستميل ذلك المتلقى الخالى الذهن، أو المتصارع معه ، ليستحضر صورة معاناة الشاعر فى ذهنه ووجدانه ، فيشاركه انفعاله.

جاء خطاب الطلب الإنشائى بقالب الأمر متدرجًا من الأمر بالفعل المباشر إلى المصدر النائب عن فعله و الدال على الطلب ، بيد أنه قد غلب الأمر بالفعل الصريح جميع أنماط الأمر ، فى حين قلَّ طلب ظافر بالفعل المضارع المسبوق باللام الدالة على الأمر ، وتحول اسم فعل الأمر إلى لغة إفصاحية ، وورد بصورة قليلة ، ليدل على الشعور بالضعف ، وانخفاض صوت نفسه و تقطيعه ، أما المصدر الدال على الطلب ، و النائب عن فعل الأمر فقد بدا نادرًا ، أو قليلًا جدًّا ، لما فى هذا المصدر من التدفق الدلالى ، و قوة النفس ، و هذا ما يفقتده شاعرنا.

جاءت القيم الدلالية لخطاب الطلب بالاستفهام والأمر فى شعر ظافر مقيدة بقرائن الأحوال ، فتناهى اشتراط الاستعلاء فى هذه المواضع ، أمام ضعف النفس وشدة شعورها بالاغتراب.

حين نحاول التحليل الإحصائى لنماذج تطبيقية من خطاب الإنشاء الطلبى ، فى شعر ظافر ، بأداة الاستقراء الناقص ، نجد انه قد جسَّد انفعالاه النفسية ، على ضوء من محددات تكوينه الجسمى ، و النفسى ، و الاجتماعى ، فجاء خطابه معبِّرًا عن أنا شاعرة منفعلة ، مترددة ، مطالبة ، متوهجة ، منكسرة فى أحايين كثيرة ، تعيش حياة التناقض بين الاضطراب و الاعتداد ؛ لذا لم ينجح ظافر فى التنعم بالحياة ، إذ تقوم لذتها على التعايش الاجتماعى و مجاوزة الذات.

طغى خطاب الطلب بالاستفهام ، بوصفه مجسدًا لحال النفس ، وقد سلط ظافر استفهامه على صيغ المفرد ، ليدل على اغترابه و انعزاله ، فظاهر الشعر يبدو مادحًا ، فإذا ما تأملنا تراكيب النفس ، أدركنا أن ظافر إنما يُريد بها نفسه ، فأحيانًا يهمس بخطابه الطلبى همسًا ، لا يُثير حفيظة المتلقى ، وأخرى يعمد فى إيصال بلاغه إلى الإلهاب أو الإدهاش ، يقول :

هبِ المآتم لا تخشى عواقبها نفسُ الفتى ، أين منه نخوةُ الكرم؟.([٣٣٦])

[٣٣٦] البيت من قصيدة لظافر ، يمدح فيها الأفضل ، و يهنئه بأول السنة ، وهى من بحر البسيط ، وفى قافية الميم المكسورة ، انظر : الديوان ، ٢٣٢/٢٤١

ثانيًا : التوصيات : يوصي الباحث ببعض النقاط على النحو الآتى:

- دراسة العلاقة بين البناء الجُمَلِي ، والبعد النفسي عن ظافر أو عند غيره من شعراء مصر الفاطمية .
- دراسة أبنية جملة الحكمة في شعر ظافر.
- دراسة البناء اللهجي للجملة الشعرية في شعر ظافر .
- دراسة الإبداع الدلالى للتعبيرات الإصاحية عند ظافر ، وعلاقة ذلك بنفسه.
- عقد دراسة نفسية موازنة بين البناء النفسي للجملة الشعرية عند ظافر و بدر شاكر السياب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

(ثبت المصادر و المراجع)

- الاتجاه الجمالي في الشعر الفاطمي في مصر ، إعداد : أحمد علي محمد عبد العاطي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الزقازيق (فرع بنها) كلية الآداب ، ١٤٢٥هـ//٢٠٠٥م ، نسخة : pdf .
- ارتشاف الضرب من كلام العرب ، لأبى حيَّان الأندلسى ، تحقيق و شرح د : رجب عثمان محمد ، ط١ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشري ، (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، (د . ط) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- الأساليب الإنشائية فى النحو العربى، عبد السلام محمد هارون ، ط٥ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- الأسس النفسية للإبداع الأدبى (فى القصة القصيرة خاصة) د : شاكر عبد الحميد ، (سلسلة دراسات أدبية) ، (د .ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢م .
- الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة ، د : فؤاد البهى السيد ، ط٤ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٥م.
- الأشباه و النظائر في النحو، الإمام السيوطي ، تحقيق ، د : عبد العال سالم مكرم ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .
- الأشباه و النظائر فى النحو ، جلال الدين السيوطى ، ط دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ/ . بيروت ، لبنان، ١٩٨٤م.
- أصول تحليل الخطاب فى النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص) د : محمد الشاوش ، ط١ ، جامعة منوبة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، تونس

- إعجاز القرآن ، للباقلانى، ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن الكريم، حققها و علق عليها :محمد خلف الله ، د : محمد زغلول سلام ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت).
- الإنتاج الأدبي في مدينة الإسكندرية في العصر الفاطمي و الأيوبي ، د : أحمد النجار ، المجلس الأعلي لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٦٤م
- الإيضاح فى علوم البلاغة ، جلال الدين القزوينى ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٩٨م
- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري وأثرها فى الدراسات البلاغية ، د : محمد حسنين أبو موسى ، (د. ط) ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، (د.ت).
- البنية الحجاجية فى القرآن الكريم (سورة النمل أنموذجًا) ، د : الحواس مسعودى ، مجلة اللغة و الأدب ، معهد اللغة العربية وآدابها ، العدد : ١٢ ، ديسمبر ١٩٩٧م
- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون ، (د. ط) ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، وتحقيق : ناصر مهدى محمد جاد ، ط١ ، مكتبة القدس ، القاهرة ، ٢٠١٣م.
- التبصرة والتذكرة ، للصيمري ، تحقيق د : فتحي أحمد مصطفي، ط١، دار افكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- التراث اللغوى العربى ، يوهاس ، جيوم ، كولوجى ، ترجمة : محمد حسن عبد العزيز ، وكمال شاهين . دار السلام ، مصر ، ٢٠٠٨م .
- التراكيب المتوازية فى ديوان ابن سناء الملك ، د : فتوح أحمد خليل ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الحادى والثلاثون ، ٢٠١٠م
- التركيب النحوى للفعل فى معلقة امرئ القيس ، إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم ، رسالة ماجستير ، جامعة أبى بكر ، كلية الآداب و اللغات ، تلمسان ، الجزائر ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، نسخة pdf
- تصوير النفس فى شعر المتنبى ، عبد حسين مبروك البركاتى ، رسالة ماجستير ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، نسخة pdf
- التطبيق النحوي، د: عبد الراجحى ، ط١ ، مكتبة المعارف ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
- التعريفات ، للجرجانى، تحقيق : إبراهيم الإبيارى ، ط١ ، دار الكتاب العربى، بيروت ، ١٩٩٢م.
- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، د : أحمد سعد محمد ، ط٤ ، مكتبة الآداب ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، القاهرة.
- توهج الأنا وانكسارها فى شعر المتنبى ، د : رمضان أحمد عبد النبى عامر ، نسخة pdf
- جامع الدروس العربية ، الشيخ : مصطفى الغلاييى ، ضمن موسوعة فى ثلاثة أجزاء ، تحقيق : د، عبد المنعم خفاجة ، ط٢٢ ، من منشورات المكتبة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣م
- جدلية الإفراد و التركيب ، د : محمد عبد المطلب ، ط١ ، مكتبة لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩٥م
- جماليات المكان فى شعر ظافر ، د : نجوى معتصم أحمد ، مجلة الدراسات العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، نسخة pdf
- الجملة الاستفهامية فى الأعمال الشعرية لعبد الحليم أبو النجا عيسي ، دراسة و تحليل و إحصاء : منال محمود فكري محمود ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد ٤٢ ، يناير ، ٢٠١٧م

- الجملة الإنشائية فى شعر مفدى زكريا ، جدة فتوح ، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٥م/٢٠١٦م
- الجملة الطلبية فى سورة يوسف ، دراسة تركيبية دلالية ، علاء الدين الغرايبة ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، م٤١ ، ع :١ ، ٢٠١٤م ، جامعة الزيتونة ، كلية الآداب ، تونس
- الجملة العربية ، مكوناتها – أنواعها – تحليلها ، محمد إبراهيم عبادة ، ط٢ ، مكتبة الآداب، القاهرة ، ٢٠٠١م .
- الجمل في النحو ، : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٤٠هـ) ، تحقيق : علي توفيق الحمد ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤م
- جواهر البلاغة فى المعانى و البيان و البديع ، السيد أحمد الهاشمى ، ضبط و تدقيق و توثيق د: يوسف الصميلى ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيوت ، (د.ت)
- الخصائص ، : ابن جني ، المتوفي سنة ٣٩٢هـ ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣م وتحقيق : عبد الحكيم بن محمد ، (د . ط) ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د . ت) .
- دراسات نقدية في النحو العربي ، د : عبد الرحمن أيوب ، (د. ط) ، (د . ت) ، مؤسسة الصبَّاح ، الكويت.
- الدراسة النحوية و الدلالية فى سورة مريم (المبتدأ و الخبر أنموذجًا) ، د : عثمان مصطفى الجبر ، حولية كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات ، بالإسكندرية ، المجلد الثانى ، من العدد الخامس و الثلاثين.
- دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد فى القرآن الكريم ، د : السعيد الهادف ، رسالة دكتوراه ، الجزائر ، ٢٠٠٨م/٢٠٠٩م ، نسخة pdf
- دلائل الإعجاز ، : عبد القاهر الجرجاني ، قرأه و علق عليه : محمود شاكر ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م و(د. ط) ، مكتبة الخانجى ، و مطبعة المدنى ، القاهرة ، ١٩٨٤م
- دلالة تركيب الجمل عند الأصوليين ، د: موسى بن مصطفى العبيدان، (د .ط) مكتبة الأوائل ، دمشق، ٢٠٠٢م.
- الدلالة اللغوية ، عمر شاع الدين ، مجلة الدراسات اللغوية ، مج٢، ع٣ ، (رجب ٠ رمضان١٤٣١هـ/أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٠م .
- ديوان ظافر (ابن الإسكندرية) ، تحقيق ، د : حسين نصار ، ط١ ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ٢٠١٢م.
- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم و السبع المثانى ، للعلامة الآلوسى البغدادى ، (د . ط) ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، (د . ت).
- شرح التسهيل ، لابن مالك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، و طارق فتحي السيد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م
- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، لابن هشام الأنصارى ، و معه كتاب : منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، محمد محى الدين عبد الحميد ، (د .ط) ، دار الطلائع ، و مكتبة الساعى ، ٢٠٠٤م ، القاهرة.

- شرح الكافية للرضى ، (د . ط) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د . ت)
- شرح المفصل ، موفق الدين ابن يعيش ، (د . ط) المكتبة المنيرية ، القاهرة ، (د . ت)
- شعراء الإسكندرية في العصور الإسلامية ، د : عبد العليم القباني ، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة ، (د. ت)
- ظافر حياته و شعره ، ماجدولين عبد الله محمد أحمد ، رسالة ماجستير ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، رقم :٦٦٢٧٧٩، نسخة pdf ، علي موقع دار المنظومة
- ظافر ، دراسة أسلوبية ، عصام عبد العزيز عبد العال ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مكتبة الرسائل ، رقم GN;674 .811008
- علم الدلالة العربى (النظرية و التطبيق) ، فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سوريا ، ١٩٩٦م.
- علم اللغة العام ، : دى سوسير ، ترجمة ، د : يونيل يوسف عزيز ، مراجعة ، د : مالك المطلبي ، (د . ط) مكتبة آفاق عربية ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٥م
- علم اللغة النفسى ، د : عبد العزيز بن إبراهيم العصيلى ، ط١ ، عمادة البحث العلمى ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٧هـ
- في البلاغة العربية ، علم المعاني ، د : محمود أحمد نحلة ، (د. ط) ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٢م :
- فى النحو العربي (نقد و توجيه) د : مهدى المخزومي ، ط٣ ، دار الرائد ، بيروت ، ١٩٨٦م
- الكتاب : ، لسيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨م
- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، للزمخشرى ، شرح و ضبط و مراجعة : يوسف الحمادى ، ط١ ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م
- الكُنَّاش فى النحو والصرف ، أبو الفداء ، الملك المؤيَّد ، عماد الدين إسماعيل بن على (ت٧٣٢هـ) تحقيق : د/ على الكبيسى وآخرين ، (د . ط) ، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- لذة النص ، رولان بارت ، ترجمة : فؤاد صفاء الحسين ، ط١ ، دار توبقال ، المغرب ، ١٩٨٨م
- لسان العرب ، تحقيق : عبد الله على الكبير و آخرين ، ط دار المعارف ، (د .ت) ، القاهرة
- اللغة العربية معناها و مبناها، د : تمام حسان ، ط٣ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.
- مبادئ اللسانيات ، د : خولة طالب الإبراهيمي، ط٢ ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، ٢٠٠٦م.
- مختصر المعانى ، سعد الدين مسعود بن عمر ، ضمن شروح التلخيص من كتاب المطول شرح تخليص مفتاح العلوم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوى ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م
- مدخل إلي دراسة الجملة العربية ، د : محمود نحلة ، ط١ ، دار النهضة العربية للطبع و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م.
- مع الشعراء أصحاب الحرف ، د : عبد العليم القباني ، (د، ط) ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصارى ، وبهامشه : مختصر شرح شواهد المغنى ، للعلامة السيوطى ، تحقيق ، د : صالح عبد العظيم الشاعر ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م
- مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ضبطه و شرحه الأستاذ : نعيم زرزور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- المفصل فى علم العربية ، للزمخشري ، تحقيق : على بو ملجم ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) : ٦ ، ط١ ، دار الهلال ، ٢٠٠٣م .
- مقاييس اللغة، لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة و النشر ،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- المقتصد فى شرح الإيضاح ، : عبد القاهر الجرجانى ، المتوفى سنة ٤٧١هـ ، تحقيق الدكتور : كاظم بحر المرجان ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة و الإعلام ، (د . ط) ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢م وتحقيق : كاظم بحر المرجان ، ط١ ، دار الرشيد ، من منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، ١٩٧٢م.
- المقتضب ، للمبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، (د . ط) وزارة الأوقاف ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ
- مقدمة ابن خلدون ، : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تحقيق د : على عبد الواحد وافى ، ط٣ ، دار نهضة مصر للطبع و النشر و التوزيع ، القاهرة ، (د . ت).
- من أسرار العربية ، د : إبراهيم أنيس ، ط٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦م.
- من لسانيات الجملة إلى علم النص ، د : بشير إبرير ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، ع ١-٤ ، السنة الرابعة ، رجب ١٤٢٥هـ ، أيلول ، دمشق ، ٢٠٠٤م.
- من مظاهر الإبداع اللغوى عند علماء العربية القدامى ، د : صالح على محمد النهاوى ، كتاب المؤتمر الدولى الثانى لكلية الآداب ، جامعة أسيوط (حرية الفكر و الإبداع ، الأصول و الضوابط) ، فى الفترة ١٦ – ١٨ مارس ، ٢٠١٤م
- النجوم الزاهرة النجوم فى ملوك مصر والقاهرة ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى، ط وزارة الثقافة المصرية ، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م (تتمة ٤٢٧-٥٦٦هـ).
- النحو الوافي ، عباس حسن ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩١م .
- نظام الجملة الاسمية فى شعر عبد الله البردوني (دراسة نحوية دلالية) ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة منتوري ، رسالة دكتوراه نسخة PDF ، السنة الجامعية ، ٢٠٠٨م / ٢٠٠٩م.
- النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية ، د: عبد العزيز بن إبراهيم العصيلى ، مطابع التقنية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٠هـ.
- نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ، لفخر الدين الرازى ، تحقيق ودراسة : بكرى شيخ أمين ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥م.
- همع الهوامع بشرح جمع الجوامع ، للسيوطي ، تحقيق ، د : أحمد شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م.